البعث الشيعي
في سورية
١٩١٩-٢٠٠٧

IISS
المعهد الدولي للدراسات السورية
معهد بحثي مستقل غير ربحي
متخصص بالدراسات السورية

يتوجه المعهد الدولي للدراسات السورية بالشكر الخاص لـ «**حركة العدالة والبناء**» التي رعت هذه الدراسة، وعملت على إخراجها إلى النور بدافع شعورها النبيل بالمسؤولية ولوضع الشعب السوري أمام معرفة علمية بما يجري في بلدهم. وقد تمت هذه الدراسة باستقلالية وشفافية نادرة تستحق الحركة عليها التحية والتقدير.

الفهرس

مقدمة

«سنهزم أمريكا وإسرائيل في لبنان!»

خامنئي، تموز/ يوليو ٢٠٠٦

مع بروز مفهوم الهلال الشيعي الذي يمتد من إيران إلى جنوب لبنان بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، وبجوار جملة من النشاطات المتزايدة للمبشرين الشيعة في سورية والمؤسسات المتكاثرة التي أثارت السكان المحليين، أخذ موضوع النشاط الشيعي التبشيري في سورية يحظى باهتمام محلي وإقليمي ودولي، وأصبح أحد الموضوعات التي تجتذب اهتمام الصحافة العربية والعالمية، ذلك أن خطورة التبشير الشيعي ليس من كونه نشاطاً دينياً صرفاً، بل في كونه جزءاً من فعل سياسي يتعلق بتغييرات القوى التي أصابت المنطقة، والتطورات التي لحقت بالمحور السوري الإيراني فحولته إلى محور استراتيجي بالنسبة إلى دمشق خصوصاً في ظل التهديدات الجدية التي تعصف بنظام الأسد بعد مقتل رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري.

وفي بلد مثل سورية يمتلك موقعاً جغرافياً سياسياً بالغ الأهمية في الشرق الأوسط – إذ يقع تماماً في نقطة تقاطع القارات الثلاث (آسيا، وأوروبا، وأفريقيا)، ولديه حدود مع خمسة بلدان ذات أهمية سياسية في الشرق الأوسط (فلسطين، لبنان، العراق، الأردن، تركيا) ويطل على شرق البحر المتوسط – فإن التأثير في استقراره أو السيطرة عليه تمثل خطراً كبيراً على منطقة حيوية وحساسة جداً بالنسبة للمجتمع الدولي، وبالتالي فالحديث

عن المخاوف من النفوذ الإيراني هو أمر طبيعي تماماً.

ومن الناحية الدينية فإن سورية (عاصمة الدولة الأموية تاريخياً) تحتل موقعاً بالغ الحساسية ومكانة دينية مهمة لدى المسلمين السنة والطائفة الشيعة في الوقت ذاته، ففي حين يعتبرها السنة معقل الإسلام وحصنه المنيع، ويعتقدون - انطلاقاً من نصوص دينية - أنها آخر قلاع الإسلام (السني) إذا ضاقت بلاد المسلمين على أهلها[١]، فإن الشيعة يعتبرونه - في المقابل - البلد الذي بدأ فيه اضطهاد الشيعة منذ ظهورهم كطائفة دينية منشقة بعد قرابة ثلاثين سنة من وفاة النبي محمد (ص)، ومن جهة أخرى يعتقد معظم السنة أن الشام ستشهد ظهور «المهدي»، فيما يعتقد الشيعة أنها البلاد التي ستناهض «المهدي المنتظر»!

وفي بلد يكاد ينعدم فيها الوجود الشيعي الاثني عشري ديمغرافياً حتى وقت قريب[٢]، فإن فهم الظاهرة الشيعية المتزايدة ودراسة مخاطرها على المنطقة أمر يكتسب أهمية حقيقية إذا أُخذت بعين الاعتبار جملة المعلومات المتدفقة حول هذه الظاهرة وإطارها السياسي في السنوات الثلاث الأخيرة.

والواقع أن تفسير قضية النشاط التبشيري الشيعي المتزايد في سورية لا يمكن فهمه بشكل جيد بمعزل عن الأسس السياسية التي حكمت العلاقة بين المجال الديني والفضاء العام في نظام الأسد الأب والأسد الابن، ذلك أن هذه القضية تتعلق أساساً بهذين العهدين بشكل خاص. فقد تميزت شريحة العلماء والمؤسسات الدينية باستقلالها الواضح خلال الحقبة الممتدة بين ١٩١٩ - ١٩٦٣، وبتأثيرها في المجال السياسي بشكل مباشر، وعلى الرغم من التأثير الكبير للخطوة التي وجهها الرئيس حسني الزعيم عام

---

(١) ثمة نصوص نبوية شريفة كثيرة تشير إلى هذه الأهمية الاستثنائية للشام وتذكر عادة في هذا السياق، أهمها: «ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام»، و«وَعُقْرُ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ»، و«إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ، إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ».

(٢) «بضع عشرات من الألوف من الشيعة الاثني عشرية» هم كل الشيعة الاثني عشرية من السكان الأصليين، وعادة «لا يلتفت إليهم كمجموعة منفردة في بيانات الإحصاءات السكانية السورية».
ليفريت، فلاينت، «وراثة سورية: اختبار بشار بالنار»، تر: عماد فوزي الشعيبي، (الطبعة الإنكليزية) مركز سابان لسياسة الشرق الأوسط في معهد بروكينز، نيو يورك، (الطبعة العربية) الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص٢٦.

١٩٤٩ بإلغـاء مؤسسـة الوقف التي كانت تمنح الطبقة الدينية ومؤسسـاتها الاسـتقلال الاقتصـادي، فـإن علـماء الدين والمؤسسـة الدينية بقيت مسـتقلة وذات نفوذ واسـع في المجال العام.

وأدى انقلاب البعث في ٨ آذار/ مارس ١٩٦٣ إلى دخول الدولة الوطنية في نموذج الدولـة الأمنية، الوجـه الآخر لجمهورية «الشرعيـة الثورية»، وفي دولـة كهذه - حيث تصبح خيوط القيادة ممركزة بيد «قائد المسـيرة» و«المجلس الثوري» - يصبح وجود أي قـوى عـلى الأرض «فاقداً» للشرعية بشـكل تلقائي، ولتثبيـت أركان جمهورية الشرعية الثوريـة (وفق منطق الشرعيـة الثورية) لابد من تطهير الجمهورية مـن القوى المناهضة للثورة، وبالتالي يجب القيام بمواجهة شاملة لكل القوى، وعلى وجه الخصوص المؤسسة الدينية «الرجعية».

في هـذا العهـد - وفيـما يخص المجـال الديني - بـدأ التحول نحو ما يمكن تسـميته بـ«صراع التطويع» مع المؤسسة الدينية (وبموازاتها سائر القوى السياسية) وطبقة علماء الدين، لإجبار جميع القوى على الخضوع والامتثال لقائد المسـيرة، القائد الواحد الأحد في دولة الحزب الواحد والرأي الواحد. وخلال ثماني سـنوات لم يستطع انقلابيو البعث تطويع المؤسسة الدينية وعلماء الدين بشكل كامل، وأدت التوترات الطائفية التي سببتها عملية تطييف (التحول إلى استئثار طائفي) الجيش والحزب إلى ازدياد نفوذ علماء الدين وتقوية دورهم كمعارضة متزايدة ضد جمهورية البعث الثورية.

لم يخـرج الأسـد - بعد انقلابـه في ١٦ تشرين الأول/ أكتوبـر ١٩٧٠ - عن نموذج جمهورية البعث، لكنه قام بمأسسـة موقع الرئيس بشـكل رسـمي كموقع وحيد للقرار انطلاقاً من تعديل الدستور ١٩٧٣، ليجمع كل مراكز القوة بيده بدءاً من تعيينه الأمين العام لحزب البعث بعد أن جُعل حزب البعث القائد للدولة والمجتمع دستورياً، مروراً بجعـل الرئيس هو القائد العام للجيش والقوات المسـلحة، وصولاً إلى إسـناد تشـكيل الحكومـة إلى الرئيـس مباشرة. لكن الأسـد مـا كان قادراً عـلى تطويع المؤسسـة الدينية وطبقة علماء الدين التي تعاظمت قوتها وبرزت بوصفها قوة متحدية في أزمة الاسـتفتاء عـلى الدسـتور، حـين اعترضوا على الدسـتور لخلو مـواده من ذكر بعـض القضايا التي تهمهم وتعتبر حساسة بالنسبة لهم، مثل تحديد دين رئيس الدولة، أو دين الدولة.

كان الـصراع مـع المؤسسـات الدينيـة وطبقة علـماء الديـن يتصاعد بجـوار عملية تطييـف واسـعة أكمـل فيها الأسـد مسـيرة التطييـف لدولة البعـث منـذ ١٩٦٣ وقام بتعديتها إلى تطييف أجهزة الأمن ومراكز القرار، إلى أن حدث الانفجار الكبير في الفترة ١٩٧٨-١٩٨٢.

بانتهـاء أحـداث الثمانينيات أكمل الأسـد إضعاف جميع مؤسسـات المجتمع المدني (بما فيها المؤسسـة الدينية) وإقصاءها عن الفعل العام، وبشـكل خاص اسـتطاع حسـم الصراع مع المؤسسـة الدينية وعلماء الدين وإنهاءه بشـكل كامل، ليسـتتب له ما كان قد أنجزه دسـتورياً من إقصاء كل مؤسسات المجتمع المدني عن التأثير في المجال السياسي، وحتى يسـتطيع استتباعها وتطويعها والسيطرة عليها فقد اتبع سياسة الموافقات الأمنية المسـبقة والمراقبة الأمنية لكل نشـاطات مؤسسـاتها ونشـطائها، وبذلك اسـتطاع تحقيق أقصى ما يمكن من الضبط الاجتماعي.

وعبر سنوات ما بعد أحداث الثمانينيات من حكم الأسد الأب حرص الرئيس على ضبط شراكة المؤسسة الدينية مع المؤسسة السياسية في التأثير في المجال العام الذي أصبح محدوداً باستراتيجية الاستئناس، القائمة على المنفعة المتبادلة. فالأسد القادم عبر انقلاب عسـكري (وليس انتخاب ديمقراطي حقيقي) عانى من معضلة الشرعية بدءاً من أزمة الدسـتور وحتى أحداث الثمانينات، ثم هو بحاجة للمؤسسـة الدينية لتحسـين صورته التي انثلمت بعد أحداث العنف الوحشي الذي مارسـته أجهزته بحق الإسلاميين. لقد كان الأسـد يريد الالتفاف على المؤسسـة الدينية لتكون جزءاً من قوته بدلاً من أن تكون قوة مواجهة له.

كان الأسد يعرف أن القوة التي يتمتع بها علماء الدين تأتي من خلال إيمان الناس بهم، واعتقاداتهـم الدينية، ولمعرفة الأسـد أنه ليس بمقدور أحـد مواجهة الحقيقة الاجتماعية الإنسـانية المتمثلـة في الدين، فقد قرر اتباع اسـتراتيجية الاسـتئناس المبنية على نقطتين، أولاهما أن لا تكون المؤسسة قادرة على اتخاذ قرار مستقل فيما يخص النشاط العام، وذلك بإخضاعهـا في كل صغـيرة وكبيرة لنظام الموافقـات الأمنية والمراقبة المشـددة. وثانيتهما ضبـط النشـاط الخاص بهـا ومنعها من القيام بنشـاطات مسـتقلة من خـلال خضوعها للقرارات الإدارية المصممة بعناية في «مؤسسـة الرئاسة» (ممثلة في نائب الرئيس لشؤون

التربية والتعليم) وأن يكون محكوماً بالخطوط الحمراء المحرمة على جميع السوريين، التي تشرح معنى عدم الاقتراب بأي شكل من الأشكال من المجال السياسي.

ولتحقيق هذه الاستراتيجية فقد كان لابد من مقايضة المؤسسة الدينية وعلماء الدين بشيء يفرغ رغبتهم المكبوتة بمقاومة النظام والتمرد عليه، ويحفزهم على الاستجابة لشروط اللعبة الجديدة، بالسماح لها بالنشاط العام، لكن هذا السماح سيكون مشروطاً دوماً بـ: إثبات ولائها ودعمها للنظام، وبإضفاء وتثبيت شرعية النظام كلما احتاج الأمر، فقد كان الأمر أشبه بمبدأ الترغيب والترهيب الديني، لكن هنا يسبق الترهيبُ الترغيبَ.

على أساس هذه الاستراتيجية تعامل الأسد الأب بكثير من الحذر مع النشاط التبشيري الشيعي، فمن جهة لا يرغب الأسد إطلاقاً باستفزاز المؤسسة الدينية السنية وعلماء الدين؛ إذ خَبِر الأسد مرارة المواجهة الدينية لنظامه، ومن جهة أخرى كان يريد للمؤسسة الدينية أن تبقى في الخط المرسوم لها وضمن إطار حفاظها على استقرار النظام بالطريقة التي رسمها لها.

توفي الأسد الأب وخلَّف وراءه مؤسسة دينية منضبطة بإيقاع النظام الذي رسخ قواعده بنفسه، وخلف علماء دين زاهدين بالمجال العام، أو منخرطين فيه وفق شروط الاستئناس الصارمة. وعندما ورث نجله بشار السلطة عام ٢٠٠٠، أغراه هذا الضبط الفائق للمؤسسة الدينية السنية، فلم ينلها اهتمامه الإصلاحي، وعلى العكس فقد تعامل معها لا على أنها مؤسسة مستأنسة ومروَّضة حسب قاعدة الترهيب والترغيب، بل بوصفها مؤسسة ملحقة بالنظام يستخدمها لأغراضه ولا يمنحها مقابلاً، عليه الأمر وعليها الطاعة. كان هذا بمثابة تحول استراتيجي في التعامل مع المؤسسة الدينية.

على سبيل المثال فإن اختيار شخصية براغماتية فاقدة للشعبية لمنصب مفتي الجمهورية (الشيخ الواعظ أحمد حسون) بغض النظر عن اعتراض علماء الدين ورأيهم القادح فيه وفي علمه كان على أساس النظر إلى مؤسسة الافتاء بوصفها مؤسسة تابعة للنظام، وليست مؤسسة أهلية تنتظم إدارياً في سلك حكومي. إن قوة المفتي هي في كونه يمتلك مصداقية لدى مواطنيه، غير أن الأسد الابن ضحَّى بأهم صفة للمفتي وهي مصداقيته الدينية والشعبية (ثقة الناس به كمرجع ديني) فقط لمعيار ولائه غير المحدود للنظام

وتوافقه الشخصي مع الأسد.

في الواقع إن هذا التحول الاستراتيجي ليس ناجماً عن تخطيط مسبق، بل إن المنطق الأمني الشامل الذي يحكم التفكير السياسي لبشار الأسد - كما تشير جملة الأحداث السياسية خلال سنوات عهده السبع - هو الذي أفضى إلى هذا التحول. فبشار لا يمتلك رؤى استراتيجية مخططة خاصة به، بقدر ما يمتلك مواقف استراتيجية وحسب.

لقد أدى هذا التحول الاستراتيجي إلى إهمال مطالب علماء الدين بل والتصادم معهم في بعض الأحيان، كما في موضوع قانون التعليم الشرعي الذي لم يأخذ بحسابه موقف علماء الدين والمؤسسة الدينية، فاضطر علماء الدين السوريون إلى أن يصدروا بيانهم في تموز/ يوليو ٢٠٠٦ وفيهم من هو محسوب على النظام! لا ريب أن البيان وموقف علماء الدين أثار دهشة الرئيس الشاب، إذ كان يتوقع من المؤسسة المستأنسة طاعة مطلقة، كما لو أنها أي مؤسسة من مؤسسات الدولة، وكيف يتجرأ علماء الدين على مواجهة قرارات حكومية ويتجهون للرئيس؟ لا شك أن الرئيس أحس بشكل واضح أن التعامل مع المؤسسة الدينية وعلماء الدين ليس أمراً هيناً أبداً.

على هذه القاعدة الاستراتيجية في النظر إلى المؤسسة الدينية ورجالاتها سمح الأسد الابن للمؤسسة الشيعية بالعمل بكامل حريتها وبتسهيلات غير عادية - لأغراض سياسية وقناعات شخصية؛ كما ستوضح هذه الدراسة - على أساس أن ضبط العمل الديني ممكن في أية لحظة عندما يخرج عن المسار المتاح له. ويبدو أن الأسد الابن نظر إلى المسألة كما لو أنها مسألة تخص النظام وحده، وبالتالي فقد أهمل من حسابه انعكاساتها الاجتماعية والدينية في الوسط السني الذي يمثل الأكثرية السكانية المطلقة في سورية.

وعلى سبيل المثال فإن إصرار الأجهزة الأمنية على الاعتقال والحكم بأحكام قاسية لمجرد الانتساب الفكري للتيار السلفي وبدون أي عمل مادي ضد النظام منذ تولي الأسد الابن السلطة وحتى اليوم، في مقابل ترك المجال مفتوحاً أمام النشاط التبشيري الشيعي بدون حساب في الوقت نفسه بما فيه من استفزاز اجتماعي بالغ، وحساسية للمؤسسة الدينية وطبقة علماء الدين، لا يعني سوى أن المنظور الأمني الاستلحاقي للمجال الديني ومؤسساته وعلمائه هو الذي يتحكم في فكر صانع القرار.

الدراسات السابقة

لقد كُتب ونُشر وأذيع الكثير من المقالات والتقارير في وسائل الإعلام المختلفة عن التمدد الشيعي ونشاط مبشريه في سورية، غير أن معظم ما كتب يقوم على مشاهدات جزئية وتقارير يغلب عليها الانطباع والحماس العاطفي، وذلك لا يعني بالضرورة أن هذه التقارير الصحفية والمقالات لا تتضمن جملة كبيرة من الحقائق، غير أن هذا الموضوع لم يحظ ببحث منظم إلا في دراستين:

١ - تحذير البرية من نشاط الشيعة في سورية (عبد الستّير آل حسين).

وهي دراسة كتبت في وقت مبكر نسبياً (١١ شباط/ فبراير ٢٠٠٤)، وشملت (دمشق، وحلب، وإدلب، والرقة، وديرالزور، والقامشلي، وحمص، والساحل)، ويبدو أن اسم المؤلف مستعار، وأياً يكن فإن هذا لا يبدو مهماً فالظروف الأمنية تبرر ذلك بكل تأكيد.

من جهة أخرى الدراسة موجودة فقط على شبكة الإنترنت وفي مواقع عديدة، ولا يشار في أي من هذه المواقع إلى معلومات عن مكان الطباعة والنشر، ويبدو أنها نشرت بشكل إلكتروني وحسب على شكل ملف pdf.

هذه الدراسة أيضاً - التي جاءت في ١٢٧ صفحة من القطع المتوسط - لا تستند إلى أصول علمية صلبة، فهي تميل لأن تكون تسجيلاً منظماً لانطباعات وملاحظات قائمة على أساس أيديولوجي. ومع ذلك تساعد هذه الدراسة - رغم عدم دقة المعلومات الواردة فيها وحاجتها للتوثيق والتأكيد، وخلوها من أرقام محددة - على إمساك ببعض الخيوط الرئيسية في التبشير الشيعي وتمدده في المناطق السنية في سورية.

٢ - عملية التشيع في سورية ١٩٨٥-٢٠٠٦: دراسة اجتماعية - إحصائية، ٢٠٠٦.

The Shiitization Process in Syria 1985-2006: *A Socio-statistic Paper*

أشرف على هذه الدراسة منظمة «المجلس الوطني للحقيقة والمصالحة والعدالة في سورية»، وقدم لها رئيس المنظمة الطبيب والمعارض نزار نيوف.

وعلى الرغم من أن الدراسة - كما ورد في عرضها على موقع الجهة المشرفة على الإنترنت - تشير إلى تمسك «صارم» بالمنهجية والشكلية البحثية الاجتماعية الإحصائية، وأن الباحثين الذين أجروا الدراسة (تسعة باحثين ميدانيين) هم باحثون متخصصون في مجالات علم الاجتماع وعلم الاجتماع السياسي والإحصاء، وجميعهم «علمانيون ونشطاء في حركات المجتمع المدني السورية» (على حد تعبير مقدم الدراسة)، كما زعمت هذه الدراسة أنها اعتمدت على مصادر معلومات محددة هي سجلات المحاكم الشرعية (المذهبية) وبيانات الزواج والطلاق، ومعطيات مستخلصة من سجلات مديريات وزارة الأوقاف في المحافظات، ومقابلات شخصية ميدانية مع علماء دين ووجهاء ومواطنين عاديين ينتمون إلى مختلف المذاهب الإسلامية المعنية، ومعطيات مستخلصة من سجلات المراكز الثقافية الإيرانية والحوزات والمدارس الشيعية التي تشرف عليها وتدعمها، جزئياً أو كلياً، السفارة الإيرانية في دمشق، فإن الدراسة تستدعي عدداً من الملاحظات نسجل أهمها ههنا:

أولاً - بغض النظر عن النتائج التي وصلت إليها الدراسة، فإن سجلات وزارة الأوقاف لا تتضمن معلومات تتعلق بالمؤسسات الشيعية الدينية والتعليمية، وهي فقيرة بالمعلومات عن المؤسسات الشيعية إلى حد مؤسف خصوصاً فيما يتعلق بالحسينيات والمؤسسات التعليمية، وبالتالي فإن الاستناد إلى مصادر مديريات وزارة الأوقاف وحتى الوزارة نفسها أمر غير مجد ولا يقدم كثير فائدة، ولا يمكن أن يكون مصدراً غنياً للمعلومات قياساً إلى المصادر الأخرى.

ثانياً - إن النتيجة التي خرج بها البحث بأن نِسَب تشيع منطقة الجزيرة السورية في محافظتي دير الزور والرقة والقنيطرة، كونها لا تشكل إلا أجزاء عشرية متناهية الصغر - بضع عائلات تعد على أصابع يد واحدة، ولكون النشاط الشيعي فيها يبتعد عن الشكل «التبشيري» ويقتصر على الجانب «الطقسي»، أمرٌ تخالفه التقارير والوثائق والوقائع على الأرض كما ستوضحه فصول هذه الدراسة؛ فمعظم المد الشيعي التبشيري في عهد الأسد الابن تركَّزَ في الوسط الاجتماعي الديني الموسوم بالسني.

كما أن نتائج البحث وتفسيرها تشير إلى تحيز أيديولوجي وتضخيم بالغ الوضوح، فمن جهة هي تحرص على علمانية متطرفة، ومن جهة ثانية هي متحيزة طائفياً للعلويين.

وقد أثبت البحث الميداني والجولات الاستطلاعية التي قمنا بها أن الدراسة مفتقرة بشدة للمعلومات في المجتمع السني، وبالتأكيد فإن ذلك سيؤثر في مصداقيتها، خصوصاً لجهة الأرقام التي أعلنتها، والتي حاولت كسب مصداقية واقعية فيها عبر زهوها بالشكليات المنهجية!

ونظراً للظروف الخاصة بالطائفة العلوية فيما يتعلق بالحساسية الأمنية، فإنه من الصعوبة بمكان الحصول على معلومات دقيقة بالنسبة للباحثين، ومع ذلك فإن الدراسة أعلاه تُعتبر أحد المصادر للمعلومات التي تخضع لعمليات الامتحان والغربلة والمقارنة، مع الأخذ بعين الاعتبار بكل التحفظات المذكورة، والتحفظات العلمية الأخرى التي لم نتطرق لها في هذا الاستعراض المختصر للنقاط الأساسية.

مجال البحث وحدوده

١ - المقصود بـ«الشيعة» في البحث هم طائفة الشيعة «الاثني عشرية»[٣]، الذين يندرج معتقدهم تحت المعتقد الديني السائد في إيران، والذي ينص عليه دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ويستهدف البحث دراسة تبشير الشيعة الاثني عشرية بالتحديد في المجتمع السوري عموماً، والشق السني بشكل خاص.

٢ - يشمل البحث المحافظات السورية الرئيسية: دمشق وريفها، حلب، اللاذقية،

(٣) طائفة إسلامية منشقة، ظهرت إثر الخلاف الذي نشأ بين الخليفة الرابع للمسلمين علي بن أبي طالب (يعتقدون أنه دفن في النجف) ومعاوية بن أبي سفيان الذي كان والياً على بلاد الشام في عهد الخليفتين الراشدين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، ويؤمنون بأن الخلافة لا ترجع إلى إرادة المسلمين في تحديد مصالحهم، وإنما هي محددة سلفاً بنصوص من الوحي وبالأسماء، وقد حددت النصوص اثني عشر إماماً كلهم من نسل الخليفة الرابع علي بن أبي طالب (ابن عم النبي وزوج ابنته)، يمتلكون جميعهم العصمة الإلهية (الخطأ غير وارد في تصرفاتهم وأقوالهم)، والإيمان بهم أصل من أصول الدين لدى الشيعة.
انظر تعريف الشيعة الاثني عشرية في: الأمين، حسن، ثورة إيران في جذورها الإسلامية الشيعية، ملف النهار، دار النهار، بيروت، ٢ نيسان، ١٩٧٩، ص ص ٣١-٣٥.

طرطوس، إدلب، حمص، حماة، دير الزور، الرقة، الحسكة، درعا. واستثنت الدراسة محافظة السويداء ومحافظة القنيطرة. فمن جهة ليس هناك تواجد شيعي في محافظة السويداء التي يقطن غالبيتها الدروز، ومن جهة ثانية فإن القرى التابعة لها أو للقنيطرة إذا كان يجري التشييع فيها فانطلاقاً من درعا، وبالتالي فما ورد من معلومات تتعلق بريف القنيطرة والسويداء تم إلحاقه بريف درعا.

٣- يركِّز البحث بشكل أساسي على الفترة الزمنية الممتدة بين ٢٠٠٠ - ٢٠٠٧، أي منذ تولي بشار الأسد رئاسة الجمهورية، لكنه يشمل أيضاً دراسة للوجود والتبشير الشيعي الحديث بدءاً من ظهور الدولة الوطنية وحتى نهاية عهد الرئيس حافظ الأسد (١٩٧٠- ٢٠٠٠)، ذلك أن من غير الممكن فهم التغيرات الديمغرافية وتفسير النشاط التبشيري في الفترة (٢٠٠٠ - ٢٠٠٦) بدون معرفة تاريخ الوجود الشيعي وتغيراته قبل ذلك.

٤- تم تحديد بداية المجال الزمني في هذه الدراسة عام ١٩١٩؛ لأنه العام الذي شهد قيام الدولة الوطنية السورية، وكل ما قبل هذا المجال الزمني هو عبارة عن توضيحات تاريخية عامة لجذور الشيعة في سورية بشكل مختصر ومركز للغاية.

منهج البحث

استغرقت الدراسة وجمع المعلومات عاماً كاملاً (تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٦- تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٧)، وقامت على أساس تعدد منهجي:

١- الجولات الميدانية الاستطلاعية: التي شملت أكثر المحافظات المذكورة.

٢- تحليل المضمون: وثائق رسمية حكومية وبيانات سياسية، شهادات شهود عيان.

وفيما يخص شهادات شهود العيان والمصادر المطلعة والتقارير الصحفية فإنه تم التثبت من معلوماتها عبر المقارنة، وغالباً تم التأكد من المعلومة من مصدر مستقل، ومن أكثر من مصدر. أما الوثائق الحكومية فقد تم التأكد من صحتها عبر مصادر متعددة مستقلة، وعبر تقاطع نصوصها مع بعضها البعض، وعبر تقاطعها مع سير الأحداث والوقائع زمن صدورها.

٣- المقارنة المستمرة مع معلومات ونتائج الدراسات خصوصاً تلك التي اعتمدت على سجلات الأحوال الشخصية للمحاكم الشرعية الجعفرية، مع ملاحظة أن سجلات الأحوال الشخصية لهذه المحاكم لا تحتوي بالضرورة على أسماء كل المتشيعين (أو «المستبصرين» حسب التعبير الشيعي)، وذلك يعني أن المعلومات التي تتضمنها على أهميتها تعتبر معلومات تقديرية.

مصادر المعلومات في الدراسة

١- الجولات الميدانية.
٢- وثائق رسميَّة.
٣- شهادات متشيعين وشهود عيان.
٤- الدراسات السابقة.
٥- التقارير الصحفية.
٦- المقابلات مع شخصيات ذات علاقة بموضوع الدراسة.
٧- الدراسات العامة عن التاريخ السياسي والاجتماعي لسورية بعد الاستقلال.
٨- الدراسات السياسية المتخصصة بعهدي: حافظ الأسد (١٩٧٠-٢٠٠٠)، والأسد الابن في الفترة (٢٠٠٠- ٢٠٠٧).

ملاحظات على البحث

١– لا تدخل هذه الدراسة في إطار التحيُّزات المذهبية والدينية، وتتعامل هذه الدراسة مع المصطلحات الدينية (مثل: «سني» أو «شيعي»... إلخ) بوصفها مصطلحات أداتيَّة مجردة، كما أن هذه الدراسة ليست معنيَّة بتصحيح أو تخطئة ما يندرج تحتها من التصورات الدينية والأيديولوجية.

٢– تجنبت الدراسة الاعتماد على أساليب البحث الاجتماعي في تفريغ البيانات نظراً لصعوبة الإحصاء الميداني والحصول على أرقام حقيقية، وبالتالي اكتفت بالنسب التقديرية القائمة على تقاطع معلومات من المصادر المختلفة التي اعتمدتها هذه الدراسة.

٣– إن دراسة ترصد الأرقام الحقيقية لا يمكن أن توجد في ظل الظروف الحالية، ولا يمكن لفرد أو بضعة أفراد القيام بها، إذ لا بد لذلك من مؤسسة حكومية – أو دولية متخصصة في مجال الدراسات الأمنية والاجتماعية وبمساعدة حكومية – كي يمكن إنجازها بدقة وإعطاء صورة حقيقية لما يجري في الواقع. ومع ذلك فإن الجهد المبذول في هذه الدراسة يمثل عملاً قريباً جداً لوصف الواقع، ولهذا السبب تعتبر النتائج التي توصلت إليها نتائج نسبية مهما كانت قريبة من الحقيقة. ومن المتعذر في الوقت الراهن وجود نتائج إحصائية دقيقة، لكن هذا لا يعني أنها أقرب ما تكون للواقع.

٤– ستغفل هذه الدراسة لضرورات تتعلق بأصحابها مصادر المعلومات الشخصية، خصوصاً في الشهادات العيانية ومصادر الوثائق.

٥– توثيق المعلومات من مصادرها التي تعتبر مرجعاً أصلياً وموثوقاً في موضوعها، فعلى سبيل المثال تعتمد الدراسة في توثيق الأحداث التي تتعلق بالأقلية الشيعية في سورية والوجود الشيعي الجديد على مصادر شيعية أو حكومية رسمية.

المسار العام للدراسة

نظراً لصعوبة فهم حركة التشيع الراهنة بمعزل عن تاريخ الوجود الشيعي في سورية، فقد تم تخصيص الفصلين الأول والثاني للتمهيد التاريخي عن الوجود الشيعي والتغييرات التي طرأت على بنيته الاجتماعية والفكرية، فمن المهم للغاية وضع المعنيين بهذا الموضوع في السياق التاريخي.

تتجه الدراسة في الفصل الثالث للإمساك بالبدايات الفعلية للمد الشيعي في عهد حافظ الأسد، وانعكاسها على التشييع في الطائفة العلوية، وتأثير تشكيل المحور السوري الإيراني غداة قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية عام ١٩٧٩، وعشية حرب الخليج الأولى. وفي الفصل الرابع تصل الدراسة إلى غايتها في الكشف عن أبعاد قضية التشييع ودور النظام السياسي والجهاز الأمني في دعم وحماية التبشير الشيعي في المجتمع السوري، والظروف السياسية والاجتماعية المحلية والدولية التي أدت إلى انفجار قضية التشيع في سورية، وتتناول بالبحث انعكاسات التحول الاستراتيجي في المحور الإيراني – السوري في ظل أزمة الملف النووي الإيراني وخروج الجيش السوري من لبنان غداة انطلاق التحقيق الدولي في اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري.

تختتم هذه الدراسة بعرض النتائج التي توصلت إليها، وتوضيح خارطة المد الشيعي، ودلالتها السياسية والاجتماعية، والتقديرات الرقمية للمتشيعين في المجتمع السوري كما هي عليه اليوم، والنسب التي تعتبر من نتاج المرحلة الخاصة بعهد بشار الأسد ٢٠٠٠ – ٢٠٠٧.

أخيراً...

تندرج هذه الدراسة في إطار البحوث المتخصصة بموضوع الدين وعلاقته بالمجال السياسي، وانطلاقاً من ذلك فهذه الدراسة تشكل جزءاً متمماً للدراسات التي درست الحركات الإسلامية وتأثير المؤسسة الدينية وعلماء الدين في المجال السياسي، التي يمكن بمجموعها أن تفسر بشكل أعمق علاقات القوة ونظام اللعبة السياسية في سورية اليوم.

ولابد في ختام مقدمة هذه الدراسة – التي تداخلت فيها جهود عدد من أبناء الوطن المخلصين – من التوجه بالشكر لكل الذين وفروا وثيقة من الوثائق التي تتعلق بالقضية، ولكل الذين قدموا شهاداتهم ومشاهداتهم بأمانة، ولأولئك الذين أتعبوا أنفسهم في مراجعة النسخ الأولية من هذه الدراسة، ولم يبخلوا بتقديم ملحوظاتهم القيمة وخبراتهم في موضوع البحث؛ فكان لها الأثر في تحسين صيغته وتصويب بعض ما جاء في الدراسة، ولكل من ترجمها إلى لغة أجنبية، ولكل من بذل ولم يدخر جهداً من أجل إخراجها، يحتسبه في سبيل الله وفي سبيل نهضة الأمة، لكل أولئك يتوجه المعهد الدولي للدراسات السورية بالشكر الجزيل والتقدير الكبير.

الفصل الأول

المنبوذون

الإحياء ١٩١٩ - ١٩٦٩

«إننا مقبلون على تطور اجتماعي يعم أبناؤنا شئنا أم أبينـا، فلنقطع الطريق على ما يرافق التطورات عادة من انحراف وتهور وضياع بإنشـاء مدرسة تزودهم بما يقضي به هذا التطور من صنوف المعرفة، وتبقيهم في رعايتنا ضمن إشرافنا».

الشيخ محسن الأمين

عندما حدثت عملية تفجير مرقد الإمام الحسـن بن علي العسكري (٢٦٠هـ) في سامراء عـام ٢٠٠٥، كان مديـر محطـة إذاعية محلية في العراق يسـتفتي على الهـواء مباشرة عمن يمكـن أن يكـون وراء هذا الحادث، وبحماس شـديد قال أحد المتصلـين: «أنا أعرفه»!، المذيـع يسـأل: «من هـو؟»، يجيب المتصل: «إنهـما أبو بكر وعمر»! يقصـد أول خليفتين

للإسلام. هذه الاستعادة للتاريخ تعني بالضبط أن التاريخ يفعل فعله الرمزي في التحشيد الطائفي، فما قاله الشاب يختزل - في الواقع - المخيال الجماعي الشيعي في العراق وغيره؛ فغداة تفجير المرقد اندلعت حرب طائفية مخيفة وغير مسبوقة في العراق. تَحَوُّل الشيعة إلى أقلية مهمشة في العالم الإسلامي (السني) وعجزهم طوال التاريخ عن التحول إلى أكثرية والنكبات التي منوا بها في رموزهم السياسية - الدينية جراء محاولاتهم السياسية السيطرة على الأكثرية، خلقت وعياً انتقامياً مؤسساً على رؤية نفسية سوداوية للعالم قائمة على الشعور العميق والمزمن بالظلم (عدم الاعتراف بحقِّ الإمامة)، والنظر إلى الشيعة بوصفهم أقلية ضالَّة، يعزز هذه الرؤية ويغذيها مجموعةُ الطقوس الدموية الندبية على مقتل الحسين يوم عاشوراء، ومجالس العزاء، والبكائيات الجماعية، والترانيم الدينية المغرقة في الحزن والأسى. باختصار، ثمة رؤية للعالم مكرسة طقوسياً قلما توجد لدى أقليات دينية أخرى، تقوم على الشعور بالمظلومية والحزن والألم النفسي الشديد والمستديم نابع من الاعتقاد بالظلم والحرمان لأهل البيت وأتباعهم.

جملة المصطلحات المستخدمة في الخطاب الشيعي الديني: «الحسينية»، «المظلومية»، «العزاء»، «الندب» وسواها تؤسس لحالة نفسية قابلة للانفجار في أي لحظة انتقاماً من الجماعة «الظالمة». لهذا السبب فإن استحضار التاريخ يبدو قوياً في الحرب الطائفية الدائرة في العراق الآن؛ لقد قُتل الإمام الحسين عام ٦١هـ (نهاية القرن السابع الميلادي) في كربلاء على يد جند يزيد بن معاوية (الخليفة الأموي)، والآن يُعثر على جثث في مختلف أنحاء العراق انتقم من أصحابها للحسين! ومُثِّل بها بعبارة: «يا لثارات الحسين»!!

أولاً: الوجود الشيعي في سورية (.... - ١٩١٩)

في القرن الثالث الهجري قدم الإمام النَّسَائي (عالم الحديث السنِّي الشهير) إلى دمشق أيام الدولة العباسية، وجلس في المسجد الأموي الكبير (وفق التقاليد العلمية في ذلك الوقت) ليروي الحديث عن النبي (ص)، فسُئل أن يحدّث الناس عن فضائل معاوية

بن أبي سفيان (خليفة المسلمين الخامس) فأجاب مستنكراً: «ألا يرضى معاوية أن ينجو رأساً برأس حتَّى يُفضَّل؟!» فقام إليه الناس فضربوه، حتى أخرجوه من المسجد، ليغادر دمشق من فوره، ويموت إثر تلك الحادثة بوقت قليل! هذه القصة تكشف عن صلابة الوعي السُّني وحساسيته الدينية الشديدة من التشيُّع.

وحيث يقبع اليوم ضريح مؤسس الدولة الأموية معاوية بن أبي سفيان في دمشق تأسست جذور الوعي السني المفارق للانشقاقات الأخرى في الجسد الإسلامي، والتي كانت قد بدأت بالظهور والتبلور شيئاً فشيئاً مع مرور الوقت والأحداث. وما انتهت الدولة الأموية بعد قرن من الزمان حتى كانت الشام[٤] مركزاً سنياً عصياً على الزحزحة والتغيير، ورث من العهد الأموي تشدده إزاء الانشقاق الشيعي.

بقيت بلاد الشام إقليماً سنياً متمسكاً بسنيته ومذاهبه الفقهية الحنفية والشافعية والحنبلية حتى ما بعد منتصف القرن الرابع الهجري حين وفد الحمدانيون وأسّسوا دولتهم في مدينة حلب (شمال سورية) وهم شيعة وُصِفُوا بأنهم غير مغالين، وكان الصراع بينهم وبين الإخشيديين (حكام مصر) حول السيطرة على دمشق. وفي نهاية القرن الرابع الهجري استطاع الفاطميون (العبيديون) احتلال أجزاء من بلاد الشام وخاصة مناطق من الساحل السوري، وبقي الأمر مضطرباً والصراعات مستمرة بين الفاطميين والمرداسيين في حلب ودمشق إلى أن جاء السلاجقة الأتراك في منتصف القرن الخامس الهجري وكان من آثارهم صلاح الدين الأيوبي الذي وحد بلاد الشام ومصر[٥].

ويبدو أن التشيع كان له أثر على بعض المناطق وخاصةً في مدينة حلب، إذ يذكر المؤرخون أنه حين أراد القائد التاريخي الناصر **صلاح الدين الأيوبي** الاستيلاء على حلب استنجد الوالي بأهلها، فاشترط عليه الشيعة (ويبدو أنهم كانوا يشكلون وجوداً كبيراً في حلب) إن أجابوه أن يعيد في الأذان «حيّ على خير العمل» في جميع المساجد،

---

(٤) «**إقليم الشام**» يضم كلاً من: سورية وفلسطين والأردن ولبنان، وإذا أطلق مصطلح «الشام» فعادة ما يقصد به سورية ولبنان معاً.

(٥) شاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامي، الجزء الأول ص ٣٥٣.

وينادي باسم الأئمة الاثني عشر أمام الجنائز، ويكبر على الميت خمس تكبيرات، ويفوض أمر العقود والأنكحة لشيخ الشيعة أبي المكارم حمزة بن زهرة (ت)، فقبل الوالي ذلك مكرهاً![٦].

كانت هذه هي المرة الأولى والأخيرة التي يغزو فيها الفكر الشيعي أرض الشام، فقد استعادت الدولة الأيوبية - خصوصاً بعد صلاح الدين - ثم العثمانية حكم بلاد الشام[٧]، وأعادتها إلى وضعها الأصلي، لكن جيوباً للتشيع بقيت هنا وهناك تمت محاربتها ودفعها إلى الجبال، فقد كانت بمنزلة جيوب معارضة سياسية، فمعظمها يدين بالولاء للفاطميين، لهذا السبب ما كانت المسألة تعصباً سنياً بقدر ما كانت توطيداً سياسياً وعسكرياً لدولة استطاعت إخراج الصليبيين الغزاة من القدس بعد أن سقطت في أيديهم في العهد الفاطمي.

الولاء الديني السياسي للشيعة في بلاد الشام بعد انهيار الدولة الفاطمية حوّلهم إلى أقليات دينية باطنية منغلقة تغزوها الأفكار الوثنية للديانات الإحيائية التقليدية في منطقة الشرق الأوسط وشكلت انشقاقات عن التشيع (الدروز والإسماعيلية والعلويون (النصيريون))، ولم يبق من الشيعة الإمامية الاثني عشرية سوى أقلية منبوذة اجتماعياً وسياسياً صغيرة جداً، تقطن بعض القرى الصغيرة، وهي آخذة بالاضمحلال والذوبان في الجسم السني الكبير.

---

(٦) انظر: المقدسي، أبو شامة، الروضتين في أخبار النورية والصلاحية، موقع الوراق على الشبكة العالمية (www.alwarraq.com)، مرقم إلكترونياً، ص ٢٥٧.

(٧) بكثير من المغالطة يشير مبشرو التشييع حتى اليوم إلى أن سورية كانت شيعية، وأن صلاح الدين ثم الدولة العثمانية حولوا أهلها بالقوة إلى العقيدة السنية! انظر مثلاً: مقابلة مع الشيخ جلال معاش (عراقي، مدير الحوزة الزينبية)، صحيفة الوطن الكويتية، ٠١/ ٠٦/ ٢٠٠٧، الذي يصرح بأنه «كان هناك دولة شيعية في سورية على عهد الدولة الحمدانية، وبالتالي سورية في الأصل كانت دولة شيعية»! وكانت هذه إحدى الأفكار الرئيسية التي روجت لها «جمعية المرتضى» (١٩٨١-١٩٨٣)، انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة، ص٣٢.

ثانياً: الشيعة في الدولة الوطنية (١٩١٩– ١٩٦٩)

لا تتوفر إحصاءات دقيقة لعدد الشيعة في سورية عند قيام دولة سورية الوطنية عام ١٩١٩، ولا يبدو واضحاً كيف أصبح الشيعة جزءاً من النسيج الاجتماعي الدمشقي. فللشيعة وجود في دمشق، وهم الأقلية الشيعية المدنية الوحيدة في سورية، وباقي الشيعة – على الضآلة الشديدة لعددهم – مشتتون في بعض الأرياف، قرب دمشق وحلب[٨]. وقد يكون مفيداً للغاية البحث في السجلات العدلية العثمانية المحفوظة في تركيا لمعرفة أعدادهم وأوضاعهم في ظل الدولة العثمانية فيما إذا كانت هناك أساساً وثائق تدل على وجودهم في دمشق أو في المناطق التي تدخل الآن ضمن الحدود السورية.

في «حي الأمين» و«الجورة» (يسمى الآن: حي جعفر الصادق)، وعلى مقربة من الجامع الأموي الكبير في دمشق وداخل المدينة القديمة الأثرية حيث الأزقة المغلقة والحواري الضيقة يقيم شيعة دمشق، في منطقة تفصل بين الأقليتين اليهودية والمسيحية، وهي المنطقة الوحيدة التي يوجد فيها أقليات دينية في دمشق. وفي منطقة المهاجرين في جبل قاسيون في دمشق يقيم الشيعة في حي «زين العابدين» بمنطقة المهاجرين، ويطلق عليهم أهالي دمشق وصف «المتاولة»، أو «الأرفاض»، وهي أوصاف تدل على نبذ المجتمع الدمشقي لهم.

ويشير بعض الباحثين إلى أن في جوار دمشق، وتحديداً في الغوطة قرية عين ترما وقرية راوية (في الدقانية، وفيها مقام السيدة زينب الصغرى)، دخلها التشيع في القرن الثامن للهجرة.

وفي ريف حلب يقطن بعض الشيعة قرية نُبُّل الصغيرة، ولطالما كانت هذه القرية موضع حساسية المجتمع المديني الحلبي، وهو مجتمع معروف بتعصبه الاجتماعي فضلاً عن الديني. وفي إدلب كان يقطن بعض الشيعة قرية الفوعة. وفي حمص في «حي

---

(٨) باستثناء ذلك فإن الوجود الشيعي جميعه جديدٌ وطارئٌ، يرجع في قسم منه إلى إيمان شخصي، وجدل ديني (كما هو الحال في قرية «زرزور» قرب جسر الشغور)، أو يرجع إلى فترة لاحقة مثل الهجرة التي سببتها الحرب الأهلية في لبنان كما في مدينة بصرى.

البياضـة»، وفي قريتي الحميدية وأم العمد يرجع الوجود الشـيعي فيهما إلى القرن الرابع الهجري على أقل تقدير[٩].

ولم يكـن بإمكاننا - بسـبب الوقـت - البحث للتوصل إلى تاريخ ظهور الشـيعة في هـذه المناطـق جميعها، ومـا إذا كانت ترجع إلى ما قبـل ظهور الدولـة الوطنية في العصر الحديث أم بعده.

وحسـب الإحصاءات الرسمية فإن نسبة الشـيعة إلى عدد السكان في سورية كانت في عام ١٩٥٣ تمثل ٤ , ٠ ٪[١٠] من سكان سورية، وهذا يؤكد أن الطائفة الشيعية كانت صغيرة للغاية. وقد طغى على المجتمع الشـيعي حالة من الانغلاق الشـديد، حتى أنه لم يكن قادراً على الإسـهام الجيد في المجال العام؛ لا ثقافياً ولا اجتماعياً ولا سياسـياً حتى السـتينيات. وبينما كان في عزلتـه غارقاً في طقوس عزائه المقيـم وبكائياته المتواصلة على «الإمام المظلوم» الحسين بن علي وفد عليه الشيخ محسن الأمين الحسيني من جبل عامل في لبنان، ليواجه هذا الانغلاق وما صحبه من تصورات دينية سقيمة، ويبث فيهم روح الحياة.

انشـغل الشـيخ الأمين بتصحيح «الانحرافات» التي أصابت الفكر الشيعي الاثني عـشري في دمشـق، وأسـس لهذا الغـرض «المدرسـة العلوية» لإحيـاء التعاليـم الدينية الشـيعية «الصحيحـة» ومواجهـة «الانحرافـات» الأخلاقيـة التـي يجلبها العـصر[١١]، وهـي أول مدرسـة شـيعية في سـورية للتعليم الديني، ومـا تزال قائمـة إلى اليوم، وهي معروفة باسم «المدرسة المحسنية» في حي الأمين. وعلى الرغم من أن الشيخ لم يواجه في

---

(٩) انظر: التأسيس لتاريخ الشيعة، م.س، ص٢٥١.

(١٠) سـوريا بالأرقام: دليل إحصائي شامل (المعطيات الجغرافية والسياسية والتربوية والعسكرية)، المركز اللبناني للدراسات الاستراتيجية، بيروت، ط١، ١٩٨٥، ج١، ص١٢٤-١٢٥.

(١١) ينقل نجله هاشـم عن والده - بشـأن فكرة تاسـيس هذه المدرسة - قوله: «إننا مقبلون على تطور اجتماعي يعم أبناءنـا شـئنا أم أبينـا، فلنقطع الطريـق على ما يرافق التطورات عادة من انحراف وتهور وضياع بإنشـاء مدرسـة تزودهم بما يقضي به هذا التطور من صنوف المعرفة، وتبقيهم في رعايتنا ضمن إشرافنا». انظر: الأمين، هاشـم محسن، وبيضون، عباس. الخيبة والحزب والعزلة، جريدة السفير، بيروت، ١٧-١١-١٩٨١، ص١٠. نقلاً عن: شرارة، وضاح. دولة حزب الله: لبنان مجتمعاً إسلامياً، دار النهار، ط٤، ٢٠٠٦، ص٢٧.

إصلاحاته ممانعة قوية من المجتمع الشيعي الصغير؛ إلا أنه نازع شيوخه على سلطتهم الدينية والاجتماعية، ولقي في سبيل ذلك الكثير من التجريح كما يشير في مذكراته؛ إذ يقول: «وجدنا مجالس العزاء وما يتلى فيها من أحاديث غير صحيحة وما يُصنع في المشهد المنسوب إلى زينب الصغرى المكنَّاة بأم كلثوم في قرية «راوية» من ضرب الرؤوس بالسيوف والقامات، وبعض الأفعال المستنكرة، وقد صار ذلك كالعادة التي يعسر استئصالها؛ لاسيما أنها ملبّسة بلباس الدين». وعندما كان المجتمع الشيعي يذكر إنجازاته فـ«هو الذي شيّد المجالس في دمشق»، كان شيوخ الشيعة يكفرونه: «قد كان هذا عن أول أمره؛ لكنه بعد ذلك خرج من دين الإسلام!» (المذكرات).

توفي الشيخ محسن الأمين عام ١٩٥٢، ودفن في «الحضرة الزينبية» مخلفاً وراءه طائفة بدأت تدب فيها الحياة، متحفزة للمشاركة في المجال العام بعد أن كانت منبوذة ومغلقة على نفسها، يعلوها غبار مئات السنين من التاريخ المطوي؛ لهذا السبب يحظى السيد محسن الأمين لدى الشيعة السوريين باحترام كبير، فهم مدينون له بإحياء الطائفة، وتكريماً له يطلق على أحد الأحياء التاريخية التي يقطنها الشيعة اسم «حي الأمين».

في الستينيات شارك الشيعة في حكومة البعث في الفترة ما بين شباط/ فبراير ١٩٦٦ وتشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٠ عبر حقيبة وزارية واحدة[١٢]، وبعد استيلاء الضباط العلويين الكامل على السلطة، وهو أمر له دلالته الهامة، خصوصاً إذا عرفنا أن حزب البعث امتد إلى لبنان في ذلك الوقت، وأن بين كبار قياداته في لبنان شيعة[١٣].

وعلى أية حال لم يُسجّل للشيعة قبل هذا التاريخ أي مشاركة سياسية، في وقت كان الدروز والمسيحيون والعلويون يسهمون بقوة في الحكومات[١٤] وانقلابات الجيش،

---

(١٢) انظر: Van Dam, Nikolaos. The Struggle for Power in Syria: Politics and Society under Asad and Ba'th Party, I. B. Tauris Publishers, London – New York, third published, 1996, p.83.

(١٣) مثل «علي نادي»، وهو شيعي من بنت جبيل، انظر: شرارة، دولة حزب الله، م.س، ص٧٣، ص٨٣.

(١٤) في فترة الانتداب الفرنسي وتحديداً عام ١٩٢٥ أسس الأخوان يوسف حيدر وسعيد حيدر جريدة «المفيد» التي كان من أبرز محرريها نجيب الريس، وفي مكاتبها انعقد الاجتماع الذي تقرر فيه إرسال الوفد الوطني لمقابلة المفوض الفرنسي السامي الجديد الجنرال ساراي وكانت منبراً لحزب الشعب (الوطني)، وعلى

وبرز منهم ضباط كبار أدّوا دوراً مهماً في تاريخ سورية في مرحلة ما بعد الاستقلال.

حتى ذلك الوقت لم تكن هناك تغيرات ديمغرافية ملحوظة للوجود الشيعي في سورية، وباستثناء بعض حالات التحول (الاستبصار) الفردية في حلب(١٥) وإدلب(١٦) وربما في ريف درعا وغيرها، فإنه لا يوجد تبشير شيعي بالمعنى المنظم ولا بالمعنى السياسي؛ كانت المسألة في ذلك الوقت مجرد قناعات نادرة دينية ومذهبية صرفة.

الرغم من أن اسم الأخوين قد يوحي بشيعيتهما إلا أنه لا وجود لهذه الكنية في العائلات الشيعية في دمشق، وعلى الأغلب هما من العلويين؛ فهذه الكنية تدل على أصول ريفية من جهة، ومن جهة ثانية فإن الكنية شائعة جداً في العائلات العلوية (انظر: الأمين، حسن. غارات على بلاد الشام، دار قتيبة، دمشق، ط١، ٢٠٠٠، ص٢٠٥).

(١٥) يعتبر الشيخ محمد مرعي الأنطاكي (ولد سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٧م في قرية عنصو وهي من القرى التابعة لأنطاكية)، مؤسس التشيع الحديث في مدينة حلب. كان شافعي المذهب، ثم اعتنق المذهب الشيعي الجعفري الإمامي في ثلاثينيات القرن المنصرم، ونشط بالدعوة للتشيع في حلب ومحيطها.

(١٦) في قرية زرزور - والتي تقع شمال جسر الشغور (مدينة تابعة إدارياً لمحافظة إدلب) بحدود سبعة عشر كيلومتراً، قرب الحدود التركية - بدأ التشيع على يد محمد ناجي الغفري، الذي كان قد تأثر بالشيخ محمد مرعي الأنطاكي وأعلن تشيعه عام ١٩٤٥، الأمر الذي يدل على مدى التأثير والنشاط الذي أحدثه الأنطاكي في ذلك الوقت.

الفصل الثاني

موطئ قدم

التحالف ١٩٧٠ - ١٩٩٠

«الطريق إلى القـدس يمر عبر كربلاء، والطريق إلى لبنان يمر عبر العراق»!

هاشمي رفسنجاني، رئيس مكتب حركات التحرر
الإسلامية في الحرس الثوري الإيراني، تموز/ يوليو ١٩٨٢

«العلويـون»[١٧] هم فرع من غلاة الشـيعة انشـقوا عن الطائفـة الإمامية الاثني عشرية، يُنظـر إليهـم في النصوص الإمامية الاثنـي عشرية الفقهية باعتبارهم «كفـاراً»، وهذا ما يقيم جداراً شـاهقاً بين الأصل وانشـقاقه، ولم يكن من المحتمـل أن تقوم أية علاقة بين

(١٧) ترجع تسمية الطائفة بـ«العلويين» إلى الانتداب الفرنسي، فقبل الحرب العالمية الأولى كانت الطائفة تعرف باسم «النصيرية»، انظر: سيل، باتريك، الأسد: الصراع على الشرق الأوسط، لندن، دار الساقي، ط١، ١٩٨٩، ص٣٢.

العلويين والشيعة الاثني عشرية لأسباب دينية محضة حتى وقت قريب.

الانتماء إلى أقلية دينية[١٨] من هذا النوع كان له عمق كبير في شخصية حافظ الأسد، وعلى الرغم من انتمائه اليساري (فهو من الفصيل اليساري لحزب البعث) فإنه «كان يشارك أبناء طائفته عواطفهم في السخط على الماضي (...) وكان عليه أن يعمل بجد لإقناع المتشككين بأنه قد خلف عُقَدَ الأقلية وراء ظهره، وبأنه ملتزم جسداً وروحاً، قلباً وقالباً بالتيار القومي الرئيسي العام»[١٩]. لكن الأحداث أثبتت أنه كان غير ذلك، فقد كانت غريزته الطائفية أقوى من قوميته بما لا يقاس؛ إذ عمل الأسد ورفقاؤه في «اللجنة العسكرية» على علونة حزب البعث وعلوَنة السلطة. وقد بدأت عملية تطييف الجيش والبعث منذ انقلاب البعث في ٨ آذار/ مارس ١٩٦٣، واشتدَّت مع تسلُّم الأسد وزارة

مؤسس هذه الفرقة هو أبو شعيب محمد بن نصير النميري البصري (توفي ٢٦٠ هـ) الذي عاش في العراق وادعى أنه الباب للإمام الحادي عشر الحسن العسكري وهو الذي جمع عقائد الفرق الشيعية المتطرفة ليصوغ منها المعتقدات النصيرية التي اتسمت بالسرية وأهمها تأليه الصحابي علي بن أبي طالب والقول بالتناسخ وتأويل كل الأوامر الشرعية بأن لها باطناً يخرجها عن مفهومها الشرعي، وجاء بعده محمد الجنبلاني الذي رحل من إيران إلى مصر وهناك تبعه الحسين بن حمدان الخصيبي الذي حاول نشر مبادئ هذه الفرقة عندما استقر في حلب أيام الدولة الحمدانية. انظر عبد الرحمن بدوي: مذاهب الإسلاميين، ط دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٧، وانظر أحمد محمد جلي: دراسة عن الفرق، الرياض ١٩٨٨.

حول شخصية الخصيبي ومرجعيته للعلوية انظر كتاب: الخصيبي، أبي عبد الله الحسين بن حمدان، الهداية الكبرى، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٤، ١٩٩١، ص ٧، ص١٤، ص٣٢٣.

(١٨) الطائفة العلوية هي أكبر أقلية دينية في سورية، فنسبتها - حسب الإحصاءات الرسمية حتى عام ١٩٨٥ - (١١,٥) ٪ الأقليات الأخرى: الدروز (٣ ٪) والإسماعيليون (١ ٪) والمسيحيون (٨ ٪)، والشيعة (قرابة ٤,٠ ٪)، والباقي مسلمون سنة (٧٦,١ ٪). انظر إحصاءات الأعوام ١٩٥٢، ١٩٦٠، ١٩٦٣، ١٩٧٥، ١٩٨٢، ١٩٨٣ في: سوريا بالأرقام، المركز اللبناني للدراسات الاستراتيجية، م.س، ج١، ص ص١٢٤، ١٢٥، ج٢، ص ص ١٢٧، ١٢٨. وهناك بعض الباحثين من يشكك في دقة هذه النسب ويرى أن نسبة السنة في سورية لاتقل عن ٨٠٪. وقارن أيضاً: Van Dam, The Struggle for Power, Ibid, p.1

وهو يعزو إلى:

Gabriel Baer, Population and Society in the Arab East, London, 1964, p. 109.

J.C. Dewdney, 'Syria: patterns of population distribution'. In J. I. Clarke & W.B. Fischer (eds) Populations of the Middle East and North Africa, New York, 1972, pp. 130-42.

E. Wirth, Syrien: Eine Geographische Landeskunde, Darmstadi, 1971, pp. 170. 171.

(١٩) سيل ،الأسد، م.س، ص٤٥.

الدفـاع في عهد نور الدين الأتـاسي (ظل صلاح جديـد) (١٩٦٦-١٩٧٠)[٢٠]، وبلغت ذروتها بعد انقلاب الأسد، واستيلائه على السلطة، وكان لذلك أن يستثير الغريزة الطائفية السنية التي تتم عملية إزاحتها من الجيش والسلطة، ويفجر أسوأ أحداث عنف شهدتها سورية في تاريخها بين عامي ١٩٧٨-١٩٨٢ وما يزال أثرها قائماً إلى اليوم.

أولاً: «القومي» الذي كان ضد القومية! (١٩٧٠- ١٩٨٢)

لم تلتـق الأقليتـان السـوريتان (أكـبر أقلية دينيـة: العلويـون النصيريـون، وأصغر أقلية دينية: الشـيعة الاثني عشرية) الواقعتان بحجمهما على طرفين متقابلين من المجتمع؛ فما تزال الأصول الاعتقادية النصيرية – بالنسـبة للشـيعة على الأقل – خارج دائرة الإيمان «الصحيـح». وتؤكـد الدراسـة التـي أجراها «المجلـس الوطني للحقيقـة والمصالحة في سـورية» أن الشـيخ العلوي عبد الرحمن الخَيِّر (١٩٠٣-١٩٨٢م/ ١٣٢٢-١٤٠٢هـ) أول من بدأ حركة التشـييع في سـورية عبر نشر التشـيُّع في طائفته العلوية النصيرية، غير أن هـذا ليـس دقيقاً. فمـن جهة يجب التمييز بين التشـيُّع وبين حركة إصلاحية تتوسـل بأصولها الشـيعية لفك عزلتها، ووفقاً لتأريخ الشـيخ الخَيِّر «ليقظة العلويين» فإن تاريخ هذه الحركة يرجع إلى منتصف ثمانينيات القرن التاسع عشر!

ومن جهة ثانية فإن كتابات الخَيِّر أيضاً، وكتبه المنشـورة لا تشـير إلى تبشـير شـيعي بالمعنـى الدقيـق، بقدر ما تشـير إلى محاولة إكسـاء العقائـد العلوية قدراً مـن الشرعية في المجتمع السـني الإسـلامي الكبير عبر شرحها بمفاهيم ومصطلحات شـيعية جعفرية،

(٢٠) على سـبيل المثال: شـكل الضبـاط من منطقة اللاذقية أعلى نسـبة تمثيل بيـن الأعضاء العسـكريين في القيادة القُطريـة لحـزب البعـث، فقد وصلت إلـى ٤٩٪ بعد انقلاب البعثييـن في ٨ آذار/ مـارس ١٩٦٣، وبالنظر إلى الأقليـات الدينيـة فإن تمثيـل الضباط العلويين فـي الفترة بعد انقـلاب البعث في ٨ آذار/ مـارس ١٩٦٣ وقبل انقلاب صلاح جديد – بالقيادات القُطرية السـورية كان على أشـده حيث وصل في المتوسط إلى ٣٧,٧٪ يليه الدروز (٤,٩٪) ثم الإسماعيليون (٤,٩٪)، وتم تمثيل الضباط السنيين بنسبة ٤٣,٤٪. ووصلت هذه النسبة إلى ٦٣,٢٪من ضباط اللاذقية في عهد صلاح جديد، انظر:
Van Dam, The Struggle for Power, Ibid, p. 79.

فمعظم مؤلفاته هي تعريف بالعلويين وعقائدهم، وهي تُوزع بكثافة مثيرة للانتباه في الأكشاك العامة والمكتبات في دمشق وبعض المدن الأخرى. كل ما يمكن قوله بصدد الشيخ الخيِّر وجهوده، أنه عمل على محاولة كسر الجليد بين الطائفتين (النصيرية والإمامية الاثنى عشرية)، ولا يبدو أنه مارس تبشيراً شيعياً صرفاً. فقد كان حريصاً على بقاء الطائفة العلوية واستمرارها عبر ضخ الدم الشيعي فيها، وحاول أن يمدها بأسباب البقاء نظرياً، كما الكثيرين قبله، مثل أستاذه الشيخ سليمان الأحمد؛ وإن كان ذلك لا يعني أن هذه التصورات الجديدة لم تؤدِّ إلى إعادة قسم من الطائفة إلى أصلها الشيعي، وأن الشيخ الخيِّر ذاته ربما تشيّع رسمياً وإن ظل يتحدث باسم الطائفة النصيرية.

الأقليتان (العلوية النصيرية والشيعة الاثنا عشرية)

في مطلع السبعينيات وفي ظل استقطاب سياسي سني - مسيحي واحتقان طائفي نظر فيه الشيعة والدروز لأنفسهم على أنهم الطرف المحروم من الكعكة السياسية التي حُصرت بين السنّة والمسيحيين الموارنة في لبنان كان الأسد يرنو بنظره إلى هناك متطلعاً إلى نفوذ فيه، فلطالما كان لبنان معقل تخطيط الانقلابات السورية. ثم إن الأسد كان قد استفاد من دروس حربي ١٩٦٧ و١٩٧٣ مع الإسرائيليين، فبعد خسارة الجولان عرف أن الخاصرة الرخوة لسورية بالنسبة للعدو الإسرائيلي تكمن في لبنان، لهذا السبب كان حريصاً على مد علاقاته مع القوى والزعامات الدينية والسياسية في لبنان.

لا أحد يعرف بالضبط كيف تعرف الأسد على رئيس المجلس الشيعي الأعلى في لبنان الإمام موسى الصدر[٢١] (الإيراني اللبناني) وانعقدت بينهما صداقة حميمة، وليس

(٢١) عالم دين إيراني ،ولد في قم ،ودرس في النجف الأشرف، قدم لبنان عام ١٩٥٩ بناء على طلب آل شرف الدين من أهالي جبل عامل لخلافة عالمهم الذي توفي شاباً عبد الحسين شرف الدين (ت ١٩٥٨). أصبح أهم الزعامات الشيعية في التاريخ اللبناني الحديث، وإليه يعود الفضل في تحشيد الشيعة للمطالبة بحقوقهم السياسية (فقد كانوا مهمشين ومحرومين من الامتيازات التي تتمتع بها الطائفتان الكبيرتان: السنّة والموارنة) وإدخالهم في معترك الصراع على السلطة. أسس لهذا الغرض «حركة المحرومين» السياسية عام ١٩٧٤، والجناح العسكري لها «أمل» (الحروف الأولى من عبارة «أفواج المقاومة اللبنانية») عام ١٩٧٥. اختفى

من المستبعد أن تكون زعامات دينية من الطائفة العلوية (مثل الشيخ الخيِّر) هي التي كانت سبباً في هذه العلاقة؛ فقد كانت للصدر علاقات جيدة بهم، وقد زار جبال العلويين مراراً. لكن من الواضح أيضاً أن العلاقة كانت ذات أبعاد سياسية يحاول الأسد من خلالها دعم الشيعة لاقتسام الكعكة السياسية وأخذ نصيبهم منها، فيما هو يسعى لنفوذ داخل القوى الناقمة، فالأسد أقام علاقات صداقة مع المسيحيين الموارنة، ولديه بطبيعة الحال علاقات مع بعض الأطراف الفلسطينية، وقد استثمر ذلك كله في الدخول إلى لبنان عام ١٩٧٦ (بموافقة أمريكية وتبعاً إسرائيلية، كما تشير الوثائق) عشية اندلاع الحرب الطائفية.

سرعان ما احتاج الأسد إلى موسى الصدر، ففي ٣١ كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣ نُشرت مسوَّدة الدستور السوري الجديد، الذي صممه الأسد ليكون أساساً لحكم طويل المدى، ويعتبر من أسوأ الدساتير التي وضعت في تاريخ سورية منذ نشوئها كدولة وطنية. حذفت في هذا الدستور المادة التي تشترط أن يكون «رئيس الجمهورية مسلماً»، فأثار ذلك موجة احتجاجات عمت سورية، لا سيما في مدينة حماة (التي سيكون لها تاريخ دموي رهيب مع قوات الأسد)، وعلى الرغم من تراجع الأسد عن حذف المادة إياها، فإنه واجه مشكلة فيما بعد تتلخص في أن العلويين لا يعتبرون مسلمين لا عند السنة ولا عند الشيعة!! وبالتالي فالأسد لا ينطبق عليه الشرط الدستوري للرئاسة، وعليه أن يتنحى! أصبح هذا حديث الشارع السوري (ذي الأغلبية السنية) وأحد شواغله الرئيسية. لجأ الأسد إلى صديقه الزعيم الشيعي الإمام موسى الصدر، فأصدر له (في تموز/ يوليو ١٩٧٣) فتوى تقول بأن العلويين مسلمون، وهم طائفة من الشيعة[٢٢].

أثناء زيارته ليبيا في آب/ أغسطس ١٩٧٨. ومازال اللبنانيون الشيعة إلى اليوم يطالبون بمعرفة حقيقة غياب الصدر.

انظر: سيل، الأسد، م.س، ص٤٤١، ص٥٧٣. ويستند سيل في معلوماته عن الصدر إلى: عجمي، فؤاد. الإمام المختفي: موسى الصدر والشيعة في لبنان، طبع إيتاكا ولندن، ١٩٨٦.

وانظر أيضاً: شرارة، دولة حزب الله، م.س، ص٤٤.

(٢٢) انظر: J. Agha, Hussein & S. Khalidi, Ahmad, Syria and Iran: Rivalry and Cooperation, The Royal Institute of International Affairs, London, 1995, p.3.

و: سيل ،الأسد، م.س، ص٢٧٩.

مهما كانت قوة أو ضعف أثر هذه الفتوى على الشارع السوري، إلا أن مصطلح «شيعي» برز لأول مرة في المجال السياسي السوري وطرق أسماع السوريين بهذه الفتوى.

وفود عمائم الشيعة

في مطلع السبعينيات لجأ إلى سورية عدد من علماء الدين الشيعة هرباً من بطش النظام العراقي (البعثي اليميني) إلى دمشق (حيث النظام البعثي اليساري)! كان من بينهم الشيخ حسن مهدي الحسيني الشيرازي[٢٣]، الذي عانى في السجون العراقية إلى أن تمكن من الخروج إلى سورية بعد لأي. أقام الشيرازي في قرية سنية بجوار مقام كان لا يزال غير معروف بشكل واسع في ذلك الوقت، هو مقام السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب، الذي أصبح فيما بعد أشهر مقامات الشيعة وربما أهمها بعد النجف وكربلاء. وأسس حسن مهدي الشيرازي عام ١٩٧٦ حوزة علمية للتعليم الديني، عُرفت بـ«الحوزة الزينبية»، وهي أول حوزة للتعليم الديني (العالي) للشيعة في سورية.

وكان الشيخ الشيعي (العراقي من أصل إيراني) حسن مهدي الشيرازي قد أفتى في شباط/ فبراير ١٩٧٣ (١١ ذي القعدة ١٣٩٢هـ) بـ«أن (العلويين) و(الشيعة) كلمتان مترادفتان مثل كلمتي (الإمامية) و(الجعفرية)، فكل شيعي هو علوي العقيدة، وكل علوي هو شيعي المذهب» وذلك في تقديمه لوثيقة شهيرة لثمانين شيخاً من الطائفة العلوية بينوا فيها «عقيدتهم» صدرت في ذلك الوقت. لكن حجم الشيخ حسن الشيرازي لم يكن إلى حد يسمع بمقارنته بحال الزعيم موسى الصدر، ولم يكن الشيخ الشاب أساساً في موقع مرجعية دينية تمكنه من الفتوى، لهذا لم يكن لما قاله صدى. وللتعريف بالشيرازي انظر الهامش التالي رقم ٢٣.

(٢٣) الشيخ حسن الشيرازي (١٩٣٥-١٩٨٠): عالم دين عراقي من أصل إيراني، الأخ الأصغر للمرجع الشيعي آية الله العظمى محمد الشيرازي، مناضل أصولي، اعتقل مرات عدة في العراق وانتقل إلى سورية. حمل فكرة أخيه في استعادة الفرع الشيعي (العلويين النصيريين) إلى المذهب الأم (الجعفرية الاثني عشرية)، ولعب دوراً رئيسياً في تأسيس تيار للتشيع في أوساط الطائفة العلوية (النصيرية) في سورية بتوجيه من أخيه المرجع. اغتيل في لبنان عام ١٩٨١، ويُنسب اغتياله إلى المخابرات البعثية العراقية.

ينحدر حسن الشيرازي من أسرة دينية إيرانية عريقة من منطقة شيراز، التي لعبت دوراً في تاريخ إيران الحديث، فمنها المرجع الديني الكبير السيد محمد حسن الشيرازي قائد ثورة التنباك الشهيرة في إيران إبان الاستعمار البريطاني، والمرجع الديني الميرزا محمد تقي الشيرازي أحد قادة ثورة العشرين التي اشترك بها السنة والشيعة ضد الاحتلال العسكري البريطاني في العراق.

كان تأسيس الحوزة – من وجهة نظر الشيرازي – «في سورية جبراً للتّاريخ الأمويّ والتاريخ الماضي»[٢٤]، و«لإحياء مذهب أهل البيت (عليهم السلام) في عاصمة الأمويّين أعداء أهل البيت (عليهم السلام)»![٢٥] على حد تعبير حسن الشيرازي نفسه.

تعتبر الحوزة الزينبية الآن أهم الحوزات العلمية في سورية وأكثرها نشاطاً وتأثيراً، وطلابها من لبنان، وشيعة السعودية والخليج، والأردن، والعراق، وسورية، وباكستان، وأفريقيا، وأفغانستان[٢٦]. وكان الشيرازي المناضل الأصولي والمبشر يرى أن «سورية هي بوابة إلى العالم العربي وإلى العالم بأسره؛ فهي كانت ولا زالت جسراً بين العالمين الإسلامي والعربي». فاستثمر الشيرازي هذا الموقع الاستراتيجي بإنشاء الحوزة العلمية في السيدة زينب. واليوم يرى الشيعة أن «يوم افتتاح الحوزة [كان] فتحاً للشيعة ولعلمائهم؛ حيث استطاعوا أن ينفتحوا على العالم (...) فعبر هذه الحوزة أنشئت حوزات في السعودية وأفريقيا ولبنان، حيث استطاعت (...) أن توجد تياراً من العلماء يقومون بأعمال التثقيف والتعليم [الديني الشيعي] في مختلف المدن السورية»[٢٧].

وإذا كانت الحوزة الزينبية بدأت تمارس دوراً خطيراً في التبشير الشيعي في سورية وجوارها منذ ذلك الوقت، فإنه لا يبدو أن الشيرازي استطاع أن يوجه جهده التبشيري للداخل السوري السني بقدر ما وجهه للداخل السوري العلوي، وإلى دول الجوار: لبنان ودول الخليج لمساندة الأقليات الشيعية هناك، ولكنه قام برحلات تبشيرية إلى أفريقيا (سيراليون وساحل العاج على وجه الخصوص)، وتبنى «في هذه الرحلات إيفاد مجموعة من الطلبة للدراسة في الحوزات العلمية في بيروت و[الحوزة] الزينبية ثم العودة

(٢٤) مقابلة لموقع «الشيرازي نت» (الموقع الرسمي للمرجع الشيرازي وأخويه) مع تلميذه الأفغاني «محمد علي العلوي». انظر المقابلة على الرابط:
http://www.alshirazi.net/leqaat/leghaat/legha/shahid/008.htm

(٢٥) نقلاً عن تلميذه الأفغاني، انظر المصدر السابق نفسه.

(٢٦) انظر :مقابلة مع الشيخ جلال معاش (عراقي، مدير الحوزة الزينبية)، صحيفة «الوطن» الكويتية، ١-٦-٢٠٠٧.

(٢٧) انظر الرابط، والذي يتضمن أيضاً سيرته الذاتية: http://rabe3_ala7rar.tripod.com/Subject.html

إلى إفريقيا لغرض التدريس وتأسيس المشـاريع الإسـلامية»[٢٨] بهدف التبشير وتنفيذاً لفكرة شقيقه في استعادة الفروع العلوية إلى أصلها الجعفري الإمامي.

بالتأكيد إذاً لا يعود انكفاؤه عن التبشير في الوسط السني السوري لحسن نواياه تجاه أهل البلد المضيف، بقدر ما كان الوضع في المجتمع السـوري هو السبب؛ فقد تزايدت نقمة الأكثرية السنية بسبب العلونة المنهجة للجيش والحزب التي مارسها حافظ الأسد ورفاقه منذ استيلاء البعث على السلطة في ٨ آذار/ مارس ١٩٦٣ واستيلائهم على حزب البعث في الوقت نفسه. وفي هذا الوقت الذي أخذ الاحتقان الطائفي يتصاعد بشدة قدم الشـيعةُ مساندتهم للأسد ممثلة بفتوى موسى الصدر عن العلوية والشيعة، ولا يبدو أنه كان لدى حافظ الأسد - في ذلك الوقت - مانع من أي نشاط تبشيري شيعي في ظرف كان يدافع فيه عن شيعية الطائفة العلوية لترسيخ موقعه في الرئاسة، وكان يأمل فيه ربما - ولكن على نحو أقل أهمية - بمسـاعدة الطائفـة العلوية بإخراجها من عزلتها العقدية الاجتماعية[٢٩].

---

(٢٨) المصدر نفسه.

(٢٩) يروي الشـيخ إبراهيم حسـن النجار (أحد شـيوخ العلويين) هذه القصة الدالة على علاقة الأسد بشيوخ الطائفة ذوي النزعـة الشـيعية والملالـي الشـيعة في تلك الفتـرة: «كنّا خلال السـبعينات، وذلك إمّا في عـام ١٩٧٥ أو ١٩٧٦ مع المرحوم الأستاذ أحمد الخيِّر في سفرة إلى دمشق، ومنها قمنا بزيارة مقام السيدة زينب عليها السلام حيث التقينا هناك بسـماحة المغفور له الشـهيد السـيد حسـن الشـيرازي قدس سره، فطلب السـيد من الأستاذ أحمد الخيِّر (علماً أنّ الأستاذ أحمد الخيِّر هو أستاذ حافظ الأسد) أن يحدّد موعداً لزيارة الرئيس حافظ الأسد. فقال: لا مانع؛ تفضّل، وسأحدّد لك موعداً.

وفي اليوم التالي ذهبتُ وأنا بمعيّة المرحوم الأسـتاذ أحمد الخيِّر وآية الله الشـهيد السـيد حسـن الشيرازي إلى زيارة الرئيس حافظ الأسـد. فقال السـيد الرئيس ضمن حديثه وهو يخاطب السـيد الشـيرازي: يا سيد أنت في حمايتنا في سورية، ونحن في خدمتك واحترامك ونحافظ عليك، ولكن قلّل من ذهابك إلى لبنان، ففيها هناك مؤامرات عليك وخطر على حياتك، فابق عندنا. فأجابه السـيد: «واسـحق جباه الملحدين مردّداً لا السـجن يرهبنـي ولا الإعـدام»! فقال الرئيس له: وعلى كلّ حال فأنت من سـلالة أهل البيـت الطيبين الطاهرين وقلبك قوي، ولكن هذا رأيي».

الشيخ إبراهيم النجار (أحد العلويين المؤسسين للجمعية الجعفرية في اللاذقية سنة ١٩٥٠، وأحد موقعي بيان العلويين ١٩٧٣)، مقابلة أجراها معه موقع «الشيرازي نت» بتاريخ ٢٥ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥. انظر اللقاء على الرابط: http://www.alshirazi.net/leqaat/leghaat.htm

الثورة الإسلامية في إيران والصدام مع إسلاميي سورية

«لا شيء يحرجنا في هذا البلد، فقد تجاوزنا العقد وتحررنا منها منذ وقت طويل»[٣٠]، كان هذا ما قاله الأسد رداً على الانتقادات التي طالته؛ لأنه ذهب إلى لبنان ليواجه المسلمين (السنة والفلسطينيين) حماية للمسيحيين في لبنان. لم يكن بالتأكيد متحمساً للمشروع المسيحي في لبنان، كان متحمساً فقط لوجود قوي وهيمنة سورية على لبنان. وعلى أية حال لعبت ميوله الطائفية دوراً مهماً في علاقته بآيات الله في إيران، فقد كان «لها أيضاً جذور في خلفيته كأحد أبناء طائفة منشقة من التشيع، وفي شعوره بالتعاطف مع رجل دين من أصول ريفية ومن أقلية كالشيعة المحرومين في لبنان» كما يقول كاتب سيرته وصديقه الشخصي باتريك سيل[٣١].

في صيف ١٩٧٦ عندما دخل جيش الأسد إلى لبنان أسدى إليه موسى الصدر خدمة أخرى؛ إذ أبقى الطائفة الشيعية اللبنانية خارج ائتلاف كمال جنبلاط اليساري، الذي كان الأسد يحاول كبحه وإخضاعه آنذاك[٣٢]، أصبح الأسد مديناً للصدر مرتين، وكان عليه أن يرد الدين يوماً ما.

لعب الصدر دور صلة الوصل بين المعارضة الإيرانية المتمثلة بمعسكر الخميني وبين الأسد، فمدَّ لهم يد المساعدة[٣٣]، وعرض على الخميني النزول في ضيافة سورية في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٧٨ عندما أُخرج من العراق، ولكنه فضَّل أن يستقر في «نوفل لو شاتوه» قرب باريس. جاءت دعوة الأسد في وقت بدأ يواجه معارضة إسلامية سنية مسلحة.

---

(٣٠) سيل، الأسد، ص٤٦١، نقلاً عن: ملخص الإذاعات العالمية عن الشرق الأوسط من محطة الإذاعة البريطانية، العدد ٥١٨٥، يوم ١٤ نيسان/ أبريل ١٩٧٦.

(٣١) سيل، الأسد، ص٥٧٢.

(٣٢) المصدر نفسه، ص٥٧٣.

(٣٣) ساعد بعض المقربين من الخميني، مثل :إبراهيم يزدي، ومصطفى شمران، وصادق قطب زاده، فأعطى - على سبيل المثال - قطب زاده جواز سفر سورياً مكنه من القيام بنشاط معاد لنظام الشاه تحت مظلة العمل كمراسل صحفي في باريس لجريدة الثورة السورية اليومية.

كان الأسد يشعر بالخوف من المعارضة الإسلامية السنية المتعاظمة في الداخل، وكان يراقب بانتباه انقضاض الإسلاميين الشيعة على الشاه بقيادة الشيخ الشيعي آية الله الموسوي الخميني، لكنه على الرغم من أن دروس المعارضة الداخلية جعلته حذراً من النوم مع الإسلاميين تحت سقف واحد، إلا أنه مع ذلك أقام علاقات استثنائية مع الخميني، فما إن انتصرت الثورة الإيرانية حتى أوفد وزير خارجيته السُّني عبد الحليم خدام في آب/ أغسطس ١٩٧٩ مهنئاً وكان قد سبقه وزير الإعلام العلوي أحمد اسكندر أحمد بهدية من الأسد؛ هي نسخة من القرآن الكريم مزخرفة بالذهب.

ومع أن الأسد ظل على الدوام يرفع الشعارات القومية، إلا أنه كان ينقضها باستمرار وفقاً لمصالحه ومصالح طائفته الخاصة. فقد متّن علاقته بالخميني لأسباب سياسية وغير سياسية[٣٤] تخوفاً من عدوه الرئيس العراقي صدام حسين وطموحاته، واستثماراً للتغيرات الاستراتيجية التي حصلت في المنطقة بعد سقوط الشاه وخروج مصر من الصراع العربي - الإسلامي بعد توقيع معاهدة كامب ديفيد. وفي الوقت نفسه كان الأسد بتحالفه مع الخميني يفكر في معاقبة الدول السنية التي دعمت انتفاضة الإخوان المسلمين التي ظل يعاني منها حتى عام ١٩٨٢، خصوصاً الأردن التي آوت قيادات الإخوان، والسعودية أيضاً.

فشل تصدير الثورة الإيرانية

«إنكم تعرفون ماهية حزب البعث الكافر هذا (...) فإذا أعطيتم الفرصة لهذا الحزب الكافر فسوف لا يمضي وقت طويل إلا ويدمر أضرحة أئمة الإسلام ومشايخ وأئمة الشيعة والسنة، إن عدو هؤلاء الحقيقي هو الإسلام والقرآن، وإن هؤلاء يعتبرون الإسلام منافياً ومخالفاً لهم ولأهوائهم الشخصية. إن عفلق ومؤيديه لا يعتقدون بأي

(٣٤) انظر حول جملة الأسباب السياسية والاقتصادية لموقف الأسد:
J. Agha, & S. Khalidi, Ibid, Syria and Iran, pp.9-10.
شرارة، دولة حزب الله، م.س، ص٣١٦.
سيل، الأسد، م.س، ص ص٥٧١-٥٧٥.

دين ومذهب»[٣٥]، كان هذا جزءاً من كلام الخميني المفترض أنه حليف الرئيس الأسد الذي يحمل صفة الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي في سورية!

الواقع أن الأسد – على ما يبدو – لم يكن متحمساً كثيراً للخميني؛ إذ كان يرى فيه أصولياً، والأسد ما كان متديناً أبداً، بل كان علمانياً، وطائفيته طائفية سياسية لا تتعلق بأي قناعات دينية. لهذا السبب فبقدر ما كانت العلاقة مع الزعيم الشيعي الأكبر (الخميني) ذات وظائف سياسية كانت في المقابل لا تتضمن بعداً دينياً، بل إن الأسد حرص على ضبط العلاقة في هذا الإطار.

قام الأسد بمجازر وجرائم إبادة ضد شعبه في المدن السورية (وبشكل خاص: حلب وإدلب وحماة) في سياق محاولة قمعه الإسلاميين قمعاً وحشياً للتخلص منهم دون رجعة. وقد لقي الأسد تغطية أمريكية؛ وهو الذي كان دخل لبنان بصفقة أمريكية إسرائيلية. وقد أسدى ملالي إيران خدمة للأسد بصمتهم المطبق عما فعله من مذابح ومجازر ١٩٨٠–١٩٨٢، وذلك على الرغم من أن إيران رفعت شعار تصدير الثورة ومناصرة الحركات الإسلامية التحررية[٣٦] من الأنظمة الظالمة و«الكافرة» مثل النظام البعثي! ولا بد أن الأسد كان ممتناً ومديناً لهم بذلك بالتأكيد.

كيف يمكن للنظام أن يتبع سياسة في حماة وسياسة أخرى في طهران؟ أكان الصراع مع الإخوان المسلمين بكامله مجرد شيء صوري فارغ بلا التزامات عقدية؟ أليس مشايخ إيران رجعيين ومتعصبين مثل الإسلاميين الذين قاتلهم الأسد في سورية؟

---

(٣٥) الخميني (قائد الثورة الإيرانية)، خطاب للشعب العراقي والجيش العراقي، ٦ ذي الحجة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م).

(٣٦) خصص قادة الثورة مكتباً في الحرس الثوري (باسيج) لدعم حركات التحرر الإسلامية باسم «مكتب حركات التحرر الإسلامية» وكان يرأسه في البداية هاشمي رفسنجاني والذي أصبح فيما بعد رئيساً للجمهورية. قد يكون بالإمكان تفسير موقف إيران تفسيراً مذهبياً، فالخميني وملاليه متعصبون لشيعيتهم، ولكن الأرجح أنه كان نفاقاً سياسياً لحفظ مصالحهم في التحالف مع الأسد ضد العراق ومن ورائه الأنظمة العربية؛ لأنهم في ذلك الوقت ليس لديهم موقف متشدد إزاء الإخوان المسلمين.

كانت هذه التساؤلات التي أطلقها الجنرال رفعت الأسد[٣٧] (نائب الرئيس، وعضو القيادة القُطرية لحزب البعث، وقائد سرايا الدفاع) بعد أن بدأ يُنحَّى من مناصبه شيئاً فشيئاً إثر محاولته الانقلابية على أخيه في ٣٠ آذار/ مارس ١٩٨٤. كان رفعت محقّاً، ولكن حافظ الأسد - الذي استفاد كثيراً من دعمه لإيران، عبر إقامة محور «سوري - إيراني»، بالإضافة إلى محوره المتمم «االسوري - الشيعي»[٣٨] - كان يقظاً جداً، فهو بالتأكيد يخشى من فكرة تصدير الثورة، خصوصاً وأن الخمينيين يضمرون أنه بعثي «كافر». ورغم كل الود الذي أظهره الإيرانيون للأسد، فإن الأسد بقي حذراً لا يأمن جانبهم. ومن المهم ملاحظة أن عشر سنوات من دولة مرشد الثورة الخميني لم تجعل الأسد يزور الإمام الخميني[٣٩] أو يلتقي به لأي سبب كان، على الرغم من التزايد المطرد في تقوية المحور السوري - الإيراني.

ثانياً: تشكيل المحور السوري الإيراني (١٩٨٢- ١٩٩٠)

حتى من الناحية السياسية لم يكن الأسد واثقاً جداً من آيات الله في طهران، فـ «فضيحة إيران-كونترا» عام ١٩٨٦ التي كشفت عن صفقة تسليح إسرائيلية إيرانية[٤٠] بقيمة ١٠٠ مليون دولار بدءاً من عام ١٩٨٠ (تاريخ اندلاع حرب الخليج الأولى) - والتي كشف الأسد نفسه خيوطها[٤١] - هزته بعنف، وشككته بقوة في إمكان الاعتماد على

(٣٧) سيل، الأسد، م.س، ص٧٠٦.

(٣٨) المصدر نفسه ،ص.٥٩٢

(٣٩) ولم يلتق الأسد أياً من رؤساء إيران في عهد مرشد الثورة (١٩٧٩-١٩٨٩)، سواء الرئيس أبو الحسن بني صدر (١٩٧٩-١٩٨١) أو الرئيس علي خامنئي (١٩٨١-١٩٨٩) (مرشد الثورة الإيرانية الحالي، وثالث رئيس للجمهورية)، باستثناء زيارة الرئيس خامنئي لسورية في أيلول/ سبتمبر ١٩٨٤.

(٤٠) انظر: سيل، الأسد، م.س، ص ص ٧٨٠-٧٨٩.

(٤١) سرَب الأسد خبر الصفقة الفضيحة عبر مجلة الشراع (اللبنانية) التابعة لحركة أمل، ونشرته في ٣ تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٨٦، وكان أصل القضية أن بعض كبار موظفي البيت الأبيض في إدارة الرئيس رونالد

إيران في المواجهة الإسرائيلية مع ملالي لا يتورعون عن صفقات مشبوهة مع العدو، كما أن حادثة خطف السفير السوري في طهران إياد المحمود (في ٢ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٦) من قبل جماعة إيرانية شيعية متطرفة يقودها مهدي هاشمي عززت المخاوف والريب لدى الأسد من ملالي الشيعة.

لم يكن الأسد في حقيقة الأمر يُسر لرؤية اللحى الشيعية الراديكالية الشعثاء في جبال لبنان وشوارع طهران، بل إنه كان يخشى أن يراها في شوارع دمشق؛ فهي تستثير مخيلته لتسترجع أحداث الثمانينيات الدموية، وتنقله من جهة أخرى إلى مشهد انقضاض الملالي على شاه إيران العلماني. وبحساباته السياسية – في الاستفادة من النزعة الدينية العنيفة للعب أدوار ونفوذ في المنطقة، وغريزته السياسية – قرر أن لا يسمح للملالي في طهران وتابعيهم في لبنان بتصدير ثورتهم إلى دمشق.

كان هذا أحد الأسباب التي جعلت الأسد حتى التسعينيات لا يسمح لأي من أعضاء حزب الله وقياداته بدخول سورية؛ إذ كان يعرف جيداً أنهم خمينيون يؤمنون بتصدير ثورة إمامهم في طهران، فضلاً عن أن «أساليبهم تمحو خط التمييز الفاصل بين نضال العرب المشروع من أجل التحرر الوطني، وبين الإرهاب»، وإن كان يريد الاستفادة «من كل ذرة من التصلب الشيعي»[٤٢] في مواجهة إسرائيل في جنوب لبنان.

كان الأسد يقظاً للغاية، يحاول بكثير من الانتباه منع التبشير بالتشيُّع لمنع أفكار الثورة الإيرانية من التقدم إلى بلاده، وكان بانتظام وإصرار يلجم التواجد الإيراني. وفي كل مرة يشعر بتزايد النشاط الإيراني الشيعي يعمد إلى اتخاذ إجراءات لمواجهة تغلغل المؤسسات الإيرانية في المجتمع السوري، كإغلاق المعاهد والمؤسسات وحتى

ريغان كانوا يأملون ببيع سلاح أمريكي عن طريق الإسرائيليين – وربما بالموافقة على بيع السلاح الإسرائيلي إلى إيران – الإفراجَ عن الرهائن الأمريكيين ببيروت! وفي نهاية آب/ أغسطس من عام ١٩٨٥ أقلعت من تل أبيب إلى طهران أول طائرة محملة بقذائف «تاو» ولكن هذه المرة بموافقة الولايات المتحدة، بعد أن كان يتم نقل الشحنات من تل أبيب إلى طهران بإرادة إسرائيلية متفردة منذ عام ١٩٨٠. ولم يُعرف حتى اليوم ما إذا كانت الأسلحة أمريكية الصنع أم معها أسلحة إسرائيلية الصنع أيضاً.

وكان تسريب الأسد للخبر معاقبة للإيرانيين على سوء تصرفهم معه وعدم وقوفهم إلى جانبه في أزمة طائرة إل عال (١٩٨٦–١٩٨٧).

(٤٢) انظر :سيل ،الأسد، م.س، ص٧٥٩.

المستوصفات الممولة إيرانياً دون أن يقدم الأسباب، وباستمرار كانت تحركات السفير الإيراني والملحق الثقافي ومستشاره توضع تحت المراقبة. كان الأسد حازماً في ذلك، فقد كان دقيقاً في إدارة العلاقة مع إيران الشيعية: محور سياسي خالص يلعب دور توازن في القوى الإقليمية لمصلحته ومصلحة النظام الإيراني وليس أكثر من ذلك.

جمعية المرتضى «قائد المسار»

بينما كان نظام الأسد يصارع من أجل البقاء إبان أحداث العنف التي اندلعت في المدن السورية، وبعد نجاح الثورة الإسلامية الإيرانية وأثناء أزمة الإخوان المسلمين أنشأ جميل الأسد[٤٣] (شقيق الرئيس) عام ١٩٨١ جمعية إسلامية في مدينة اللاذقية لنشر الفكر الشيعي باسم «جمعية المرتضى الإسلامية». غير أن الجمعية التي لم تكن تحمل أفكاراً شيعية صرفة، كانت تحاول أيضاً توسيع نطاق النفوذ العلوي في سورية، فعمد جميل الأسد إلى افتتاح مقرات للجمعية في مختلف أنحاء سورية، وركز بشكل أساسي على القبائل في منطقة درعا والجزيرة ومناطق الأكراد في منطقة القامشلي، وفي مدينة اللاذقية وقرى العلويين.

(٤٣) ولد جميل الأسد عام ١٩٣٣. انتخب عضواً في مجلس الشعب عام ١٩٧٣ وبقي عضواً في مجلس الشعب حتى وفاته، وتمَّ اختياره عضواً في المؤتمر القومي الثاني عشر لحزب البعث عام ١٩٧٥ (مع ابن عمه عدنان إضافة إلى شقيقه رفعت). تخرج من كلية الحقوق، ثم حصل على شهادة دكتوراه في الحقوق من روسيا عام ١٩٩٢.

وكان جميل قد عمل موظفاً في الأمن العام في شركة نفط العراق في بانياس، ثم أصبح رئيساً لبلدية القرداحة (مسقط رأس الرئيس الأسد). وتحول إلى رجل أعمال، واشتهر بممارسة الطرق غير المشروعة لكسب المال، فقد وضع مفارز مرتبطة به في المرافئ والمنافذ الحدودية تفرض الرسوم على كل بيان جمركي. عرف عنه الفساد المالي وممارسة التهريب على نطاق واسع. انظر:

Van Dam, The Struggle for Power, Ibid, p.189, No. 38

توفي في كانون الأول/ ديسمبر عام ٢٠٠٤ م في مستشفى في فرنسا ،وخلف وراءه ثروة هائلة بمليارات الدولارات (ما يقارب خمسة مليارات دولار في البنوك في الخارج، بالإضافة إلى قصور وأراض في فرنسا ولبنان وسورية)، ففجرت صراعاً عنيفاً بين ورثته وصلت فضائحه إلى العلن وبلغت أسماع المجتمع السوري.

وعلى الرغم من أن أفكار الجمعية كانت منفرَّة للوسط السني إلا أنه انتسب للجمعية آلاف من المواطنين السوريين في المدن السورية وأريافها المختلفة تحت وطأة الخوف من القمع الدموي الذي مورس ضد الإخوان المسلمين، وتحت الإغراءات التي قدمتها الجمعية. فأعضاء الجمعية المهمون كانوا يُسلحون وتقدم لهم سيارات الحماية من قبل سرايا الدفاع، الأمر الذي كان يشير إلى صلة أكيدة بين الجمعية ورفعت الأسد، قائد السرايا؛ وعلى هذا فليس من المستغرب أن تكون الجمعية بالأساس من بنات أفكار رفعت في سياق مواجهة الإخوان المسلمين.

ما كان جميل متديناً، لكنه كان أقل علمانية من أخويه، وسمحت له ميوله الطائفية الدينية بالتفكير بجمعية دينية تبسط له النفوذ السياسي، أي إنشاء «تجمع سياسي وراء واجهة دينية»[٤٤]، كان زعيم الجمعية يسعى بشكل خاص إلى علونة البدو والمزارعين من الجزيرة والمناطق الصحراوية وشبه الجدباء من حمص وحماة «بحجة أن سكان هذه المناطق كانوا في الأصل علويين واضطروا تحت ضغط السلطات العثمانية أن يصبحوا سنيين»[٤٥]. عملت الجمعية بصورة علنية، وعقدت ندوات واحتفالات ومهرجانات في مختلف المناطق السورية، ورفعت يافطات الجمعية في المدن السورية، وفي معاقل شديدة التعصب ضد الشيعة[٤٦]، وأصدرت وثائق وشهادات لمنتسبيها. وانتسب إلى هذه الجمعية – إضافة إلى المواطنين السوريين – عدد من المسؤولين العلويين داخل النظام، وبعض كبار التجار وزعماء العشائر ممن يستهويهم التسلط. واستطاع جميل من خلال جمعيته أن ينشئ شبكة واسعة من الأتباع والمؤيدين، فكانت عشرات الحافلات تنقل مؤيديه إلى اللاذقية من شتى أنحاء سورية. وفي ظروف الحرب الدموية مع الإخوان المسلمين من الطبيعي أن تلعب هذه الجمعية دوراً استخباراتياً مهماً عبر اختراقها للوسط الديني السني.

---

(٤٤) Ibid, p.122.

(٤٥) Ibid, pp. 122, 123.

(٤٦) مثلاً في مدينة دوما ريف دمشق معقل الحنبلية في سورية تزعم الشيخ الكردي أبو الحسن الميقري افتتاح مقر للجمعية، وكان من أنشط مقراتها في دمشق وريفها.

حشـد خلفه بالقـوة والمال والسـلطة الكثيرين، وطال تأثيره بشـكل خاص مناطق العلويـين والمناطـق الكردية، وبـشيء من الدعم الـذي حظي به من قبـل حزب العمال الكردي (PKK) لاقت جمعية المرتضى إقبالاً في القامشـلي والحسكة والقرى والبلدات الكرديـة مثـل بلـدة عفرين وجنديـرس (شـمال مدينة حلب) التـي افتتح فيهـا مقرات لجمعيتـه؛ إذ روَّج جميل الأسـد وعـوداً بالاهتمام بالشـأن الكردي في سـورية، وبتوزيع الأسـلحة الفرديـة عـلى أنصاره، وكان تأثيره في الأكراد قوياً قياسـاً إلى الوسـط السـني العربي[٤٧].

لقـد خلط جميل الأسـد بين الفكـر العلوي والعقائد الشـيعية ربما عـلى نحو قريب من أفكار الشـيوخ الإصلاحيين في الطائفة العلوية الذين كانوا يؤمنون بـ «عودة الفرع العلوي إلى أصله الشـيعي الجعفري الإمامي»، وجمـع حوله علماء دين منتفعين من دور الإفتاء في دمشق وبعض القرى والمدن السورية، وخلع على نفسه لقب «الإمام المرتضى»! وفي وقت لاحق ومع تزايد أتباعه أطلق على نفسـه «قائد المسـار» (بموازاة اللقب الذي أطلقه حافظ الأسـد على نفسه «قائد المسـيرة»). لم تكن شخصيته الانتهازية ولا سمعته وممارساته السيئة والذائعة الصيت في الساحل تسمح بالقناعة به كقائد متدين، ولم يكن هناك شيء من مظاهر التدين يدل على «تدينه» سوى لحيته! لهذا لم يكن بين أتباعه سوى البسطاء والسذج والانتهازيين، الذين سيكون لهم دور لاحق وخطير في الغزو الشيعي لسورية.

سرعان ما أقام «الإمام المرتضى» علاقات مع الإيرانيين، وحظي بدعم ملالي الشيعة في إيران. لكن النظام الإيراني الرسـمي نأى بنفسـه، فعلاقته بحافظ الأسـد لا تسـمح له بالتورط في هذا النوع من النشـاط التبشـيري ذي الخلفية السياسية. وكان الإيرانيون يحاولون الدخول - بطرق شتى - إلى المناطق التي توجد فيها الطائفة العلوية، مستغلين مـا يعتبرونـه تقاربـاً مذهبياً مع أبنائهـا. وفي كل الأحوال كان الإمـام الجديد «المرتضى»

---

(٤٧) بلـغ أعضـاء الجمعية آلافاً من الأكراد ،وقد أخذ الحماس بعضهم حـداً أقدم فيه أحد الأعضاء الأكراد القدامى - وهـو رشـيد مـراد مـن قرية كفر صفـرة - على الإعلان عن تشـكيل حزب سياسـي باسـم «حركـة التضامن الديمقراطـي الكـردي» متأثر بأفكار الجمعية، وأصدر نشـرة باسـم «التضامن»، وذلك بعد حـل الجمعية بفترة قصيرة، وانظر الهامش السابق رقم (٥٤).

يحظى بدعم مالي ومعنوي من قبل المرجعيات الشيعية في العراق وإيران التي اهتمت بشكل كبير بتشييع الطائفة العلوية وتصدير الثورة؛ وبالتأكيد لم يكن يتورع عن استثمار هذا الدعم للإثراء غير المشروع، وفي هذا السياق افتتح «الإمام المرتضى» أيضاً عشرات الحسينيات في أنحاء سورية، وبشكل خاص في الساحل السوري حول مدينتي اللاذقية وطرطوس[٤٨].

كان حافظ الأسد يغض الطرف عن الجمعية، وربما لأنه كان مستفيداً منها فيما يتعلق بالشق الاستخباراتي. إلا أن انشقاقات برزت في صفوف الضباط إبان ظهور النقاش على خلافة الرئيس حافظ الأسد، بعد تشكيله «اللجنة السداسية»[٤٩] لإدارة البلاد أثناء مرضه في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٣، حيث كان كثير من الضباط العلويين الكبار يرون في رفعت الشخص الأقوى ليحل مكانه أثناء مرضه. ولم يخف جميل تأييده العلني لرفعت الأسد، ويشير البعض إلى أنه أثناء مرض الرئيس أعلن تأييده له من خلال قيام عدد كبير من أتباعه بمظاهرة أمام قصر الضيافة بدمشق تطالب بتنصيب رفعت الأسد

(٤٨) يقدر بعض مواطني اللاذقية عدد الحسينيات التي خلفتها جمعية المرتضى بحوالي ٧٦ حسينية في مدينة اللاذقية وحولها فقط. وحسب شهادة أحد المواطنين فإن هذه الحسينيات آلت «إلى خرائب يأوي إليها الشذاذ للعب القمار وشرب الخمور وأشياء أخرى يعف عن ذكرها القلم ..أكبر هذه الحسينيات كان في ضاحية «دم سرخوب» وتنوف مساحتها على ستة آلاف متر مربع وأصغرها في قرية «عين التينة» لا تكاد تزيد عن ٤٠ متراً مربعاً». غير أن هذا الرقم الذي قد يكون دقيقاً لا يعني أن هذه الحسينيات من إنجاز الجمعية، فهناك تيار شيعي في وسط العلويين لابد أنه شيَّد عدداً منها قبل وجود جمعية المرتضى أساساً.
الشهادة منشورة على الإنترنت، بعنوان: «رسالة من مواطن سوري حول المد الصفوي في اللاذقية»، يمكن مطالعتها على الرابط: http://www.d-sunnah.net/forum/showthread.php?t=62624

(٤٩) أصدر الأسد وهو على فراش المرض أوامره بتشكيل لجنة سداسية أناط بها إدارة الأمور اليومية، مكونة من: وزير الخارجية عبد الحليم خدام، والأمين العام المساعد للقيادة القومية لحزب البعث عبد الله الأحمر، ووزير الدفاع مصطفى طلاس، ورئيس الأركان حكمت الشهابي، ورئيس الوزراء عبد الرؤوف الكسم، وزهير مشارقة الأمين العام المساعد للقيادة القُطرية لحزب البعث (جميعهم سنيون)، بيد أن الأمر غير الطبيعي هو عدم تعيين رفعت الأسد، والذي كان ترتيبه ضمن أعلى عشرة مراكز بالحزب، في هذه اللجنة السداسية التوجيهية، ورغم أنه كان أقوى أعضاء القيادة القُطرية بعد الرئيس نفسه، وكان يتمتع بقاعدة قوية داخل القوات المسلحة المكونة من سرايا دفاعه ذات الأسلحة الثقيلة والبالغ عددها ٥٥ ألفاً وربما كانت هذه السرايا نظرياً تتبع رئيس الأركان أو وزير الدفاع، أما عملياً فقد كانت هذه السرايا تتصرف كتشكيلات مستقلة؛ وقد يعود لهذا السبب بجانب تصرفات رفعت التي تتسم بالتهور وعدم الحنكة والفساد، أن تقاعس الرئيس عن اختياره عضواً في اللجنة السداسية. انظر: Van Dam, The Struggle for Power, Ibid, p. 199

رئيساً للبلاد! وهذا يدل على أن الجمعية فعلياً تعود إلى رفعت الأسد؛ لهذا السبب وبمجرد أن أَبَلَّ الرئيس من مرضه قرر حل الجمعية تقليماً لأظافر رفعت وإضعافه، فأصدر في منتصف كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٣ قراراً بحلِّها[٥٠].

وإثر حلها تم اعتقال عدد غير قليل من أعضائها، خصوصاً الأكراد[٥١]، ودخل «الإمام المرتضى» و«قائد المسار» غير المظفَّر، حالة غياب وبقيت له بعض الصلات بكثير من أعضاء الجمعية ما لبثت أن تحولت – مع انصرافه للاهتمام بالتجارة وتجارة التهريب ومزاولة الابتزاز في الموانئ والنوافذ الحدودية الجمركية – إلى عصابات مسلحة (عرفت باسم «الشبِّيحة») في العديد من المدن السورية، أثارت قلاقل للأمن والاستقرار الداخلي، وقد تحمل النظام أنواعاً مختلفة من الأنشطة غير المشروعة المتسمة بالعنف التي كان يقوم بها جميل الأسد وباقي الأفراد الأصغر سناً من أسرة الأسد الموسعة، بمن فيهم فوّاز نجل جميل، خاصة في منطقتي اللاذقية وطرطوس. وقد تم كبح هذه الأنشطة فيما بعد ولو جزئياً، ولكنها بقيت مستمرة، حتى مطلع التسعينيات، حيث وَسّدَ إلى باسل الأسد التصدي لها. لكن الجمعية خلفت وراءها عدداً من المنتفعين وربما المؤمنين الذين تسربت إليهم بعض قناعات شيعية في مختلف أنحاء البلاد.

لقد شكلت جمعية المرتضى أول نشاط تبشيري «شيعي» سياسي واسع النطاق مورس على الأراضي السورية تحت سمع وبصر النظام، لكنه نشاط تبشيري لأغراض سياسية محليَّة وليست إقليمية تتعلق بالمحور الإيراني أو هلاله الشيعي.

تشييع الطائفة العلوية

بقي العلويون في عزلة وعقائدهم توغل في كنف الأسرار والأساطير، ولم تدب اليقظة في الطائفة إلا مع مطلع القرن الهجري الثالث عشر (نهاية القرن التاسع عشر

(٥٠) انظر :سيل، الأسد، م.س، ص٦٩٥. وأيضاً: Van Dam, The Struggle for Power, Ibid, p. 122

(٥١) حسب رواية أحد شهود العيان لنا (طلب عدم ذكر اسمه) فإن الاعتقال في صفوف أعضاء الجمعية كان كبيراً في مناطق الأكراد.

الميـلادي) وعنـد بدايات ظهـور الدولة الوطنيـة[٥٢]، إلا أن جذور اليقظـة قد تعود إلى سـنة ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م عندما وقّع خمسـة عشر من زعماء العشائر العلوية اتفاق «إلغاء العشائرية»[٥٣] بعد أن بقيت عهداً طويلاً في صراع وتنافس مرير[٥٤].

وشـأن أي جماعـة دينية عندما تريد الانخراط في العـالم الجديد والخروج من عزلتها وفي الوقـت نفسـه تـود أن تحافظ على هويتهـا فإنها تولّد حركات إصـلاح ديني، هي في جوهرهـا حركة لمواجهة تحديات العصر والبحث عن أسـباب البقاء والاسـتمرار. ولا نعـرف بالضبط ما إذا شـهدت الطائفة العلوية هذا النوع من الحـركات من قبل، بل إن

(٥٢) أرَّخ ليقظـة العلويين الشـيخ عبـد الرحمن الخيِّر، في سلسـلة مقالات مهمة للغاية في «مجلـة النهضة» - التي كانت تصدر في مدينة طرطوس - بين عامي ١٩٣٧- ١٩٣٨، ثم جمع المقالات ونشرها نجله هاني الخيِّر في كتاب صغير مسـتقل عام ١٩٩٦ تحت عنوان «يقظة المسـلمين العلويين». انظر الكتاب على الرابط: http:// alawi12.tripod.com/yaqaza.htm

(٥٣) نـص الوثيقـة: «ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سـبقونا بالإيمـان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذيـن آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم». الباعث تحريره في يوم تاريخه: قد حضرنا ،الفقراء لله ،طلبة العِلم ،المرقومة أسماؤهم أدناه، وقـد اجتمعنـا مع بعضنـا البعض وحصلت المكالمـة بيننا، حيث أننا عبيـد الله ورعية الدولـة العالية ،وكل منا قصـده رضـاء ربّه ،وقد اتفقنا واعتمدنا على خيرة الله تعالى وصرنا عشـيرة واحـدة، وصار صالحُ الدم والغيرة واحـدة علـى حق الله تعالـى؛ وإذا أحد منا ادَّعى على أخيـه بدعوى من جميع الدعـاوى يترافعان مع بعضهما البعض بالشـرع الشـريف، وكما يثبـت ويحكم يجري العمل، ومَن اتَّبع رأينا من عامة الشـعب لـه ما لنا وعليه ما علينا؛ فعلى هذا الوجه المشـروع تم الرضا وحصل الاتفاق منا جميعاً برضانا واختيارنا، وتحرر هذا السـند لوقت الحاجة .تاريخ هذا السـند: ١٢٧١ هـ. الشـيخ حبيب عيسـى - متور، الشيخ صالح علي - الحداديات، الشـيخ ديب الأحمد - البيري، الشـيخ جابر عباس - الطليعي، الشيخ محمد يوسف - رأس الخشوف، الشيخ إبراهيـم مرهج، الشـيخ إسـماعيل أوبين، الشـيخ الحاج عبد العال الحاج، الشـيخ حسـين المسـقس، عمران حمدان - الزاوي، الشـيخ حسـين أحمد - حمين، الشـيخ يونس ياسـين - بيت الشـيخ يونس، الشـيخ صالح عمران - الصومعة، الشيخ سليمان عباس - كاف الحبش، الشيخ إبراهيم السعيد - البهلولية».
أعد هذه الوثيقة ونشـرها على الإنترنت سـام محمد الحامد علي نقلاً عن مخطوط كتاب للشـيخ العلوي عبد الهـادي حيـدر بعنوان «المراجعات» (ج٢، ص٥٦٦) الذي يشـير إلى أنه عثر على هذه الوثيقة في بيت الشـيخ العلوي يونس ياسين (في بلدة صافيتا)، ولم يتسنَ لنا التأكد من صحة الوثيقة. انظر الوثيقة على الإنترنت:
http://www.alaween.net/cms/modules/news/article.php?storyid=65

(٥٤) حول الصراع والتنافس العشائري في القرن التاسع عشر انظر: بن عبد الجليل، الفرقة الهامشية، م.س، ص ص ١١٣-١١٤.

بعض الكتابات تشير إلى أن حركة الإصلاح الديني هذه جديدة كلياً في الطائفة[٥٥] الغارقة في سبات منذ قرون طويلة جداً. وعموماً فإن حركات الإصلاح الديني تتجه غالباً لإخراج الجماعة من العقائد التي تتسبب بعزلها عن الجماعة الكبرى، وتدفعها ربما لتأويلها أو مدها بالتفسيرات العقلية، وإذا عجزت عن ذلك في بعض العقائد تبدأ بالتخلي عنها بطرق شتى تحت مسميات التقليد والخرافات والانحرافات عن العقائد الأصل. ومن المنطقي أن تكون أُولى سُبل التأويل إعادة الفرع العقدي إلى أصله، أو مقاربته بأصله، وفي حالة العلوية النصيرية يعني – بالطبع – إعادة الطائفة إلى أصلها الشيعي الجعفري الاثني عشري، فمن الطبيعي إذاً أن يبدأ التفكير بالخروج من العزلة بأفكار تصب في النهاية في سلة الشيعة الجعفرية.

١ – عودة الفرع إلى أصله

هذا ما حصل ربما في الطائفة العلوية مع بدء ظهور مصلحين دينيين في نهاية القرن التاسع عشر، وبافتتاح أول مسجد في جبل العلويين «في بيت الشيخ يونس – صافيتا؛ الذي شرع في ابتنائه كل من ... الشيخ غانم ياسين والشيخ عبد الحميد أفندي – الذي نُسب إليه آنئذ أعمال سياسية فنفي إلى طرابزون وتزوج منها وعاد مكرماً –، ثم أتم الجامع المذكور ... المرحوم الشيخ ياسين يونس والشيخ سليم الغانم سنة ١٢٨٦هـ [١٨٦٩م]. وقد قام المرحوم الشيخ ياسين – الآنف الذكر – بإمامة الجامع طيلة حياته وخلفه ولده الولي العلاّمة الشيخ محمد ياسين»[٥٦]، وذلك في وقت كان العلويون يمتنعون عن إعمار المساجد في جبالهم[٥٧].

(٥٥) يشير عبد الرحمن الخيِّر إلى أن «بدء الجمود [في الطائفة] كان في النصف الأول من القرن الثامن للهجرة، حيث تكاد أعمال المؤلفين تقتصر في ذلك الحين وما يليه على إعادة وتكرير ما كتبه سابقوهم من العلماء دون أن يضيفوا شيئا يذكر». انظر: المصدر السابق.

(٥٦) بُني بعده مسجدان في قضاء صافيتا: «مسجد الخضر» في قرية «تلة الطليعي» والآخر في قرية «ضهر بشير»، انظر: المصدر السابق.

(٥٧) لم يكن لدى العلويين مساجد فصلاتهم السرِّية تقتضي الاختباء حتى من ذويهم وزوجاتهم وأولادهم، والجوامع باعتبارها إعلان للعبادة ونقض لسريتها، لم تكن جائزة في عقائد الطائفة، وهذا يعني أن بناء الجوامع

أخذت يقظة العلويين بالنُّمو حتى قام الشيخ علي عباس و«افتتح في أواخر الحرب الكونية [الأولى] مدرسة في قرية العنازة بانياس جمعت أكثر من مائة وعشرين طالباً وستة معلمين كلهم علويون»[٥٨] درس فيها أصول الدين واللغة. بدأت في هذه الفترة – على ما يبدو – تصعد أفكار الإصلاح الديني باتجاه الفكر الشيعي الإمامي، ففي فتوى لأحد زعماء الطائفة النصيرية الكبار (وهو من المنخرطين في الإصلاح الديني) الشيخ سليمان الأحمد[٥٩] في مسألة جواز الجمع بين البنت وعمتها أو خالتها في ذمة رجل واحد[٦٠]، ويلاحظ في الفتوى – التي صدرت في أوائل العشرينيات المنصرمة – ثلاثة أمور غاية في الأهمية: أولها التأكيد على أن المذهب الإمامي الجعفري «هو الأصل»، والطائفة العلوية النصيرية «فرع منه» وعليه فإن رجوع الطائفة إليه «في أصول الفقه وفروعه هو الواجب الحق الذي لا مندوحة عنه».

وثانيها أن هذا التأكيد على هذه العودة للأصل الشيعي يبدو بدعة جديدة ابتدعها الإصلاحيون الدينيون؛ فثمة تأكيد على ضرورة الصلة بين المذهب الشيعي والنصيرية؛ إذ كان سبب الانقطاع «بواسطة السياسة من مئات السنين حتى انتبه إليها في عصرنا هذا» أي أن فكرة العودة للأصل جديدة كلياً حتى ذلك الوقت.

وثالثها أن مرجعية العلويين الفقهية – أو بتسمية الشيخ الأحمد «الإرث وآداب

جاء استناداً إلى تأثير خارجي، سيتبين فيما بعد أنه كان شيعياً جعفرياً.

ومن الطريف أن يعزو أحد شيوخ العلويين عدم بناء المساجد والجوامع عند العلويين (النصيريين) إلى «الفقر، والاهتمام بالعمل مما يمنع من التردد على المساجد»! انظر: سعود، عبد اللطيف (ت ١٩٣٥)، العلويون شيعيِّون، مجلة النهضة (عدد خاص عن العلويين) طرطوس، العدد ٨، شهر تموز/ يوليو ١٩٣٨. نقلاً عن: بن عبد الجليل، الفرقة الهامشية، م.س، ص١٨٢.

(٥٨) الخيِّر، يقظة المسلمين العلويين، م.س. ويضيف الخيِّر إنه: «ولأسباب قاهرة لم تعمر – مع الأسف – تلك المدرسة إلا عامين فقط».

(٥٩) الشيخ سليمان الأحمد، لغوي وعالم دين علوي، من كبار شيوخ الطائفة، درس الفقه علي يد الداعية الشيعي الكبير عبد الحسين شرف الدين الموسوي (صاحب الكتاب التبشيري «المراجعات»). كان عضواً في مجمَّع اللغة العربية في دمشق، وهو والد الشاعر السوري المعروف «بدوي الجبل».

(٦٠) نص الوثيقة كاملاً ورد في بيان شيوخ العلويين الشهير: «المسلمون العلويون... شيعة أهل البيت (ع)»، دار الصادق، طرابلس، ط١، ١٣٩٢هـ (١٩٧٣م)، ص١٢.

الشـريعة» – حتى ذلك الوقت كانت «أهل السـنة؛ بحكم الوقت والأحوال والرخصة المعطاة لهم من أئمتهم حسبما يسمح به التأويل» على حد تعبيره.

في هذا المناخ الذي تهب عليه رياح الإصلاح الديني نشأ عبد الرحمن الخير[٦١] الذي أسـس (مع بعـض أصدقائه) في عـام ١٩٢٥م «جمعيـة اللاطائفيـة» كجمعية إصلاحية «لمكافحـة التعصـب العشـائري والعزلـة الاجتماعيـة، ومعالجة حالات الجهـل والفقر والحرمان التي خلفتها العهود من ظلم المتسلطين وتجاوزهم بحق أبناء الطائفة»[٦٢].

٢- الديانة في دولة العلويين المستقلّة

كانت حركة الإصلاح العلوي الديني قد بدأت تستقطب عدداً من مثقفي وعلماء الدين من نخبة المجتمع العلوي، ففي عام ١٩٣٦ وقع عدد من رجال الدين العلويين بياناً هو الأول من نوعه؛ إذ يوضح في بندين عقيدة العلويين بأنها عقيدة إسلامية: «البند الأول: كل علوي فهو مسـلم يقول ويعتقد بالشـهادتين، ويقيم أركان الإسـلام الخمسة. البند الثاني: كل علوي لا يعترف بإسـلاميته، أو ينكـر أن القرآن كتابه وأن محمداً (ص) نبيه، لا يعـد في نظر الشرع علوياً، ولا يصح انتسـابه للمسـلمين العلويـين»[٦٣]. وهذا البيان لم يـصرح أبداً بشـيعية العقيـدة العلوية، وإنـما كان حريصاً على إسـلاميته، وفيه مغازلة واضحة للمسلمين السنة، بالتأكيد على «الشهادتين» و«أركان الإسلام الخمسة».

ويبـدو أن هـذا البيـان جاء في سـياق الخـلاف داخل الطائفـة حول فكـرة «الدولة العلوية» التي أراد الفرنسـيون إنشـاءها، ففي مقابل إثبات إسـلامية العلويين وفي إطار تصاعد التيار الديني المتنامي والمنجذب نحو الشيعة كان ثمة توجُّه لدى بعض الشيوخ

(٦١) الشـيخ عبد الرحمن الخيِّر (١٩٠٣-١٩٨٦)، والده الشـيخ محمد ديب الدرويش الخيِّر كان من كبار شـيوخ الطائفـة في قرية القرداحة، وعمه أحمد ديب الخيِّر، قاضي قضاة الطائفة أواخر الدولة العثمانية، تتلمذ على يد الشـيخ علي عباس، ودرَس في مدرسـته، كما تأثر بشـكل خاص بأستاذه الشيخ سـليمان الأحمد (انظر هامش رقم ٥٣). يعتبر أبرز الشيوخ العلويين الذين جهدوا لإعادة الفرع النصيري إلى أصله الشيعي الاثني عشري.

(٦٢) انظر موقع «المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب»، صفحة «من رواد التقريب»، على الرابط: www.taghrib.org/arabic/rowad/alkher.htm

(٦٣) من نص بيان «المسلمون العلويون... شيعة أهل البيت (ع)»، م.س، ص ٩.

والزعامات النصيرية القويَّة للنأي بالطائفة عن الإسلام ذاته كدين بالكامل، واعتبار النصيرية ملَّة وأقلية دينية مستقلة، رغبة في دعم الفرنسيين لهم في إقامة دولة مستقلة. كان هذا واضحاً في العريضة التي قدمها قادة نصيريون إلى رئيس الحكومة الفرنسية ليون بلوم في ١٥ حزيران/ يونيو ١٩٣٦، والتي يدعون فيها إلى استقلال العلويين بدولة خاصة بهم، وجاء فيها أن «الشعب العلوي - الذي حافظ على استقلاله سنة فسنة؛ بكثير من الغيرة والتضحيات الكبيرة في النفوس - هو شعب يختلف في معتقداته الدينية وعاداته وتاريخه عن الشعب المسلم [السني]»(٦٤).

بعد ما يزيد عن شهر تقريباً من تاريخ توقيع هذه العريضة، وتحديداً في ٢٧ تموز/ يوليو ١٩٣٦: رفع رجال دين وزعماء عشائريون علويون عريضة إلى وزارة الخارجية الفرنسية يحتجون فيها على التبشير المسيحي الذي يقوم به الآباء اليسوعيون في أوساط العلويين بدءاً من عام ١٩٣٠، باعتبار أن «هذه الحوادث التبشيرية - التي تكون معذورة لو أن الدافع لها اليقين والإيمان - إلا أن الشيء المشين في هذه الحوادث - وهنا موضع استيائنا وعليه احتجاجنا - هو استثمار واستغلال فاقة شعب فقير وشراء ضمائر ضعيفة كما تُشترى السلع لتمرُق من دين إلى دين آخر»(٦٥)، ويطالبون بالوحدة

---

(٦٤) وثيقة محفوظات الخارجية الفرنسية رقم ٣٥٤٧، تاريخ ١٥- ٦- ١٩٣٦. الموقعون: محمد سليمان الأحمد، محمود آغا حديد، عزي آغا غواش، سلمان المرشد، محمد بيك جنيد، سليمان الأسد.

(٦٥) وقع الوثيقة أكثر من ٥٠ شخصاً من وجهاء ورجال دين علويين، بالإضافة إلى ٢١ شخصاً من الوجهاء والسياسيين ورجال الدين المسيحيين، إضافة إلى بعض السياسيين السُنَّة، وهم: حليم بشور (من الأعيان المسيحيين)، أسعد هارون (عضو البلدية، وزعيم الشباب الوطني)، الدكتور ميخائيل بشور (عضو سابق بالجمعية التأسيسية)، الدكتور اسكندر بشور، نقولا بشور، إسبر بشور، عزيز عرنوق، إسبر الطيار، رفيق البيطار، زاهي عرنوق، إبراهيم خوري، الأب يوسف بطرس، الأب اسطفان سابا، سليمان شدياق، عبد الله روفائيل، الأب موسى ديب، ياخوس عركوش، عبد الواحد هارون (زعيم سني نائب سابق في البرلمان العثماني)، محمود عبد الرزاق (نائب)، فايز إلياس (نقيب المحامين)، عبد القادر شريتح (زعيم سني ونائب سابق).

محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية- سوريا/ لبنان، مجلد ٤٩٢-٤٩٣ «برقية المطالبين بالوحدة مع سورية في منطقة العلويين مرسلة من اللاذقية في ٢ تموز ١٩٣٦»، انظر نص الوثيقة كاملاً على الإنترنت على الرابط:
http://www.alaweenonline.com/site/modules/news/article.php?storyid=15

وقد ذكر بيانُ «المسلمون العلويون... شيعة أهل البيت (ع)» (ص ص١٠-١١) مقاطع من هذه الوثيقة دون تاريخ ولا توضيح، وينسب للوثيقة مقطعان لم نجدهما في نسخة الوثيقة التي استطعنا الوصول إليها، وهو «إن

السـورية، ويؤكدون فيها بأن «العلويين شيعة مسلمون، وقد برهنوا طوال تاريخهم عن امتناعهـم عـن قبول كل دعوة من شـأنها تحوير عقيدتهم، فهم يحتفظون بشـدة بالعقيدة الشـيعية الإسـلامية». كان هذا التصريح الجماعي هو الأول مـن نوعه في تاريخ الطائفة النصيرية، وقد جاء هذا البيان وسابقه في سياق معترك سياسي وانشقاق بدأ يدب داخل الطائفة بسـبب قضية اسـتقلال العلويـين في دولة وخيار الانضمام للدولـة الوطنية على مشارف خروج الاحتلال الفرنسي[٦٦].

العلويين ليسـوا سـوى أنصار الإمام علي – عليه السلام – وما الإمام علي سوى ابن عم الرسول (ص) وصهره ووصيه، وأول من آمن بالإسلام، ومن مكانه في الجهاد والفقه والدين الإسلامي مكانه، وإن القرآن الكريم هو كتاب العلويين» والمقطع: «وما العلويون سـوى أحفاد القبائل العربية التي ناصرت الإمام علياً – عليه السـلام – فوق صعيد الفرات».

كمـا أن هذا البيان («المسـلمون العلويون... شـيعة أهـل البيت (ع)») (ص١١) يذكر – قبـل هذه الوثيقة – أن قضاة الطائفة العلوية سبق وأن ردوا على رغبة الفرنسيين في أن يكون للمحاكم المذهبية العلوية تشريع خاص مباين للتشـريع الإسـلامي، فرفض القضاة العلويون ذلك وأعلنوا أنهم مسلمون، وتشريعهم إسلامي جعفري. مما اضطر الفرنسـيين للتراجع عن فكرتهم وجعل القضاء في الأحوال الشـخصية للعلويين على الفقه الشيعي الجعفري.

(٦٦) في ٢٢ تموز/ يوليو من عام ١٩٢٢ أعلنت الدولة العلوية ضمن اتحاد سورية الفيدرالي، وفي مطلع عام ١٩٢٤ صـدر قـرار بإلغاء الاتحـاد وإبقاء دولة العلويين مسـتقلة، وأصبحت تعرف بـ«دولة العلويين المسـتقلة». كان إنشاء دولة علوية مستقلة مطلباً نصيرياً صريحاً، ففي نص القرار الذي أصدره الجنرال غورو (H. Gouraux) يذكـر «لمـا كان النصيرية قد صرحوا جلياً ومراراً بآمالهم بأن يكون لهم إدارة قائمة بذاتها تحت رعاية فرنسـية؛ لأجـل ذلـك يجـب أن تنشـأ مقاطعة تجمـع أكثرية هؤلاء لتتيـح لهم أن يواصلوا السـعي في سـبيل مصالحهم السياسية والاقتصادية تحقيقاً للأماني التي صرحوا بها».

انظـر: الحكيم، حسـن، الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السـورية، بيـروت، ١٩٧٤، ص ٢٤٥، الوثيقة رقم ٤٣. نقلاً عن: بن عبد الجليل، الفرقة الهامشية، م.س، ص ١١٩.

وعندما شعرت الطائفة النصيرية بأن سورية مقبلة على الاستقلال وأن الفرنسيين سيغادرون (وبدون الفرنسيين لن تسـتمر «دولة العلويين المسـتقلة» التي لا تمتلك مقومات الدولة أساسـاً) قرر العلويون الطلب من فرنسـا إلحـاق الدولة العلوية بلبنان لا بسـورية! ففي عريضـة رفعها «المجلس التمثيلي النصيـري» إلى وزير خارجية فرنسـا فـي ٢٤ حزيران/ يونيو ١٩٣٦: «نحن نرفض رفضاً قاطعاً أي اندماج بسـورية، نحن نطالب باسـتقلالنا تحت وصاية فرنسـا (...) إننا متمسـكون بشـدة بقرارنـا بمقاومة الهيمنة السـورية بكل السـبل، وحتى بالقوة. وسـتكون فرنسا مسؤولة عن الدماء التي ستسيل. وإن كان اسـتقلالنا مستحيلاً دولياً؛ فإننا نوافق على التباحث مـع لبنان حول اتحاد يضمن اسـتقلالنا الذاتي الكامل تحت حماية فرنسـا». انظـر: Archive du Ministère des Affaires Etragères, Levant, Syria-Liban, 1930-1940, volume 493, p. 8.

نقلاً عن: بن عبد الجليل، الفرقة الهامشية، م.س، ص١٢١.

وفي عام ١٩٣٨ وقَّع أحد عشر من رجال الدين العلويين وشخصياتهم البارزة جواباً على سؤال عن عقيدة العلويين، جاء فيه - على لسانهم - أن «مذهبنا في الإسلام هو مذهب الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام)»[٦٧]، وهذه الوثيقة التاريخية تمثل ثاني بيان جماعي يُعلن فيه زعماء دينيون علويون انتساب الطائفة العلوية النصيرية إلى الشيعة الجعفرية[٦٨]، وهو بمنزلة إيذان بانتشار الدعوة الشيعية وتحولها إلى ظاهرة في الطائفة.

٣- الظاهرة

انتشار دعوة الأصل الشيعي والعودة للأصل في أوساط العلويين بلغت حداً دفع بالشيخ عبد الرحمن الخيِّر - الذي نشط في بناء المساجد والحسينيات - إلى تأسيس «الجمعية الخيرية الإسلاميّة الجعفرية» في اللاذقية سنة ١٩٥٠، والتي ستكون قاعدة فيما بعد للنشاط الشيعي الجديد في الطائفة في عهد حافظ الأسد وما بعده.

وخلال عام ١٩٥٢ وبعد مناقشات طويلة ومراجعات لشيوخ من الطائفة مع المفتي

وعندما ضُمَّت الدولة العلوية للأراضي السورية وأصبحت محافظة من محافظات الدولة السورية في ١٠ كانون الثاني/ يناير ١٩٣٧ أصبح العلويون مضطرون للانضمام للأكثرية في وجه الاحتلال!

(٦٧) نشرت الوثيقة في مجلة «المرشد العربي» التي كان يصدرها الشريف عبد الله آل علوي الحسني ابن الأمير الشريف حسن بن فضل باشا (أمير ظفار) من مطبعة الإرشاد في اللاذقية، عام ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨م.
انظر هذه الوثيقة أيضاً في: مقدمة محقق كتاب: الخصيبي، الهداية الكبرى، م.س، ص ١٩ وقد ورد هذا النص بجملته في بيان «المسلمون العلويون... شيعة أهل البيت (ع)»، م.س، ص١٠. ويشير البيان إلى أن ما كتب في هذه المناسبة جمع ونشر أكثره الشريف عبد الله آل الفضل في كتيب عنوانه: «تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وطبع في مطبعة الإرشاد باللاذقية سنة ١٣٥٧هـ، ولعله نشره في كتيب بعد أن نشره في المجلة في العام نفسه.

(٦٨) في العام نفسه صدرت عدة وثائق جماعية بعد هذه الوثيقة ،منها رد عدد من رجال الدين في الطائفة العلوية في بلدة صافيتا على مقال نشر في صحيفة «النهار» يتعرض لعقائد الطائفة. نشر الرد في ٣ آب/ أغسطس ١٩٣٨ في نفس الصحيفة، وأصدر زعماء علويون بياناً تعقيباً على هذا الموضوع نفسه، استمدوا فيه تعبيرات الفتوى السالفة، نشرته جريدة «النهار» أيضاً في العدد ١٤٥٤، آب/ أغسطس، عام ١٩٣٨.
انظر نص البيانين في مقدمة محقق كتاب: الخصيبي، الهداية الكبرى، م.س، ص ص٢٠-٢٣.

العام استمرت ٢٠ يوماً في دمشق استصدر العلويون مرسوماً تشريعياً[٦٩] رقم ٣ في ١٥ حزيران/ يونيو، ينص على تأليف «لجنة خاصة بالجعفريين من علمائهم في مركز محافظة اللاذقية قوامها ثلاثة أشخاص من العلماء الجعفريين ويضاف إليهم شخص واحد من كل قضاء عندما يتعلق البحث في قضائه» وقراراً من مفتي الجمهورية السورية (رقم ٨) في ٢٧ أيلول/ سبتمبر ١٩٥٢، وتألفت اللجنة بموجب هذا المرسوم من علماء الطائفة العلوية، وقامت بفحص من تقدم إليها من شيوخ جعفريين، وأجازت بعضهم وسمحت لهم بارتداء الكسوة الدينية المنصوص عليها في المرسوم التشريعي.

بدأ المصلحون الدينيون العلويون المنشدّون بقوة لفكرة الأصل الشيعي ينسجون علاقاتهم مع المراجع الدينية الشيعية، وقد جذبت هذه العلاقات المراجع الشيعية في العراق وإيران لاستكشاف الحركة الدينية الجديدة في جبل العلويين النصيريين، وقد يكون أوائل رجال الدين الذين زاروا الجبل واطلعوا على أحوال الطائفة الشيخ محمد جواد مغنية سنة ١٩٦١ (رجل الدين الشيعي اللبناني المعروف)، والذي تحدَّث لمرجعه آية الله السيد محسن الحكيم – بعد زيارته – عما شاهد ولمس من «المصلحين»، و«عن المصلِّين والمؤمنين حقاً بكل ما في معنى الإيمان [الشيعي] الصحيح»[٧٠].

(٦٩) نص المرسوم: «إن رئيس الدولة بناء على الأمر العسكري رقم ٣ المؤرخ في ٠٣/ ٠٣/ ١٩٥١. وبناء على المرسوم التشريعي رقم ٢٥٧ بتاريخ ٨ حزيران عام ١٩٥٢، وبناء على قرار مجلس الوزراء رقم ٣/ تاريخ ١٤/ ٠٦/ ١٩٥٢. وبناء على المرسوم التشريعي رقم ٢٣/ المؤرخ في ٢ ربيع الثاني هجرية هـ/ ٣٠ كانون الأول ١٩٥١ م. وعلى وجوب عدد كبير من أهالي محافظة اللاذقية على المذهب الجعفري. وعلى اقتراح المفتي العام رسم ما يلي: المادة الأولى: يضاف إلى المادة الثالثة من المرسوم التشريعي رقم ٣٣ الفقرة التالية: تؤلف لجنة خاصة بالجعفريين من علمائهم في مركز محافظة اللاذقية قوامها ثلاثة أشخاص من العلماء الجعفريين ويضاف إليهم شخص واحد من كل قضاء عندما يتعلق البحث في قضائه. ويسمى أعضاء هذه اللجنة بقرار من المفتي العام من العلماء الأكفاء. مهمتها فحص حالة متدينين بالكسوة الدينية على المذهب الجعفري والذين يرغبون ارتداء هذه الكسوة وإقرار من يحق لهم الاحتفاظ بها ومن منح تتحقق اللجنة من أنه دخيل على سلك رجال الدين من ارتدائها. المادة الثانية: ينشر هذا المرسوم التشريعي ويبلغ من يلزم. دمشق في ١٥ حزيران عام ١٩٥٢ – الزعيم فوزي سلو».

(٧٠) من نص رسالة مؤرخة في٢٣/ ٠٤/ ١٩٦١ أرسلها لشيخ الطائفة سليمان الأحمد، تحدث فيها مغنية عن زيارته للجبل.
انظر الرسالة في: النيسابوري، محمد البادياني، العلويون هم أتباع أهل البيت: فتاوى مراجعهم وشرح نص بيانهم، دار الإرشاد، بيروت، ط١، د.ت، مج١، ص١٣٠. وقد نشر إلكترونياً نص هذه الرسالة سام محمد

في الفترة بين ٣–٧ شعبان ١٣٩٢/ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٢ زار رجل الدين الشيعي حسن الشيرازي – المبشر الأصولي الذي سيكون له فيما بعد دور تاريخي في التشيُّع العلوي – لأول مرة جبل العلويين، «على رأس وفد من العلماء بأمر من سماحة الإمام المجدد المرجع الديني ... السيد محمد الشيرازي (دام ظله)»[(٧١)]، وذلك لـ«إجلاء الهوية الدينية للعلويين، مساهمة منه في إزاحة الضباب التاريخي الذي يلفُّهم»[(٧٢)]، الذي كان «منذ توليه مقام المرجعية (...) يفكر في قضية العلويين، باعتبارهم جزءاً من العالم الشيعي الذي يشعر بمسؤولية عنه»[(٧٣)].

التقى الشيرازي بعدد من شيوخهم[(٧٤)]، وفي ٢٤ شعبان ١٣٩٢هـ اجتمع عدد كبير من شيوخ العلويين (٧٤ سوريون، و٦ لبنانيون) بتحريض من الشيرازي وقرروا إصدار بيان[(٧٥)] ينسب العلويين للشيعة الجعفرية الاثني عشرية، ويؤكد على أن «التسمية: (الشيعي والعلوي) تشير إلى مدلول واحد، وإلى فئة واحدة هي الفئة الجعفرية الإمامية الاثنا عشرية». طبع البيان في طرابلس لبنان بعد ثلاثة أشهر من هذا الاجتماع، في (ذي

علي الحامد، على موقع «العلويون أونلاين»، على الرابط: http://www.alaweenonline.com/site/modules/news/article.php?storyid=142

(٧١) انظر مقدمة الشيرازي لبيان «المسلمون العلويون... شيعة أهل البيت (ع)»، م.س، ص٣. ويضيف الشيرازي: «فالتقيت بجماعة من أفاضل علمائهم ومثقفيهم، وبجموع من أبناء المدن والقرى في جوامعهم ومجامعهم».

(٧٢) مقابلة مع حسن الشيرازي، صحيفة «الحياة» (اللندنية)، ١٦ تموز/ يوليو ١٩٧٣. والنص التالي هو الجزء الأهم من هذه المقابلة: «[الحياة]: لقد تبنّيتم قضية العلويين منذ سنوات، فهل يمكن أن نعرف الدافع إلى ذلك؟ [الشيرازي]: لا بد من الإجابة على هذا السؤال بشيء من التبسيط؛ فسماحة أخي المرجع السيد محمد الشيرازي منذ توليه مقام المرجعية كان يفكر في قضية العلويين، باعتبارهم جزءاً من العالم الشيعي الذي يشعر بمسؤولية عنه، وقد كلّفني منذ ثلاث سنوات [١٩٧٠] إجلاء الهوية الدينية للعلويين، مساهمة منه في إزاحة الضباب التاريخي الذي يلفُّهم (...) فالاضطهاد الذي عانوه – كما عانته بقية الشيعة في العالم – على مدى ثلاثة عشر قرناً لم يكن اضطهاداً سياسياً فحسب، وإنما كان اضطهاداً فكرياً أيضاً، وهذا ما جعلنا شركاء في المحنة، ومسؤولين جميعاً عن الاشتراك في إزالة أسباب المحنة سياسياً وفكرياً».

(٧٣) المصدر نفسه.

(٧٤) انظر مقدمة الشيرازي لبيان «المسلمون العلويون... شيعة أهل البيت (ع)»، م.س، ص٣.

(٧٥) صدر البيان في كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣ عن دار الصادق بطرابلس لبنان.

القعدة ١٣٩٢هـ/ الموافق لكانون الثاني/ ديسمبر من عام ١٩٧٢م)، وقدم له الشيرازي بفتوى تتضمن أيضاً التصريح بأن العلويين شيعة[٧٦].

بعد خمسة وثلاثين عاماً من آخر بيان أصدره زعماء دين علويون يوضحون انتمائهم فقهياً وعقدياً للشيعة الجعفرية، يأتي هذا البيان - شأن عريضة ٢٧ آب/ أغسطس ١٩٣٦ للخارجية الفرنسية - في سياق معترك سياسي للطائفة. فقد كان الحديث عن الطائفية في أوجه مع بداية عهد حافظ الأسد الذي كان قد مارس علونة ممنهجة للسلطة والجيش والحزب، وقد بدأ الحديث يدور فيه عن استفتاء لدستور جديد للبلاد، وكان الدستور حتى ذلك الوقت (قبل طرح مسودة الدستور الجديدة) يشترط أن يكون رئيس الجمهورية مسلماً، وبما أن العلوية في الفقه الرسمي لكل من السنة والشيعة «كفاراً» وليسوا مسلمين، فقد أصدر هذا البيان في سياق الدفاع عن موقع الطائفة وامتيازاتها في الرئاسة (والسلطة تالياً) لمواجهة الحظر الدستوري.

وهذا بالضبط ما كان يقصده أرباب هذه «الوثيقة» حين قالوا في مقدمتها: «نحن اليوم حرصاً منا على تمتين الصلات بإخواننا في الدين والوطن، ووقاية لهم من الانخداع بما يدسه أعداء العروبة والإسلام، ويرجف به المفترون والحاقدون من شائعات تفرق وتهدم بما توقظ من فتن»[٧٧].

وثمة ملاحظتان مهمتان في البيان، أولاهما أنه أسهب وبشكل ملفت للنظر ولأول مرة في شرح العقائد - التي أجملها من قبل ببضع كلمات - كما لو أنه مختصر لكتاب تعليمي للعقائد الجعفرية الإمامية، إلى الحد الذي ضمن فيه ذكر أسماء الأئمة الاثني عشر جميعاً! بل حتى عدد ركعات الصلوات الواجبة والمستحبة!!

الملاحظة الثانية أن البيان ذكر توضيحاً لمصادر التشريع، فكانت مصادر التشريع أربعة: «القرآن، السنة، الإجماع، العقل»، وهذه المصادر ليست شيعية ولا سنية! بل هي تلفيق بين المصادر السنية والشيعية، فمن جهة تتجاهل هذه الوثيقة المصدر الشيعي الأبرز «قول المعصوم» (النبي (ص) ومن بعده من الأئمة الاثني عشر) وتكتفي بالسنة

---

(٧٦) انظر الهامش رقم ٢٤.

(٧٧) بيان «المسلمون العلويون... شيعة أهل البيت (ع)»، م.س، ص٨.

(ما ينسب للنبي وحده)، ومن جهة أخرى تذكر الإجماع كمصدر تشريعي، وهو مصدر سني وليس شيعياً! فالفقه الشيعي لا يعده مصدراً، والدلالة الوحيدة لهذه الملاحظة هي أن البيان لم يكتب لتوضيح العقائد وإنما لإرضاء الأكثرية السنية، ويبدو أن السيد حسن الشيرازي هو الذي أقنعهم بتضمينها في البيان؛ فالشيرازي يعرف جيداً أن «الإجماع» السني كان المستند السني الأبرز لإخراج الشيعة من دائرة «أهل السنة والجماعة» وأحياناً من الجماعة المسلمة برمتها.

يضاف إلى ذلك ملاحظة ثالثة، وهي أن قائمة موقعي البيان ضمت اسم ٧٤ زعيماً ورجل دين من العلويين السوريين وستة من اللبنانيين، وهي أول قائمة تتضمن هذا العدد الكبير. وإذا كان هناك عدم شك بالدافع السياسي للبيان، فإن دلالة كثرة الأسماء تعني - فيما تعنيه - اتساع تيار الإصلاح الديني المندفع إلى الأصل الشيعي العلوي في الجبل[٧٨].

كما أنه - ومن جهة أخرى - تشير قائمة الموقعين إلى أن عدد المساجد والجوامع العلوية يزيد عن ١٣ مسجداً وجامعاً كان خطباؤها وأئمتها من موقعي البيان.

٤ - التشيُّع العلوي النصيري: من الظاهرة إلى التيار

نشط حسن الشيرازي - منذ ذلك الحين وحتى تاريخ مقتله سنة ١٩٨١ - في الجبل العلوي بشكل لم يسبق له مثيل من نشاط الملالي الشيعة (الإيرانيين أو العراقيين) على الأراضي السورية. فإضافة إلى الدروس والمحاضرات التي كان يحرص على إلقائها ولا يدع مناسبة دينية واجتماعية للطائفة إلا ويشارك فيها فقد قام - وبمساعدة بعض شيوخ الطائفة المتحمسين لعودة الأصل النصيري إلى شيعيته (من أمثال الشيخ فضل غزال) - ببناء بعض المساجد والحسينيات في اللاذقية ومنطقة الساحل السوري[٧٩].

(٧٨) انظر أيضاً ملاحظات بعض العلويين على البيان، تحت عنوان «مع بيان علماء العلويين» على الرابط:
http//:www.alaweenonline.com/site/modules/news/article.php?storyid23=

(٧٩) كان أولها ربما «مسجد الإمام الحسن العسكري» (١٩٧٨م) الذي اشترى عقاره (ورقمه ٧٤٢) الشيرازي نفسه، ولايزال باسمه إلى اليوم في السجل العقاري في مدينة اللاذقية (حي الزقزقانية)، واختيار اسم المسجد

وبلغ احتفاء الشيرازي وتحمُّسه لتشييع الطائفة العلوية حداً جعله يؤسس حوزة علمية في مسجد «الإمام جعفر الصادق» الذي يقع في مقرّ «الجمعية الجعفرية» (التي كان قد أسسها الشيخ عبد الرحمن الخيِّر سنة ١٩٥٠) في مدينة اللاذقية، باسم «حوزة الإمام الصادق»، وذلك بعد تأسيسه للحوزة الزينبية، لتكون قاعدة تبشيرية في الساحل السوري، على أساس أن خريجي هذه الحوزة الجديدة ينتقلون إلى الحوزة الزينبية لإكمال دراستهم، استمرت هذه الحوزة بضع سنوات، ودرس فيها مجموعة من خطباء المساجد، لكن الشيرازي عدل عن الفكرة ويبدو أنها لم تكن مجدية كما كان يأمل فالعلويون لم يهبوا أفواجاً إلى مذهب الإمام جعفر الصادق!

يحظى الشيرازي باحترام خاص لدى التيار الشيعي في الطائفة العلوية؛ فهم يرون أنه أدى دوراً مهماً في تبيض صورة العلويين لدى الشيعة وعموم المسلمين، وساعد الطائفة على إخراجها من عزلتها[٨٠]، فقد عمل الشيخ ميدانياً مع أبناء الطائفة ولم يكتف بالتصريحات والبيانات.

يذكر بعض الباحثين أنه في لقاء لأعيان في الطائفة العلوية في القرداحة وتحديداً في صيف عام ١٩٨٠ اتُّخِذ قرارٌ بإرسال قرابة خمسمائة شاب من العلويين للدراسة في

له دلالته الرمزية الخاصة بالنسبة للطائفة النصيرية؛ فأبو شعيب محمد بن نصير (الذي تنسب إليه الطائفة) هو تلميذ «الإمام الحسن العسكري» وأحد أصحابه.

ومسجد «الإمام الحسن المجتبى» في قرية البلاطة (ناحية الصلنفة)، و«المسجد الجامع» (في قرية حكر)، و«مسجد الخضر» (في قرية أوبين) ومسجد «فاطمة الزهراء» (بحمص)، ومسجد «الإمام الحسين» (بصافيتا)، ومسجد «الإمام الرضا» (بجبلة). وأسس (الشيرازي) حسينيات عديدة في المدن والقرى منها الساحلية، ومنها حسينية في بانياس، وأخرى في حمص.

انظر: مقابلة مع الشيخ: ذو الفقار فضل غزال، موقع «الشيرازي نت»، بتاريخ ١٤ آب/ أغسطس ٢٠٠٥، على الرابط: http://www.alshirazi.net/leqaat/leghaat/legha/shahid/005.htm

وانظر أيضاً مقابلة مع الشيخ حسين الشريفي، موقع «الشيرازي نت»، بتاريخ ١٤ شباط/ فبراير ٢٠٠٦، على الرابط: http://www.alshirazi.net/leqaat/leghaat/legha/shahid/023.htm

(٨٠) بتعبير الشيخ ذو الفقار فضل غزال: «عندما كنا في هذه الجبال تعرّضنا للظلم وللاضطهاد وللقتل والذبح، وفتاوى التكفير التي تأتي يمنة ويسرة غيّبتنا عن المسلمين، وغيّبت المسلمين عنا، فكان همّه قدس سره الأول أن يعيدنا إلى الخط الذي كنّا عليه، وكان لا يألو جهداً في إظهار هذه الصورة الحضارية عن إخوانه هنا، وعن إبراز الهوية الشخصية لنا التي تثبت إسلامنا وعقيدتنا كمسلمين في صميم الإسلام» (المصدر السابق نفسه).

المعاهد الدينية في حوزات مدينة قم الإيرانية، ليتخصصوا في المذهب الجعفري[٨١]، وكان يخطط في تلك الفترة إلى تشكيل تحالف شيعي إقليمي إثر نجاح الثورة الشيعية في إيران، وسواء صحت هذه الرواية أم لا، فإنه من المؤكد أن عدداً غير قليل من شباب العلويين المتدينين ذهبوا للدراسة في قم والنجف، وتخرجوا هنالك، منذ السبعينيات، ومنهم اثنان من موقعي بيان «المسلمون العلويون... شيعة أهل البيت(ع)»[٨٢]، أي في مطلع سنة ١٩٧٣. كما أن السيد الشيرازي كان قد بدأ منذ اتصاله بالعلويين بتشجيع وترغيب وإرسال النابهين العلويين للدراسة في قم[٨٣].

ومن الطبيعي أن الأفكار التي عاد بها هولاء كانت شيعية صرفة أو شيعية ملفقة بالنصيرية، وكان الشيخ فضل غزال كما الكثيرين من شيوخ تيار عودة الفرع إلى أصله - وحسب أحد تلامذته[٨٤] - يلقن مريديه أو أتباعه «العقائد الشيعية ذاتها فيما يتعلق بالأئمة الاثني عشرية»، لكنه يحاول أحياناً الجمع بينها (باعتبارها أصل الفكر العلوي النصيري) وبين العقائد الشيعية الجعفرية. ومن هذا المنطلق فإنه يحافظ - على ما يبدو

(٨١) أبو رمان، محمد، التشييع في الأردن: ظاهرة يغذيها حزب الله، صحيفة الغد (الأردنية)، ٤-١٠-٢٠٠٦. طبعاً لم يكن بإمكانهم الذهاب إلى النجف بعد قطع العلاقات مع العراق في بداية عهد صدَّام حسين.

(٨٢) هما: الشيخ محمود مرهج من قرية بحنين طرطوس وهو أيضاً مجاز من النجف الأشرف، والشيخ فضل غزال من قرية تلا قضاء الحفة، وهو مجاز من كلية الفقه في النجف الأشرف. والشيخ فضل غزال عُين إماماً لـ«مسجد ناعسة»، وهو المسجد الكبير الذي بناه الأسد في مدينة القرداحة وسماه باسم والدته، وافتتحه في مطلع التسعينيات، وفيه صُلِّي على نجله باسل إثر وفاته بحادث سير مروع عام ١٩٩٤، وتعرف السوريون على الشيخ فضل غزال الذي ظهر في شاشة التلفزيون السوري لأول مرة في تلك الحادثة، على الرغم من أنه أقصي عن أداء الصلاة على نجل الأسد بأمر من الرئيس نفسه؛ فالأسد قرر - ولتوازنات طائفية - أن يؤمَّه شيخ سني، كان هذا الشيخ السني هو شيخ بلاط الأسد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي المفكر الإسلامي السوري الكردي الدمشقي المعروف.

(٨٣) الشيخ إبراهيم حسن النجار (أحد العلويين المؤسسين للجمعية الجعفرية في اللاذقية سنة ١٩٥٠، وأحد موقعي بيان ١٩٧٣)، مقابلة أجراها معه موقع «الشيرازي نت» بتاريخ ٢٥ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥، انظر المقابلة على الرابط: http://www.alshirazi.net/leqaat/leghaat.htm

(٨٤) مصدر طلب عدم ذكر اسمه.

– على ما يمكن من شعائر الطائفة العلوية ومعتقداتها[٨٥].

لقد انتقل التشيُّع العلوي في السبعينيات من مجرد ظاهرة ليتحول إلى «تيار» واضح، وسواء أكان ذلك ناجماً عن دعم الأسد ذاته في تلك الفترة، أي لأسباب سياسية داخلية تتعلق بدمج الطائفة وإخراجها من عقائدها السرية، (وتراجع الأسد عن ذلك بعد الثورة الإيرانية، كما سبق وأوضحنا)، أم كان بدعم الملالي والشيوخ الإيرانيين والعراقيين واللبنانيين[٨٦] فإن النتيجة هي أنه تأسس تيارٌ شيعي واضح في أوساط الطائفة العلوية.

وما يزال إرسال العلويين إلى الحوزات الدينية في حواضر الشيعة التاريخية (إيران والعراق) دارجاً إلى اليوم؛ وإن كان افتتاح الحوزات العلمية في سورية قلل من ذلك. في المقابل فإن عشرات الطلبة العلويين تخرجوا في جامعة الأزهر[٨٧] وفي كلية الشريعة بجامعة دمشق[٨٨] بدءاً من الستينيات المنصرمة وما يزالون إلى الآن يتخرجون في كلية الشريعة بجامعة دمشق، معظمهم يؤمن بالعقائد الشيعية، أو على الأقل هو قريب من التيار الشيعي في الطائفة العلوية؛ وفي جو سني صارم مثل كلية الشريعة كان من الطبيعي أن يخفي هؤلاء عقائدهم. ولعل السبب في دخول كلية الشريعة لكثيرين منهم هو

(٨٥) على سبيل المثال: كان الشيخ فضل غزال يظهرُ دوماً بلباس شيعي، ولكنه ظهر – في التلفزيون السوري أثناء محاولته لإمامة صلاة الميت أثناء التحضير لمراسم دفن باسل حافظ الأسد عام ١٩٩٤ – حالقاً رأسه ومطلقاً لحيته الطويلة على طريقة شيوخ العلويين التقليديين، ولعله كان يريد بهذا المظهر تأدية رسالة للطائفتين العلوية والسنية على السواء.

(٨٦) كان يأتي – وأحياناً يُستدعى – شيوخ من إيران ولبنان وبعض دول الخليج فضلاً عن العراق لإلقاء الدروس والمحاضرات والمنتديات والاحتفالات الدينية، مثل الشيخ اللبناني الشيعي هاني فحص، وبعض الشيوخ العراقيين الفارِّين من النظام العراقي البعثي مثل الشيخ العراقي علي البدري، والمستشارين الثقافيين الإيرانيين، مثل محمد شريعتي.

(٨٧) من بين الذين تخرجوا في الأزهر أحد موقعي بيان ١٩٧٣، وهو الشيخ مصطفى السيد من قرية بعمرة صافيتا، كان مدرساً دينياً في قرية سمت قبلة قضاء جبلة.

(٨٨) من بين الذين تخرجوا اثنان من موقعي بيان ١٩٧٣، هما: الشيخ محمود مرهج من قرية بحنين قضاء مدينة طرطوس، كان مدرساً في قرية دريكيش وهو مجاز من النجف الأشرف وكلية الشريعة بدمشق، والشيخ يوسف حلوم من قرية شبطلية مجاز من كلية الشريعة بدمشق. ومن بين الدارسين في كلية الشريعة الشيخ ذو الفقار غزال نجل الشيخ فضل غزال.

حظهم «العاثر» الذي لم يتح لهم دراسة جامعية، فدخلوا كلية الشريعة اعتماداً على قانون «الإيفـاد الحزبي» الخـاص بكلية الشريعة – والـذي صدر عقب أحـداث العنف مطلع الثمانينيـات – (خلافـاً لكل كليات الجامعـة الأخرى) من أجل إيجـاد فرص للالتحاق بوظائف الدولة.

مـن جهة أخرى في فـترة الثمانينيات (أي في الفترة التي أصبح الأسـد يتوجس فيها من تصدير ملالي الثورة الإسـلامية الإيرانية لثورتهم) عندما يذكر التشيُّع والتشـييع في الطائفـة العلوية فإن اسـم طبيب الأسـنان المهلب حسـن – الذي ينتمـي إلى أسرة دينية علويـة عريقـة في ريف محافظـة طرطوس – يبرز إلى الواجهـة. كان الرجل على صلة مع رجال الدين الشـيعة، وكان يبذل جهده لإقناع رجال الدين العلويين بالتشـيع باعتباره ضرورة لإعـادة تنظيم الطائفـة العلوية وتقوية وضعها وإعادة تنظيم مؤسسـتها الدينية وفق نسـق هرمي يؤسـس لمرجعية دينية قوية على غرار المرجعية الشيعية، وإنشاء مجلس ملِّي أعلى للطائفة يمنحها القدرة على الاسـتقلال عن قرار السياسـيين بل والتأثير فيهم ويحرمهم من اسـتغلالها. ولم يمض وقت طويل على نشـاطه التبشـيري هذا حتى قامت المخابرات العسـكرية باعتقاله ومصادرة ما بحوزته من المنشـورات الشيعية التي جلبها من إيران، ثم تصفيته جسدياً في مكان اعتقاله في اللاذقية(٨٩).

وإذا كان هـذا شـأن المتدينـين في خيارهـم الدينـي فـإن الأفنديـة والمتعلمـين كانوا يبحثـون عـن كسر للطـوق الديني الطائفـي الذي وجـدوه في الفكر القومي اليسـاري (والـذي كان منظِّـره زكي الأرسـوزي، وتأثر بـه حافظ الأسـد)(٩٠) أو حتى الماركسي.

---

(٨٩) هذه على الأقل هي الرواية التي تتعلق باختفائه لدى فرع المخابرات العسكرية ،والتي تنسب إلى أسرة المهلب حتى الآن ،وإن كان المهلب يُعد من الناحية الحقوقية والقانوينة «مفقوداً»، شـأنه شـأن ما يزيد عن سـبعة عشـر ألف معتقل سياسي من الإخوان المسلمين في السجون السورية في عهد حافظ الأسد.

(٩٠) «لجأ الأسـد إلى خصم عفلق القديم الفيلسـوف زكي الأرسوزي، الذي ألهم الأسد خطاه السياسية الأولى عن طريق الدكتور [الطبيب] وهيب الغانم. وكان الأرسوزي حينذاك متقاعداً منذ فترة طويلة، إلا أن الأسد أخرجه من عزلته وراح يصحبه معه في جولاته على معسـكرات الجيش، وجعله يحاضر في الجنود ويلتقي بالضباط. وقد ابتهج الأرسـوزي العجوز باهتمام الأسد، فراح يكتب مقالات افتتاحية في صحافة الحزب والجيش، كما أنه أعطى الأسد نفسه لمحات عقائدية كان لها أهميتها في تطوره في ذلك الوقت. وعمل الأسد فيما بعد على تأمين معاش تقاعدي للأرسوزي ظل يتقاضاه حتى وفاته بدمشق في ٢ تموز/ يوليو ١٩٦٨».

وبالنسـبة للمجتمـع العلوي الذي لم يعهد الكثـير من التكاليف الدينيـة، والذي يتمتع بكثير من الحرية الاجتماعية لم تغرِه حركة الإصلاح الديني، فقد كانت تعني بالنسـبة له مزيداً من الأحكام والقيود الدينية، وهو المجتمع الريفي القصي الذي بهرته أضواء المدن وسحرته حياتها، فبقي التيار الديني الإصلاحي (الشيعي) والتيار التقليدي (النصيري) يتصارعان[٩١] في حدود القلة القليلة المتدينة في الطائفة.

ختم الشـيخ عبد الرحمن الخيِّر مقالاته عن «يقظة المسـلمين العلويين» سـنة ١٩٣٨

سيل، الأسد، م.س، ص ص ١٥٠–١٥٤.

(٩١) يلخص الشـيخ الخيِّـر في كتابه «يقظة المسـلمين العلويين» هذا الصراع، بالقول: «قامت شـبه حركة عداء بين المتجدديـن (ونعنـي بهـم النابهين من طلاّب المـدارس الثانوية والعاليـة ومن بعض المتعلمين على الشـيوخ المسـلمين العلوييـن) وبيـن المحافظيـن (ونعنـي بهم جمهور المشـايخ من المتشـبعين بالتقليـد) وبعض من الشـباب الدارسـين على الأساتذة العلويين، رجال اليقظة الأولى؛ فقد أنكر المحافظون على المتجددين أموراً نرتبها بحسب أهميتها كما يلي:

١– تقديـم دراسـة العلـوم العصريـة على دراسـة العلوم الدينية، واشـتغال بعضهـم من أبناء المشـائخ بالأدب والسياسة بدلاً من التخصص للتعبد ودراسة الآداب الدينية.

٢– انتقاد بعض رجال الدين ومحاولة هدم بعض العادات المألوفة.

٣– خروج البعض على الأخلاق وارتكابهم بعض المكروهات العرفية.

٤– نظم الشعر العاطفي بدلاً من الشعر الديني.

٥– تقليد الأجانب بالأزياء والعادات.

وأنكر المجددون على المحافظين أموراً منها:

١– إغفالهم دراسة العلوم اكتفاءً بالفقه المذهبي، ورغبتهم عن كل الأعمال الاجتماعية والسياسية تواكلاً على القدر الإلهي.

٢– عدم تنظيم الأعمال الدينية بالضرب على يد كل منتمٍ إلى المشيخة وهو لا يفهم منها شيئاً أو لا يتقن عمله فيها.

٣– مبالغتهم في التقليد لكل مأثور سواء قلّ حسنه أو بان عدم ملاءمته للزمان والمكان.

٤– تسرعهم في الحكم على الظواهر والفلتات، وتعميم التهمة إذا عرض من البعض ما يدعو إليها.

٥– تعمد العزلة والتقشف بشكل يجعل مظهرهم مستهجناً.

وتطـرف بعض الشـيوخ المحافظين فـي التحمس، فرمى كثيراً من المجددين بالمروق مـن الدين، وقابله بمثل تطرفـه بعـض المتجددين فأعلن عدم صلاح نفر عديد من المحافظين، ورمى هذا النفر بسـوء النية والتآكل في الدين والانطواء على غير ما يتظاهر به من تدين وتقوى».

انظـر: الخيِّـر، يقظة المسـلمين العلويين، م.س، ص. وغالب الظن أن ما يقوله الشـيخ عن حالة المجددين في أكثـره ينطبـق على تيار عودة الفرع إلى أصله الشـيعي اليوم، على أنه يأتي فـي صلب هذا الخلاف – وهو الأمر الجديد والأهم – قبول العقائد الشيعية وإحلالها محل العقائد النصيرية التقليدية.

بالقول: «إن البصير المخلص يمكنه أن يتفاءل بأن المستقبل [مستقبل العلويين] يبشر بتحسن الأحوال المعاشية والاجتماعية والفكرية، وأن يتشاءم بتأخر الأحوال (العقائدية) بسبب عدم إعارتها الاهتمام اللازم لتحسُّنها». وبقي ما يقوله صحيحاً ربما إلى اليوم، فتيار عودة الفرع إلى أصله الشيعي في الطائفة العلوية النصيرية لم يستقطب إلا نوعية معينة من شباب العلويين المتدينين، وشريحة المتدينين في الطائفة – كما أسلفنا – محدودة جداً بالأساس. وبشكل عام لا تنجح حركات الإصلاح الديني في قلب المجتمع إذا لم تَقُدْهُم من انغلاق المجتمع وقيوده وأساطيره إلى رحابة العقل والحرية، فهي لا يمكن أن تتحول إلى حركة شعبية ممتدة، إذ تبقى تياراً داخل الطائفة قد يتحول – إذا لم يستطع جر الطائفة وراءه – مع الأيام إلى انشقاق جديد وطائفة داخل طائفة في نوع من التشظي المستمر الذي اعتادت عليه الطوائف الدينية المنغلقة.

الفصل الثالث

ظاهرة العمائم السود

البعث ١٩٩١ - ٢٠٠٠

«إن أحداً لم يكن يعرف بأن مقام السيدة زينب سيجذب هـذه الأعداد الهائلة من السـكان، و(...) إن الجولانيين عندمـا نزحـوا إلى هنا بعـد حـرب حزيران/ يونيو عام ١٩٦٧ كانـت المنطقـة كلها مـزارع وبسـاتين مزدهرة، وكانـت الأرض رخيصة الثمن جداً والأمر بقي كذلك حتـى منتصـف الثمانينات؛ عندما التفـت الإيرانيون إلى أهمية المنطقة الدينية وبدأوا زيارتها بأعداد كبيرة جداً».

أحد النازحين من الجولان

أدت الأحداث بين عامي ١٩٨٩ و١٩٩١ إلى انعطاف مهم في علاقة الأسد بملالي إيران وتابعيهم الخمينيين في لبنان وسـورية، وجعلته يسمح بمزيد من النشاط وحرية الحركة

والتبشير في المدن السورية لدعاة التشيُّع، ولكن الأسد - الذي خذله الإيرانيون لتوه في محنته عام ١٩٨٦-١٩٨٧ (قضية طائرة إل العال)، إذ كان مهدداً بالعقوبات الاقتصادية الدولية[٩٢] - أصبح على يقين أن علاقته بإيران علاقة تحدها المصالح السياسية المؤقتة وليست علاقة استراتيجية، وعليه أن يلعب اللعبة على هذا الأساس.

انتهت حرب الخليج الأولى (١٩٨٠-١٩٨٨)، وفي عام ١٩٨٩ توفي الإمام الخميني، وكان هذا الحدث أكبر حدث في تاريخ «الجمهورية الإسلامية الإيرانية» بعد الحرب العراقية الإيرانية التي لم يمض على انتهائها عام واحد. وقد انتخب «مجلس الخبراء» الرئيس علي خامنئي مرشداً للثورة خلفاً للخميني، فيما انتخب رئيس مكتب حركات التحرر الإسلامية في الحرس الثوري هاشمي رفسنجاني رئيساً للبلاد. وكان الخميني قد قبل عام ١٩٨٨ بمضض شديد اتفاق وقف إطلاق النار مع العراقيين ينهي الحرب العراقية الإيرانية ويوقف «تصدير الثورة»، وكان هذا من أكثر الأشياء إيلاماً له، فقد كان بالنسبة له بمنزلة «شرب كأس السم»![٩٣]

وفي لبنان (الخاصرة السورية الرخوة)، حيث بدأت معالم اتفاق ينهي الحرب الأهلية بهيمنة سورية ومباركة أمريكية - سارع الإيرانيون في إبرام اتفاق شفهي مع الأسد يضع أتباعهم اللبنانيين (حزب الله) في إطار السياستين السورية والإيرانية معاً في لبنان،

(٩٢) «في أعقاب محاكمة الهنداوي [الشخص المتهم بالضلوع في تخطيط وتنفيذ عملية طائرة «إل عال» الإسرائيلية] مباشرة (في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٦) عندما كان الضغط على الأسد في أوج قوته، كان الأسد حريصاً على تأمين إطلاق رهينة واحدة على الأقل [من الرهائن الأمريكيين المحتجزين في لبنان على أيدي جماعات موالية لإيران]، وعلى أن يري العالم أنه أمّن ذلك، كي يبعد عنه التهديد بفرض عقوبات ضده، إن لم يكن شن هجوم مسلح على سورية بالفعل. ولذلك كانت صفعة أن يتم بعد يومين إطلاق سراح ديفيد جاكوبسين من قبل مختطفيه المؤيدين لإيران، مع عدم تركه في أيدي القوات السورية، بل أمام السفارة الأمريكية حيث نقل بسرعة إلى بيروت الشرقية المسيحية ومنها إلى لبنان.
غضب الأسد، ولم يكن لديه شك في أن إطلاق سراح هذه الرهينة كان نتيجة صفقة مبادلة السلاح بالرهائن. وهكذا ففي ٣ تشرين الثاني/ نوفمبر (أي في اليوم التالي مباشرة) وفي زجرة تستهدف توبيخ أمريكا وإيران معاً، سربت سورية خبر زيارة ماكفرلين لطهران والاتصالات الأمريكية - الإيرانية السرية إلى مجلة «الشراع» في بيروت، وأدى ذلك إلى ما عرف بفضيحة «إيران - كونترا»». سيل، الأسد، م.س، ص ص ٧٩١-٧٩٢. وانظر أيضاً الهامش رقم (٤٣).

(٩٣) نقل عن الخميني في وصف هذا الاتفاق: «من جام زهر نوشيدم» أي بالعربية: «أنا شربت كأس السُّم».

لينهـي خلافاً حاداً وصامتاً لدمشـق مع إيران وحزبها يعود لخمس سـنوات خلون على الأقل من هذا التاريخ، ففي أواخر كانون الثاني/ يناير من عام ١٩٨٩ وبعد مفاوضات طويلـة حضرها الطرفـان اللبنانيـان المتذابحـان[٩٤] على الهيمنـة الشـيعية «حركة أمل» و«حـزب الله» و«ولياهما» (سـورية وإيـران)، وبموجبه حُصرت حركـة أمل في العمل السـياسي، واحتكرت «المقاومة» المسـلحة لحـزب الله في شريط البقـاع اللبناني الجنوبي، حيث الاحتلال الإسرائيلي، والعمل مع السـوريين على اسـتقرار لبنان وفق الشروط أو «الرؤية» السياسـية السـورية (بالإضافة إلى الرؤيـة الإيرانية)، التي تـرى في لبنان نقطة ضعف عسكرية وسياسية[٩٥].

وعلى الرغم من أن الأسد تصادم مع حزب الله[٩٦]، وكان حزب الله يتذمر من الهيمنة السورية في لبنان ويقاومها[٩٧]، إلا أن الأسد كان مدركاً أن يده الطولى في لبنان ستمنحه

(٩٤) دارت بيـن المنظمتيـن (أمل وحزب الله) معارك طاحنة بين عامي ١٩٨٨–١٩٩٠ أقرب ما تكون إلى «حروب تطهيـر» أوقعـت هذه المعارك في شـهر أيار/ مايو من عام ١٩٨٨ في الضاحية وحدها خمسـائة قتيل (حسـب تقاريـر قـوى الأمـن الداخلـي)! (انظـر: شـرارة، دولـة «حـزب اللـه»، م.س، ص٣٦٦) وأصـل التنافس بين المنظمتين الشيعيتين هو تنافس فكري – سياسي للسيطرة على الطائفة الشيعية في لبنان، وفيما يعتبر حزب الله نفسه (ويعتبره الإيرانيون الرسميون وملاليهم كذلك) امتداداً للثورة الإيرانية فإن أمل تعتبر نفسها خياراً محلياً وطنياً وتستند إلى دعم السوريين في مواجهة حزب الله.

(٩٥) حول هذا الاتفاق انظر: شـرارة، دولة «حزب الله»، م.س، ص٣٦٧. وأسـاس الاتفاق أو الدافع له هو تسـوية انطلاقـاً مـن أن إيـران لها اليد العليا معنى ومورداً، وسـورية لها اليد العليا سياسـة ووجـوداً مادياً على الأرض فـي لبنـان، ولا يمكـن لإيـران أن تعمل علـى الأرض اللبنانية خـارج الإرادة السـورية (انظر: المصدر نفسـه، ص٣٦٢).

(٩٦) في شباط/ فبراير من عام ١٩٨٧ وفيما كان بعض الجنود السوريين يعضدون دورية «للقوة النظامية» من الجيش اللبناني وقوى الأمن الداخلي والمنظمات (الميليشيات) في بيروت، وقع اشتباك بين الدورية وحراس مكتب «حزب الله» بمنطقة البسطة، فقتل أحد حراس المكتب، واحتجز زملاؤه الدورية (٢١ جندياً وشرطياً ومقاتلاً، بينهم ١١ سـورياً) وأحرقت خمس آليات، ولم يمض أسـبوعان على الحادثة (أي في ٢٢ شـباط/ فبراير) حتى توجهت القوات السـورية – التي عادت لتوها إلى بيروت – إلى ثكنة عسـكرية وأمنية وسياسـية لحزب الله في المنطقة ذاتها، فدخلت مصلى الثكنة وقتلت بـ«السلاح الأبيض» اثنين وعشرين مقاتلاً من حزب الله.
انظر تفاصيل الحادثة في: شرارة، دولة «حزب الله»، م.س، ص ص ٣٦٠–٣٦١.

(٩٧) سيل، الأسد، م.س، ص ٧٩١.

فرصة لتحويل حزب الله إلى أداة سياسية سورية فعالة للمواجهة مع إسرائيل[٩٨]، تؤمن الخاصرة السورية هنالك، وتعزز موقفه التفاوضي عبر سياسة «توحيد المسارين» السوري واللبناني في مفاوضات السلام مع الدولة العبرية.

جاء اتفاق الطائف بمباركة أمريكية عربية فرنسية لينهي الاقتتال الطائفي في لبنان والذي اندلع سنة ١٩٧٦[٩٩]، وقد أصبحت سورية فعلياً وقبل الاتفاق صاحبة اليد الطولى في لبنان. عزز هذا الاتفاق وضع سورية ومنحها الشرعية للتواجد بقواتها هناك، ولا شك أن ذلك منح الأسد وقتاً لأخذ النفس، وقوّى وضعه إقليمياً في وقت كان يواجه فيه حصاراً اقتصادياً وعقوبات دولية. وجاءت حرب الخليج الثانية (عملية «عاصفة الصحراء» للتحالف الدولي لإخراج جيش صدّام من الكويت) لتمنح الأسد فرصة جديدة للانخراط في المجتمع الدولي، فقد كان وقوفه في صف التحالف الدولي واشتراك جيشه في العمليات العسكرية ضد الجيش العراقي الفرصة الوحيدة ربما للخروج بسرعة من أزمة الحصار الدولي الذي كان يعانيه منذ ١٩٨٧، وبانتهاء حرب الخليج الثانية ازدادت قوة الأسد الإقليمية.

كان على إيران أن تدرك هذا الوضع الجديد الذي جعل سورية ممسكة بخيوط اللعبة في لبنان ومضعفاً حاجتها للدور الإيراني فيما يتعلق بالسياسة الإقليمية بعد حرب الخليج؛ وقد أدركت ذلك بالفعل. لقد أصبحت إيران بالنسبة للأسد مجرد طرف دولي فاعل في إحدى طوائف لبنان، فاستثمر الأسد ذلك بدهاء، إذ حصر علاقته بها في هذا الدور – وهو دور يرتبط بشكل أو بآخر بمواقفها «المناهضة» لإسرائيل والولايات المتحدة – ودفع بفكرته للاستفادة من التشدد الديني الشيعي للملالي إلى

(٩٨) كان على حزب الله أن ينهض بدور استمرار الأعمال العسكرية المقاومة ضد إسرائيل والتي توقع خسائر يُتوقع ألا تدفع الدولة العبرية إلى عملية عسكرية كبيرة (كتلك التي حصلت فيما بعد في تموز/ يوليو ٢٠٠٦)، ولا تتركها في الوقت نفسه آمنة.

(٩٩) أُقرَّ اتفاق الطائف، وانتخب الياس الهراوي رئيساً، وأخرج ميشال عون من مقري الرئاسة وقيادة الجيش، ووحِّدت الأراضي اللبنانية على يد القوات السورية.

الحدود القصوى عندما جعل حزب الله وحده يقاتل إسرائيل في «خدمة السيدين»[١٠٠] (سورية وإيران)، بدلاً من أن يتكبَّد الجيش السوري الخسائر المادية والمعنوية وينصرف عن ضبط اللعبة السياسية في لبنان وفق الإيقاع السوري.

أولاً: الملالي المستأنسون (١٩٩٠-١٩٩٣)

انعكست العلاقات مع حزب الله على حركة الشيعة والإيرانيين وملاليهم في سورية، وبمجرد حصول الاتفاق انعطف حزب الله إلى موجه الإرادة السورية، وسعى إلى تمتين العلاقة بالقيادة السورية وكسب ثقتها عبر الميل إلى دور سياسي وخطاب سياسي أقل تشدداً.

وخلال هذه الفترة كانت قيادات حزب الله تتردد إلى دمشق لتحديد مواقفها والتنسيق مع القيادة السورية، وما بلغوا عام ١٩٩٢ حتى سافروا جميعهم للقاء وزير الخارجية السوري فاروق الشرع ونائب الرئيس (في ذلك الوقت) عبد الحليم خدام مرتين في غضون بضعة أسابيع!

وبجوار هذه الحركة السياسية بدأ يسمح لأنصار حزب الله بالحركة في سورية، وبدأت القيود على النشاط التبشيري بالانخفاض، فالأسد مازال يرى واجباً عليه إخراج الطائفة العلوية من عزلتها العقدية، التي كانت قد استجابت بشكل واضح لحركة التشييع بوصفها حركة دينية إصلاحية في الطائفة، وكان يجد في الفكر الشيعي حلاً للطائفة ولكنه كان يرى فيه أيضاً تهديداً له في الوقت نفسه! ولم يكن الأسد يبدو محبذاً للفكر الديني أساساً.

وكانت علاقة الأسد بالزعامات الدينية الشيعية (العلوية الأصل مثل الشيخ عبد الرحمن الخيِّر، فضلاً عن الملالي الإيرانيين والعراقيين واللبنانيين) ممتازة للغاية، حتى

---

(١٠٠) انظر: شرارة، دولة «حزب الله»، م.س، الفصل الثالث «وجها الخمينية اللبنانية أو: خدمة السيدين» ص ص٣٣٥-٣٨٨، وبشكل خاص انظر: ص٣٦٢.

كان للشيوخ العلويين الإصلاحيين (الشيعة) دالَّة على الأسد، وكان بإمكانهم الوصول إليه بسهولة، وهو أمر كان يسهِّل وصول ملالي الشيعة إليه[١٠١]. ولكن ما أن قامت الثورة الإيرانية حتى بدأت علاقاته تسوء شيئاً فشيئاً مع الملالي الشيعة، ولم يعد الأسد يستقبلهم كما كان من قبل. ولم يبلغ عقد الثمانينيات منتصفه حتى لم يعد الأسد يستقبل أحداً منهم، وبدلاً من ذلك كان نائبه خدام يتولى المهمة[١٠٢] عند الحاجة.

الاستئناف

بعد تحفظ شديد على حركتهم في الثمانينيات بدأ ملالي الشيعة يفدون إلى دمشق يلقون دروسهم ومحاضراتهم وينشطون في تبشيرهم، فاستتباعاً للعلاقة مع حزب الله أصبح بإمكان السيد محمد حسين فضل الله القدوم إلى ضاحية السيدة زينب وإلقاء دروس أسبوعية في حوزاتها، وفضل الله (المفكر الديني الحركي لحزب الله) كان ولا يزال طامحاً بحيازة مرجعية دينية شيعية. ومنذ ذلك التاريخ وبشكل منتظم[١٠٣] كان فضل الله يلقي

(١٠١) كان لقاء الأسد بالشيخ حسن الشيرازي عن طريق أحد الشيوخ العلويين (انظر هامش رقم ٣١)، وتوثقت علاقة الأسد به حتى أصبح بإمكان الشيرازي أن يكون على اتصال مباشر مع الأسد كلما أراد، وهذه القصة التي يرويها أحد موظفيه المقربين في الحوزة الزينبية شهادة على عمق وخصوصية علاقة الأسد بالشيوخ العلويين المتشيعين والملالي:
«في أحد الأعوام اقترح السيد [الشيرازي] علينا بأن نذهب إلى الحج، وكان برفقتنا المرحوم الشيخ أبو الفضل أحمد الخيِّر [علوي]، والمرحوم إسماعيل الأسد [علوي، شقيق حافظ الأسد (مواليد ١٩١٣)]، والسيد محسن الخاتمي [إيراني]، وبعد حصولنا على الفيزا رنّ جرس التلفون من القصر الجمهوري، وذلك من قبل السيد الرئيس الراحل حافظ الأسد، الذي يقول فيه: «قمنا بإرسال برقية إلى الملك السعودي لكي تكونوا في ضيافته، وسوف تسافرون عبر الطائرة». فاعتذر سماحة السيد وقال: «أنا لا أستطيع أن أتجوّل في السيارات الخاصة السعودية، وإنما أريد أن أتجول وأزور البعثات بنفسي، ولا أريد أن أتقيد بالبروتوكولات»، ولذلك قرّر السيد – وبرفقته إسماعيل الأسد والشيخ أحمد الخيِّر – أن يذهبوا جواً وعلى نفقتهم الخاصة، وأنا والسيد محسن الخاتمي نغادر براً». انظر مقابلة موقع «الشيرازي نت» مع تلميذه محمد شريف (هندي الجنسية)، على الرابط: http://www.alshirazi.net/leqaat/leghaat/legha/shahid/027.htm

(١٠٢) انظر: حسن صبرا (برلين)، مقابلة مع عبد الحليم خدام (الجزء الثاني)، مجلة «الشراع» (أسبوعية سياسية عربية)، بيروت، العدد ١٣٠٨، ١ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٧.

(١٠٣) يوم في الأسبوع، هو يوم السبت.

دروسه العامة والخاصة في الحوزة الزينبية والحيدرية، وهي دروس كانت في معظمها تستهدف ترسيخ المرجعية الدينية لفضل الله خارج لبنان، وخصوصاً في شيعة دول الخليج، وما لبث أن أسس في ضاحية السيدة زينب مكتباً له مخصصاً للفتوى والخمس على عادة المراجع الشيعية التي لدى كل منها مكتبه الخاص. وكان فضل الله - شأن المرجعيات الشيعية في إيران والعراق التي لفت انتباهها تيار التشيع في الطائفة العلوية - مهتماً بتعميق صلته بالتيار الشيعي (العلوي)، فكتب في سنة ١٩٩٢ مقدمة لكتاب «العلويون والتشيع»[(١٠٤)] يدافع فيها عن مظلومية الطائفة العلوية وضرورة تصحيح التصور «المغلوط» الشائع عنها والانتباه إلى أنها كانت ومازالت شيعية إمامية!

بعد «انتفاضة الجنوب» الشيعي في العراق عام ١٩٩١ قدم عدد كبير من المهاجرين العراقيين معظمهم من النشطاء الحركيين وقياداتهم، واستوطنوا «حي الأمين» و«السيدة زينب». أسهم هذا في بث النشاط الشيعي على نحو غير مسبوق، فقد خصص التلفزيون السوري الرسمي في عام ١٩٩٢ حلقة أسبوعية (يوم الجمعة) للواعظ الشيعي العراقي عبد الحميد المهاجر، الذي كان ناشطاً من قبل في العمل التبشيري بشكل شبه علني[(١٠٥)]، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يظهر في التلفزيون السوري، ولم يكن السوريون السُّنة يخفون حنقهم من هذا الدرس، فقد شعروا أن الفضاء الديني السني انتهك بقوة عندما

---

(١٠٤) تأليف الشيخ علي عزيز الإبراهيم، أحد النشطاء البارزين في تيار التشيع العلوي في طرابلس لبنان، وأحد الموقعين على البيان الشهير «المسلمون العلويون... شيعة أهل البيت (ع)» ١٩٧٣، (الدار الإسلامية، بيروت، ط١، ١٩٩٢).

(١٠٥) يذكر محمد يوسف قمجي - مواليد الضمير (ريف دمشق) ١٩٥٢، والذي اعتنق التشيع على يديه عام ١٩٨٦ - قصة تأثره بالشيخ المهاجر عندما كان (القمجي) مقيماً في قرية عدرا (شمال دمشق) التي دفن فيها الصحابي الجليل حجر بن عدي الكندي حيث استمع إلى درس ألقاه عند المقام عن مقتل حجر بن عدي الكندي. ويروي القمجي كيف أرسل عبد الحميد المهاجر الحاج أبو ميثم (صاحب مكتبة «دار الحسنين») والشيخ عباس النوري (من الحوزة الزينبية) والحاج حسين الركابي لتلبية حاجته للمعرفة الشيعية.

آل قطيط، هشام. المتحولون: حقائق ووثائق، (دار المحجة البيضاء، بالاشتراك مع دار الرسول الأكرم، بيروت، ط١، ٢٠٠٢) السيد محمد يوسف قمجي. انظر نص المقابلة في الكتاب على الرابط:
http://www.14masom.com/maktabat/maktaba-akaed/book58/index.htm

سُمح لشيخ شيعي بوعظ جموع الأكثرية السنية![١٠٦]، وما أن أصبح المهاجر وجهاً معروفاً لدى السوريين حتى ذهب يطوف أرجاء سورية مبشراً بالتشييع.

في هذا الوقت أيضاً كان المبشر العراقي الشيعي علي البدري[١٠٧] (الذي توفي ١٩٩٨) ناشطاً في المدن والقرى السورية (على وجه الخصوص: حلب وحمص والحسكة والقامشلي والرقة واللاذقية وديـر الـزور، وأريافها)، يفتتح العديد من الحسينيات والمكتبات الشيعية فيها (مثل: الحسينية التي أقيمت قرب جامع عمر الفاروق في دمشق).

بدأت حركة تشييع واضحة تنمو وتتجه إلى القرى والأرياف، وإلى طلاب العلوم الدينية بشكل خاص، فالعروض بالدراسة في قم أصبحت تنهال على كل من يقترب من المؤسسات الشيعية، بدءاً من المستشارية الإيرانية[١٠٨]، وصولاً إلى أصحاب المكتبات الشيعية في السيدة زينب يشاركون في هذه العروض الدراسية لكل سوري يهتم بالفكر الشيعي، ولكن قليلون أولئك الذين استجابوا لإغراءات هذه العروض، فقد كانت شبه محصورة في الأوساط المثقفة ثقافة دينية وأوساط طلبة العلوم الدينية.

تشيُّع العمال

بعد اتفاق الطائف بدأت العمالة السورية بالتدفق إلى لبنان بشكل غير مسبوق، وجزء كبير من هذه العمالة – التي كانت تحمل الكفاءة المهنية بدرجات متدنية وتعاني من بطالة

(١٠٦) أوقف بث الحلقة الأسبوعية بضغط الشيوخ عام ١٩٩٣م، أي بعد قرابة عام من بدئها.

(١٠٧) الشيخ علي البدري: أحد كبار المبشرين الشيعة. امتد تبشيره إلى العديد من الدول العربية والأوروبية والأفريقية مثل: اليمن والمغرب والجزائر ومصر والسودان وتنزانيا وغينيا وسيراليون وهولندا وألمانيا وبريطانيا والسويد والدانمارك وأسس فيها مكتبات ومراكز لتدريس الفكر الشيعي.

(١٠٨) كان محمد شريعتي هو المستشار الثقافي لإيران في ذلك الوقت، وشريعتي رجل دين إيراني انضم إلى الحركة السياسية الإصلاحية في إيران منتصف التسعينيات، وأصبح مستشاراً للرئيس خاتمي، وقد أرسل عدداً من الشباب السوريين للدراسة الدينية في إيران بغرض التشييع، وهناك عدد من طلبة العلوم الدينية أكدوا لنا أنهم تلقوا هذا العرض من المستشار شريعتي؛ وشريعتي أسهم أيضاً في حملة التبشير هذه – بحكم منصبه على الأقل – في عدد من المدن والقرى السورية، وخصوصاً في الشمال السوري ومنطقة الجزيرة.

مزمنة في بلدها – عمل في الجنوب اللبناني. كان بين هؤلاء الآلاف من الأكراد، وبينهم مئات من الأكراد «البدون» الذين حرموا الجنسية السورية في إحصاء الحسكة الاستثنائي عام ١٩٦٢. وقد سمحت الإقامة الطويلة واللقاء اليومي بين العمالة السورية والمجتمع الشيعي اللبناني باحتكاك غير مسبوق مع السوريين، ربما لم يكن يحلم به مبشرو الشيعة من قبل.

أدى هذا الاحتكاك إلى تشيُّع عدد كبير من العمال السوريين(١٠٩)، خصوصاً من الأكراد «البدون» الذين كانوا يأملون ربما بالجنسية اللبنانية عبر اعتناق التشيُّع ودعم حزب الله لهم، لكن أحلامهم هذه- التي لم تتحقق على الغالب – كانت إحدى الشباك التي صيدوا بها من أجل التحول الشيعي. وعلى الرغم من أن التراث الشيعي يتضمن عداءً فقهياً وعقدياً خاصاً للأكراد(١١٠)، إلا ان ذلك لم يحل دون اجتذاب العمال البسطاء وذوي الثقافة المحدودة لعقائد الشيعة، من خلال حوارات سجالية تبشيرية تستفيد من المعرفة الساذجة للعمال بالتاريخ الإسلامي والفكر السني وتراثه العقدي والفقهي.

تشيع مئات العمال السوريين، وتأثر بالتشيع ربما أضعافهم. ونتيجة لهذه الحركة التبشيرية التي بدأت تدب في أرجاء سورية بدأ الشيعة السوريون (الأصليون)

(١٠٩) من بين العمال المتشيعين هشام آل قطيط (قضاء منبج في ريف مدينة حلب، يقطن مدينة رميلان في محافظة الحسكة) مؤلف كتاب «المتحولون: حقائق ووثائق» (م.س)، وهو كتاب غاية بالأهمية صدر منه ستة أجزاء حتى الآن، وهو يشبه المعجم لمتشيعي السنة، ويتضمن مقابلات تقدم معلومات غاية في الأهمية حول موضوع المتشيعين في سورية ودوافعهم للتشيع. ومثله الشيخ أبو النور موقِّع (أحد النشطاء البارزين في التبشير الشيعي في مدينة حلب). والوجود الشيعي في كثير من المناطق يرجع إلى العمالة السورية وحدها، كما في قرية التل (قرب دمشق). ويعد الشاعر سمعو عبد الكريم درويش (مواليد ١٩٢٢، من قضاء الباب، قرية بزاعة) من أقدم من تشيعوا بسبب العمالة في لبنان، منتصف الستينيات، وأعلن تشيعه في ١٩٦٨، وكان ممن التقوا الزعيم الشيعي موسى الصدر.
حول سبب تشيع سمعو درويش انظر: آل قطيط، المتحولون، م.س،و يمكن قراءته على الرابط:
http://www.14masom.com/maktabat/maktaba-akaed/book58/index.htm

(١١٠) ثمة نصوص دينية في التراث الشيعي (على سبيل المثال لدى: الطوسي (شيخ الطائفة)، والحلي (يحيى بن سعيد)، والكليني، والجوهري، والحلي (ابن إدريس)، والطباطبائي (علي)، وغيرهم) تفيد بأن الأكراد هم «حبس من الجن كشف عنهم الغطاء». وهناك فتاوى فقهية أيضاً تقضي بعدم جواز مخالطتهم والزواج منهم. ولعل أصل هذه العقائد والأحكام يعود في معظمه إلى انعكاسات الحقبة التي قضى فيها صلاح الدين الأيوبي (الكردي) على الدولة الفاطمية ووحد مصر والشام.

يقومون بنشاطات شيعية علنية ربما للمرة الأولى، في المدرسة المحسنية (في حي الأمين بدمشق)، مع حرص شديد لدعوة الشخصيات والرموز الدينية السنية من أهالي البلد لحضورها[١١١]. ونشطت جمعياتهم بالحركة، فبدأت جمعية «النجمة المحمدية» بعقد «مجلس السيدة زينب» في الخامس عشر من رجب عام ١٩٩٣، وأصبح ينعقد بشكل سنوي منذ ذلك التاريخ.

احتلال المقامات

باستثناء ضريح «السيدة زينب» وبعض مقامات آل البيت و«شهداء كربلاء» في باب الصغير و«مشهد النقطة»[١١٢] في حلب، لم يكن للشيعة أي مقام آخر يتبع لوصايتهم، فجميع المقامات تابعة لوزارة الأوقاف، حتى المقامات التي كانت تحت رعاية استثنائية من قبل مواطنين شيعة، إلا أنها كانت تابعة رسمياً لوزارة الأوقاف ومديرياتها.

---

(١١١) على سبيل المثال، كثيراً ما دُعي لهذه النشاطات الدكتور وهبة الزحيلي، والدكتور مصطفى البغا من كلية الشريعة، والدكتور محمود عكام (أحد شيوخ مدينة حلب).

(١١٢) يروي المؤرخ ياقوت الحموي في معجم البلدان أنه كان عند سفح جبل الجوشن المطل على حلب دير يسكنه النساك والناسكات ويوقِّر النصارى أطلاله؛ حتى أقام المسلمون في نفس مكانه مزاراً إسلامياً زعموا أن الحسين بن علي رؤي وهو يصلي عنده!
و«مشهد النقطة» هو مقام أنشئ في عهد الدولة الحمدانية الشيعية الباطنية في القرن الرابع الهجري على أنقاض دير نصراني كما هو مثبت في لوحة التعريف على جداره باللغتين العربية والفارسية: «هذا المشهد كان في الأصل ديراً نصرانياً يدعى «دير مارت مروثا» ولمّا مر حمَلَة رأسِ الحسين في طريقهم إلى دمشق من هذا الدير عام ٦١ هـ أخذ راهب الدير الرأس؛ فقطرت من دم الحسين قَطرات؛ فصار الراهب يتبرك بأثرها. وفي سنة ٣٣٣هـ أشاد سيف الدولة عليه بناءً ضخماً وأصبح مزاراً منذ القرن الرابع معروفاً بـ «مشهد النقطة» أو «مشهد الإمام الحسين». نقلاً عن: آل حسين، تحذير البرية، م.س، ص٢١-٢٢.
استعمل مشهد النقطة أواخر الدولة العثمانية كمستودع للأسلحة عام ١٣٢٣هـ، وقد انفجر المستودع في الحرب العالمية الأولى، ثم أعيد بناء هذا المقام ثانية عام ١٣٣٧هـ من قبل الجمعية الخيرية الجعفرية بحلب، وجرى التوسع فيه بدعم من الجمهورية الإسلامية في إيران.
انظر: الشمري، أبو حيدر، مهرجان خطابي في الرقة إحياءً لذكرى استشهاد الصحابي عمار بن ياسر، الوكالة الشيعية للأنباء، سورية، ٤-٦-٢٠٠١، على الرابط: http://www.ebaa.net/khaber/archev/khaber022/khaber22.htm

بدأ الشيعة ينقبون عن مقامات مندثرة لآل البيت لإحيائها، وكان الملالي الإيرانيون قد اكتشفوا نهاية السبعينيات وعلى نحو مفاجئ عدداً من المقامات «المهمة» والمهملة، مثل «مقام السيدة زينب»، ومقام السيدة رقية في حي العمارة الجوانية حارة الأشراف، ومقام الصحابي حجر بن عدي الكندي في قرية عدرا في ريف دمشق، التي تتبع للإشراف السني، فقرر ملاليهم احتلالها![١١٣] وظاهرة المقامات لدى الشيعة ليست ظاهرة عادية، فالفكر الشيعي يعبد التاريخ، وأحزانه ونظرته السوداوية المستمرة للعالم تجعله مهتماً بالمآسي والأموات أكثر من اهتمامه بالأحياء. وعلى أية حال ما إن انتهى عقد الثمانينيات حتى سطا الشيعة على الأوقاف السنية التي تضمنت «مقاماتهم» المكتشفة. وفي هذه المدة بنيت الأضرحة وتم اقتلاع ما يجاورها من أبنية، ففي حي العمارة الجوانية – مثلاً – كانت البيوتات الدمشقية العريقة في حارة الأشراف (سادة آل البيت السنة) والمجاورة لمقام السيدة رقية تتعرض للخراب من أجل إقامة مبنى ضخم لمقام السيدة رقية، يتضمن مدرسة ومسجداً كبيراً، وما انتهى إعماره حتى نهاية عام ١٩٩٠.

كان حافظ الأسد يراقب عبر أجهزته الأمنية هذه النشاطات عن قرب، وإذا كان الأسد لم يجد في هذه النشاطات ما يؤذي سلطته، فإنه وجد في الوقت نفسه أنه يمكنه الاستفادة منها لدعم سلطته، فالأسد بعد حرب الخليج الأولى أصبح «متفرغاً» لتهيئة خلافته والعمل لها بشكل جدِّي، وإذا أصبحت حركة التشيع مستأنسة، لا تقوم على

(١١٣) يروي تلميذ الشيرازي الشيخ الأفغاني محمد بخش الحليمي جزءاً من قصة الاحتلال هذه، والتي كان قد ابتدأها حسن الشيرازي ولعب فيها دوراً حاسماً، إذ يقول: «في حرم السيدة رقية (...) كانت تقام صلاة الجماعة من قبل أهل السنة، والسيد [حسن الشيرازي] استطاع أن يقيم صلاة الجماعة فيها، وترك أهل السنة إقامة صلاة الجماعة في حرم السيدة رقية»!
كما يذكر الحليمي أن من أهم إنجازات حسن الشيرازي «إقامة صلاة الجماعة في صحن مقام السيدة زينب عليها السلام، ووضع التربة الحسينية أثناء الصلاة، حيث لم يكن يشاهد تربة في المقام قبل ذلك. وفي الليلة الأولى التي قمنا فيها بزيارة السيدة زينب عليها السلام كان صندوق التربة موجوداً أمام باب المقام، فجاء عدة نساء وقامت إحداهن بشمّ التربة، وتذوقت الأخرى التربة، والسيد كان جالساً فوق سجادته ونحن خلفه، وكان بيننا شخص من باكستان متعصب جداً، أراد أن يقوم ليمنع النسوة، ولكن السيد حسن منعه من التعرض لهن، وقال: «فليفعلوا ما يريدون، حتى يتيقنوا بأنه تراب، ويتعرفوا على التربة الحسينية»، علماً أنّ بعض النسوة أخذن التربة خفية، وقمن بكسرها لكي تشاهد ما في داخلها». انظر: نص مقابلة «الشيرازي نت» معه، م.س، على الرابط: http://www.alshirazi.net/leqaat/leghaat/legha/shahid/022.htm

فكرة تصدير الثورة تلك التي انطلقت بقيام الجمهورية الإسلامية، فإن هذا لا يعني أن أهدافاً سياسية لم تكن في خلد كل من الأسد والملالي الإيرانيين؛ فالأسد يريد استثمار هذه الحالة لتأمين الدعم الشيعي في الطائفة العلوية من جهة، وإيران من جهة أخرى. وفي الوقت الذي كان فيه ملالي إيران يفكرون بزيادة الوجود الشيعي في سورية لتقوية شيعة لبنان وتأمين علاقات اجتماعية تتيح نفوذاً مستقبلياً لهم في البلاد فضلاً عن الدواعي العقدية والتاريخية، كان الأسد – في المقابل – يفكر بتأمين انتقال سلس لخلافة ابنه باسل له، عبر دعم حكومة الملالي في إيران له ودعم «تيار عودة الفرع إلى أصله» الشيعي القوي في الطائفة العلوية.

انطلاقاً من ذلك أمر الأسد ببناء مسجد كبير في قريته في محافظة اللاذقية «القرداحة»، الذي اطلق عليه اسم والدته ناعسة عبود (مسجد ناعسة)، وحينما أراد افتتاحه (١٩٩١) عيّن الشيخ العلوي فضل غزال (أحد أبرز شيوخ تيار التشيع العلوي) إماماً له.

ثانياً: الملالي المبشِّرون (١٩٩٤–٢٠٠٠)

لا شك أن تأثير الثورة الإيرانية في المتدينين المسلمين كان كاسحاً في العالم العربي، فقد كان الإسلاميون «يجاهدون» في مصر وسورية والسودان وغيرها لإقامة «دولة إسلامية» طالما دغدغت أحلامهم، وكان القوميون واليساريون العرب قد أرهقوا أنفسهم بلفظ «الثورة» دون أن يستطيعوا إنجاز شيء مما أملوه، فوجدوا جميعهم انعكاس أحلامهم في الثورة الإيرانية. وبحسابات ساذجة – ربما كانت مواتية لتلك الظروف التي كان يغرق فيها الفكر العربي والإسلامي بالأيديولوجيا الثورجية – وجد بعضهم في قيام الثورة وإنجازها معادلاً لصحة الأفكار والعقائد، فانتقل إلى التشيع تحت هذا التأثير، وهو أمر يصدق على معظم المتشيعين في حقبة الثمانينيات[١١٤].

(١١٤) على سبيل المثال: والد ياسر الحساني (متشيع تأثراً بأبيه) (منبج – ريف حلب)، والشاعر المنبجي محمد منلا غزيل. وقد كان تأثر الشيخ الصوفي حسين الرجا في قرية زغير (ريف دير الزور) بالثورة الإيرانية سبباً

وسرعان ما تشكلت من هؤلاء شبكة للتبشير الشيعي تم تحفيزها (فيما يتعلق بسورية) بالنشاط التبشيري للملالي الإيرانيين والعمال المتشيعين في لبنان، غير أن عماد هذه الشبكة الفعلي كان العمال السوريون المتشيعون، الذين قام ملالي إيران بمساعدتهم وتمويلهم عبر جولات لآيات الله والمستشارين الثقافيين الإيرانيين تصل إلى أعماق صحراء الجزيرة والبادية وقراها الصغيرة النائية شمال شرق سورية. ضمت هذه الشبكة - بالإضافة إلى العمالة المتشيعة في لبنان - المتشيعين القدامى والجدد الذين تشيعوا لقناعات عقدية بحتة[١١٥]، وأبناء الأقلية الشيعية السورية (بقايا العهد الفاطمي)، ولم ينته عقد التسعينيات حتى أصبحت الشبكة فاعلة وناشطة للغاية.

«قُم» الصغرى في سورية!

حتى عام ١٩٩٥ لم يكن في سورية سوى حوزتين، الأولى «الحوزة الزينبية» أنشئت سنة ١٩٧٦، والثانية: «حوزة الإمام الخميني» أنشئت عام ١٩٨١، وحتى عام ١٩٩١ لم

في تحوله للتشيع، وتأثيره على أبناء القرية، فحسب رواية حمد الوكاع (ابن القرية الذي تشيع عام ١٩٩٦) فإنه في: «بداية الثورة الإسلامية في إيران، تأثر الأخوة في المنطقة وبالخصوص أسرتي، ومنهم العم السيد محمود الوكاع، ويومذا كان تلميذاً في المدارس الصوفية التي كان يرأسها السيد حسين الرجا، وذهب إلى زيارة الإمام الكاظم (عليه السلام) في عام ٧٩ إلى العراق، والحضرة القادرية في بغداد، ورجع إلينا العلامة السيد حسين الرجا من العراق وهو يحمل فكر أهل البيت (عليه السلام)، فتأثر به العم محمود الوكاع، وبتأثيره أثر على الأسرة كاملة». وكان تشيع الشيخ حسين الرجا عام ١٩٨٦ أول حالة تشيُّع في محافظة دير الزور حسب الوكاع. انظر: آل قطيط، المتحولون، م.س، مقابلة مع السيد حمد الوكاع، على الرابط:
http://www.14masom.com/maktabat/maktaba-akaed/book58/index.htm

كما أن «الميول» الشيعية للدكتور محمود عكام هي نتاج هذا التأثر بالثورة الإيرانية، الذي صلى عام ١٩٨٩ صلاة الغائب على الإمام الخميني في جامع التوحيد الكبير بحلب، وظن الناس أنه تشيَّع، واستطراداً فإنه كثيراً ما يُستدل بهذه الحادثة على تشيع العكام، والأمر على ما يبدو لا يتجاوز الميول والمصالح، ولا يصل إلى حد التشيُّع. انظر مثلاً: آل حسين، تحذير البرية، م.س، ص٢٦.

(١١٥) مثل الشيخ ناجي الغفري (اعتنق التشيع ١٩٤٥) والشيخ ناصر ديلو (اعتنق التشيع سنة ١٩٨٦) في قرية زرزور (محافظة إدلب)، والسيدة لمياء حمادة (دمشقية) التي اعتنقت التشيع عام ١٩٨٥. انظر عن «الغفري» الهامش رقم ١٧، وحول «ديلو» و«لمياء». انظر: آل قطيط، المتحولون، م.س، على الرابط:
http://www.14masom.com/maktabat/maktaba-akaed/book58/index.htm

تكن أي من الحوزتين تابعة للوزارة. ووفقاً لنص الخطاب الذي أرسله نائب رئيس الجمهورية لشؤون التربية والتعليم الدكتور زهير مشارقة في ٢ حزيران/ يونيو ١٩٨٨ إلى وزير الأوقاف عبد المجيد الطرابلسي فإن الحوزتين لا تتبعان لوزارة الأوقاف(١١٦)، وإنما ألحقتا بالأوقاف - وسائر المؤسسات الشيعية التعليمية والدينية - في كانون الثاني/ يناير ١٩٩١ وفق ما يثبته خطاب آخر من نائب الرئيس مشارقة إلى الوزير نفسه، ينص على «أن الحسينيات والحوزات تتبع وزارة الأوقاف إشرافاً عليها، شأنها شأن الهيئات الإسلامية الأخرى، وتمارس وزارة الأوقاف صلاحيتها كاملة على الحسينيات والحوزات»(١١٧). ويعكس هذان الخطابان التحول الذي طرأ على سياسة الأسد فيما يتعلق بالشيعة بعد ١٩٨٩ كما تم توضيحه في الفصول السابقة ومطلع الفصل الحالي.

وبدءاً من عام ١٩٩٥ شهدت «السيدة زينب» تشييد وتأسيس عدد من الحوزات لتبدو كما لو أنها تسير لتصبح مدينة «قم»(١١٨) سورية! ففي الفترة ما بين ١٩٩٥-٢٠٠٠ تأسس ما يزيد عن خمس حوزات علمية(١١٩). ولا يبدو واضحاً لم تأسست هذه الحوزات

(١١٦) الخطاب جاء في وثيقة صادرة عن مكتب نائب الرئيس تحت رقم ١٤، بتاريخ ١٧ شوال ١٤٠٨هـ،٠٢/٠٦/١٩٨٨م، وموقع من قبل نائب رئيس الجمهورية الدكتور زهير مشارقة.

(١١٧) الخطاب جاء في وثيقة صادرة عن مكتب نائب الرئيس تحت رقم ١ بتاريخ ١٢/٠١/١٩٩١، من قبل نائب رئيس الجمهورية الدكتور زهير مشارقة.

(١١٨) تعتبر مدينة قم المقدسة مدينة التعليم الديني في إيران، وهي المدينة الوحيدة للعلوم الدينية الشيعية التي تشبه بلدة السيدة زينب بنت علي قرب دمشق، فقد شيدت حوزتها ومدارسها بجوار مقام سيدة من آل البيت هي السيدة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر أحد الأئمة الاثني عشر كما شيدت الحوزات هنا.

(١١٩) أهمها: «حوزة المرتضى» أسسها السيد محمد حسين فضل الله (لبناني) عام ١٩٩٥، و«حوزة المصطفى للعلوم القرآنية» أسسها الشيخ جمال الوكيل (عراقي)، الأمين العام لـ«حركة الوفاق الإسلامي» عام ١٩٩٥، و«حوزة الإمام القائم» أسسها المرجع الديني محمد تقي المدرسي (عراقي) عام ١٩٩٦، و«حوزة أهل البيت» التي أسسها السيد محمد الموسوي (إيراني) عام ١٩٩٦، و«حوزة الإمام السيستاني» أسسها بالنيابة عن السيستاني الشيخ حليم البهبهاني (وكلاهما إيرانيان) عام ١٩٩٦، وقد يكون هناك حوزات أخرى لم يكن بالاستطاعة التوصل إلى تاريخ تأسيسها، وغالب الظن أن بعضها أسس في الحقبة نفسها (أي في الفترة الممتدة بين ١٩٩٤-٢٠٠٠ محل الدراسة الآن) وعلى أية حال فإن هذه الحوزات جميعها غير مسجلة في وزارة الأوقاف طبقاً للأمر الصادر عن مكتب نائب الرئيس تحت رقم ١ بتاريخ ١٢/٠١/١٩٩١ (انظر الهامش ١٢٢)، من قبل نائب رئيس الجمهورية الدكتور زهير مشارقة.

بين عامي ١٩٩٥-١٩٩٦ بل ورُخص في العام نفسه لجمعيات ثقافية شيعية(١٢٠)، وجُمِّدَ تأسيس الحوزات بعد ذلك ولم يستأنف حتى عام ٢٠٠١! قد يكون السر في قرار اتخذ بمنع الترخيص الأمني (وليس القانوني)(١٢١) للحوزات بعد ذلك(؟). ولكن إذا كان ذلك صحيحاً فما الذي يجعل الأسد يتخذ قراراً بذلك؟

بعد توقيع منظمة التحرير الفلسطينية «اتفاق أوسلو» (١٩٩٣) بأشهر، أي في كانون الثاني/ يناير عام ١٩٩٤ توفي نجل الرئيس حافظ الأسد الأعز باسل (مواليد ١٩٦٢) الذي كان يعده لخلافته(١٢٢) بحادث أليم، وكان هذا يعني بالنسبة للأسد الأب ما يشبه انهيار مشروع الاحتفاظ المؤبد بالسلطة عبر التوريث. أصبح الأسد بحاجة إلى دعم من الطائفة السنية يهدئ «الشماتة» المضمرة التي يعرفها جيداً في عيون ضحاياه السوريين، وكان أول ما فعله هو جعل الشيخ البوطي (السني الكردي) إماماً في صلاة الجنازة. كانت إمامته دالة إلى حاجة الأسد الماسة للدعم السني، وذلك على الرغم من أن هذه الإمامة شهدت تدافعاً واعتراضاً من قبل إمام مسجد ناعسة الشيخ فضل غزال أمام مرأى السوريين الذين تابعوا باهتمام استثنائي هذا الحدث عبر البث المباشر على

(١٢٠) وقد تم تدشين جمعية «بيت النجمة المحمدية» يوم الثلاثاء ١١/ ٠٤/ ١٩٩٥ الموافق لـ ١١ ذي القعدة ١٤١٥ هـ (يوم ولادة الإمام علي بن موسى الرضا) أحد الأئمة المعصومين (مدفون في مدينة مشهد في إيران)، وأقيمت نشاطات «النجمة المحمدية» خلال الأعوام الماضية مثل «ندوة الإمام الحسن العسكري» السنوية التي تنعقد منذ عام ١٩٩٦ (في العاشر من ربيع الثاني من كل عام) ونشاطات ثقافية واجتماعية متعددة وكان التدشين قد حضره عدد من رجال الدين الأفاضل ووجهاء من المجتمع السوري والعراقي.
انظر موقع «النجمة المحمدية» على الإنترنت على الرابط: www.al-najma.org

(١٢١) لم تمنح أي من الحوزات ترخيصاً قانونياً، واكتفت بالترخيص الأمني وغض النظر عن نشاطها. والفرق بين الترخيص الأمني والترخيص القانوني هو أن الترخيص الأمني يعني عدم وجود مانع من قبل الأجهزة الأمنية بقيام هذه الحوزات، أما الترخيص القانوني فيعني انطباق قوانين وزارتي التربية والتعليم ووزارة الأوقاف، أو وزارة التعليم العالي عليها، وتبعيتها لها، وهو أمر لم يحدث لأسباب عديدة، منها رغبة الأسد ببقائها في وضع مؤقت وتحت عصا القانون، ومنها أيضاً عدم وجود قانون سوري يسمح بإنشاء المعاهد الدينية الأهلية أو مؤسسات التعليم العالي (الديني وغير الديني) الخاصة، هذا فضلاً عن أن رغبة الملالي ذاتها وطبيعة التعليم الحوزوي لا تقبل الانصياع لمثل هذه القوانين.

(١٢٢) في طريق مطار دمشق الدولي مسرعاً، ويقال بأن باسل كان في طريقه لزيارة أخيه مجد المختل عقلياً في مصحة نفسية في ألمانيا. انظر: ليفريت، وراثة سورية، م.س، ص١٤١، ص١٨٨، هامش رقم ١٢.

شاشـة القناة الأولى للتلفزيون السوري الرسمي. وحاجته للدعم السني كانت تعني – في المقابل – رغبته في عدم اسـتغلال الفرصة لتأجيج طائفي يسـتهدف العلويين، الذين انتشرت بينهم إشاعات تتهم السنة بالحادثة!

في هذا الظرف بدأ الأسد يفكر جدياً في دفع المفاوضات مع الإسرائيليين، لأسباب عديـدة، أهمها أنـه ليس بإمكانه توريث ابنه الطبيب بشـار (مواليد ١١ أيلول/ سـبتمبر ١٩٦٥) – الـذي أقل ما يتصف به قلـة الحنكة والدهاء وضعف الخبرة – وتركه عرضة لهـزات سياسـية محتملـة في المسـتقبل بسـبب هذا الملـف. قرر الأسـد المـضي قدماً لحل هـذا «الملـف» إذا كان ممكنـاً، فهو الملـف الأكثر تأثيراً في الحياة السياسـية السـورية منذ الاسـتقلال. جـرت ثلاث جولات من المفاوضـات المكثفة والمباشرة مـع الإسرائيليين في مركـز المؤتمـرات في «معهد إسـبن» في «واي ريفر» تحت رعايـة أمريكية (في ١٩٩٤، و١٩٩٥، وفي أواخـر ١٩٩٥ وأوائل ١٩٩٦)، وكان الأسـد جـاداً إلى الحد الذي أبدى رغبتـه للمفاوضـين السـوريين بالتعامـل مـع قضايا الأمـن والتطبيع مـع الإسرائيليين «بشكل بنَّاء»[١٢٣].

كان الترتيب للملفات الداخلية والخارجية الخطِرة في هذه الأجواء على قدم وساق، فالأسـد كان معنيـاً بتهيئة كل الظروف مـن أجل توريث «الجمهوريـة» لنجله! وبدا أن الأسـد يميل إلى دعم إيراني في هذه الظروف، لكن الإيرانيين امتعضوا من الأسـد؛ فقد كانت فكرة سلام سوري إسرائيلي تصيبهم في مقتل وتطيح بنفوذهم في الشرق الأوسط

---

(١٢٣) وكان الأسـد قـد انطلـق فـي مفاوضاته اعتمـاداً على ما صرح بـه رئيس الوزراء الإسـرائيلي إسـحاق رابين أنه يوافق على مفاوضات تؤدي للانسـحاب من مرتفعات الجولان إذا تم تحقيق المطالب الإسـرائيلية في الأمن والتطبيع. ورابين كان يعتقد أنّ إنجاز «اتفاقيّة السلام مع سورية هي وسيلة الوقاية الفضلى من التهديدات التي تأتي من إيران والعراق؛ فتنحية إسـرائيل عن هذين البلدين وبناء ائتلاف إقليميّ مشـترك ضدّهما، وعزلهما في المنطقـة، يتوقّف كله على إيجاد قضيّة مشـتركة مع سـورية». ولعل رابين طرح عرضه مسـتغلاً الإحباط الذي أصاب الأسد نتيجة اتفاق أوسلو، انظر:

روس، دينيس. السلام المفقود: خفايا الصراع حول سلام الشرق الأوسط، (THE MISSING PEACE: The Inside Story of the Fight for Middle East Peace) دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٤. انظر الرابط:

http://www.asharqalawsat.com/details.asp?section=28&issue=9444&article=258881

وانظر أيضاً: ليفرت، اختبار بشار، م.س، ص٩٨.

ولبنان على وجه الخصوص، فالاتفاق المعروض على الأسد سيحتوي بالضرورة ضمان أمن شمال إسرائيل على الحدود السورية واللبنانية[١٢٤].

كان الأسد في الوقت نفسه يفاوض الإخوان المسلمين، فهم المعارضة التي يخشاها الأسد إلى حد كبير، فالإرث الدموي الذي خلفته أحداث الثمانينيات والمجازر التي أسال بها الأسد دماء آلاف الأبرياء جديرة أن تثير مخاوفه دوماً وتقلقه على استقرار العهد لوريثه. لكن الأسد أوقف مفاوضاته فجأة بعد أن وصلت إلى صيغة اتفاق واضحة مقبولة من الطرفين المفاوضين![١٢٥] لسنا بصدد تفسير هذا التوقف، الذي مازال محط تكهنات الإخوان أنفسهم إلى اليوم، إنما ما يعنينا هو أن الملف كان مرتبطاً بجملة ملفات أخرى كانت بالنسبة للأسد تؤدي إلى المشروع المصيري (توريث الجمهورية). ويبدو أن تراجع الأسد عن المضي قدماً في حل الملفين الداخلي (الإخواني)، والخارجي (السلام الإسرائيلي) يرجع إلى شعوره بعدم حاجته للسرعة بهذين الملفين، وربما بإمكانية استغنائه عنهما، فتكلفتهما قد تطيح بالتوريث برمته، وربما أكثر من ذلك وأبعد.

---

(١٢٤) وقد أكد دينيس روس المبعوث الأمريكي للسلام في الشرق الأوسط ذلك حين ذكر في كتابه أن الأسد كان قد اتفق مع باراك بشكل غير مباشر وأولي (عن طريق رجل الأعمال الأمريكي رونالد لاودر القناة السرية لبنيامين ناتنياهو من خلال وليد المعلم) على عشر نقاط لتوقيع اتفاق السلام، كانت النقطة الرابعة حسب لاودر تنص على أن «يبذل السوريّون أقصى الجهود لضمان عدم القيام بمزيد من الأنشطة شبه العسكريّة أو العدائيّة ضدّ إسرائيل انطلاقاً من لبنان»، انظر:
روس، السلام المفقود، م.س، على الرابط:
http://www.asharqalawsat.com/details.asp?section=28&issue=9447&article=259355
وبالفعل فإن الأسد عمل على كبح حزب الله والضغط عليه أثناء مفاوضاته مع الإسرائيليين كبادرة حسن نية لتشجع الإسرائيليين على المضي قدماً فيها في حين كان الإيرانيون يضغطون على حزب الله باتجاه معاكس. انظر:
J. Agha, & S. Khalidi, Ibid, Syria and Iran, pp.77-82.

(١٢٥) توقفت المفاوضات مع الإخوان عام ١٩٩٦، والبدء بالمفاوضات مع الإخوان كان في منتصف الثمانينيات تمهيداً لتوريث الابن باسل. كانت المفاوضات تدور بشكل متقطع، لكنها استؤنفت بشكل واضح وقوي بعد وفاة باسل عام ١٩٩٤.
انظر: كليب، سامي. علي البيانوني: مفاوضات الإخوان والسلطة/ ٢، موقع «الجزيرة.نت»، برنامج «زيارة خاصة» (القناة الفضائية) ٣–١٢–٢٠٠٥، على الرابط:
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/5E34C6DF-C34E-4E6A-B01E-6725A02774A0.htm?wbc_purpose=basic_current_current_current_Current_Current_Current

لا بل إن الأسـد ذهب أكثر من ذلك لامتصاص النقمة السـنية وإضعاف الإخوان المسـلمين للتفكير بإيجاد حزب سـني منافس ليـس له تاريخ مأسـاوي مماثل للإخوان، وذلك عندما استـهوته فكرة إنشـاء «حزب إسـلامي معتـدل»[١٢٦] بعد اتفـاق مدريد، والسـير نحو أوسـلو الذي كان يخيف الأسـد ويضيق عليه الخناق في «لعبة» السلام مع الإسرائيليين، لكنه سرعان ما تخلى عنها عندما لم يجد لها صدى؛ إذ بدت فكرة المفاوضات مع الإخوان أكثر جدوى وضرورة لا بد منها[١٢٧].

ويبدو أن السـماح بحرية نسـبية للشـيعة في هذه الفترة والترخيـص الأمني لمكاتب المراجـع والحوزات العلمية الذي جرى بين عامـي ١٩٩٤-١٩٩٦ كان - في جزء منها على الأقل - بمنزلة رشـوة لم يجد الأسـد لها صدى لدى الملالي في إيران، الذين يملكون مفاتيح حزب الله ومصادر قوته. وعلى العكس كان الموقف الإيراني المتشدد تجاه السلام السـوري مع إسرائيل يعني ضرورة الحد من نشـاطهم وأتباعهم على الأراضي السورية قدر الإمكان، وفي الوقت نفسه الاستفادة من حزب الله كأداة ضاغطة على الإسرائيليين،

(١٢٦) ذكر الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (الشيخ السني المقرب من الأسد الأب والمعروف بعدائه للإخوان) أنـه عُـرض عليـه إقامة حزب إسـلامي؛ فرفـض لقناعته أنه سـيكون حزباً يحتكر الإسـلام لوحـده، وينفيه عن الآخرين، وهو أمر لا يتفق معه. انظر:
البوطي، محمد سعيد رمضان. الجهاد كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٩٩ (الطبعة الأولى كانت عام ١٩٩٣)، ص ص ٦٥-٦٦:
«قيـل لـي ذات يوم: ألا تـرى أن من الخير إضافة كرسـي آخر إلى كراسـي الجبهة الوطنية التقدمية في سـورية اليوم؟ وكانت الإشارة إلى كرسي يمثلهم أن أكون أنا الممثل لهذه القوى الإسلامية».

(١٢٧) يفسـر الباحث الأمريكي فلاينت ليفرت عدول الأسـد عن فكرة حزب إسلامي معتدل، بخشيته من «أن ينتحل [هـذا الحزب فيما بعد] شـعار الإسـلام المُقنع الفعَّال ويجعل حـزب البعث يبدو لاإسـلامياً، ويصبح بالتالي قنـاة لمعارضـة حقيقية»! ومع تقديرنا لهذا التفسـير فإنه يفتقر لمعرفة عميقة بتفكير الأسـد، والحالة السياسـية التـي كانـت قد انتهت إليها البلاد في مطلع التسـعينيات، فـي ظل المفاعيل التأديبية لأهـوال وفظائع النظام في معتقلي أحداث الثمانينيات، في ذلك الوقت يصعب تصديق أن الأسـد كان يشـعر بالخوف من تحول الحزب إلى قوة منافسـة تنازع حزب البعث أو تضعفه، فالحزب كان سـيبقى تحت السـيطرة بسـهولة، والرقابة الأمنية الاسـتثنائية، وبإمكان الأسـد أن يحله في أي لحظة عندما يشـعر بخطره، ويجر أعضاءه بسـهولة إلى السـجون المعتمـة، خصوصاً وأن أياً مـن بقايا المعتقلين بأحداث الثمانينيات لم يكن قادراً على التفكير (مجرد التفكير) بأي عمل سياسي إسلامي. انظر:
ليفريت. وراثة سـورية، م.س، ص١٢٠. ويعزو ليفريت أيضاً إلى: هينبوش، ريمون، سـورية: سياسـة السـلام وبقاء النظام، سياسة الشرق الأوسط، ٣، رقم ٤، ١٩٩٥، ٨٣.

وقع الأسد – في الحقيقة – في معادلة صعبة، جعلته يخفف من مؤسسات الملالي ونشاطها في سورية، وفي الوقت نفسه يدعم حزب الله ويمرر السلاح له لاستثماره في المفاوضات التي لم تنته بمقتل رابين، واستمرت إلى عهد باراك، الذي – بدوره – لم يكن أقل حماساً من رابين لإنجاح مفاوضات سلام مع سورية وفق الشروط الرابينية. وبقي الأمر كذلك حتى مفاوضات جنيف عام ٢٠٠٠، أي قبيل وفاة حافظ الأسد بأشهر قليلة في ١٠ حزيران/ يونيو ٢٠٠٠.

طلائع الغزو الشيعي

مدَّت الحوزاتُ الشبكةَ التبشيريةَ النشطة – التي تشكلت لتوها بأموال المرجعيات و«المحسنين» الخليجيين (الكويتيين بشكل خاص) ودعمهم المعنوي – بالسند الفكري والكادر التبشيري المؤسسي؛ فوجود الحوزات على الأراضي السورية يتطلب أساتذة ومدرسين منتدبين من قبل المرجعيات. وإنه لأمر ذو دلالة أن تكون جميع إدارات الحوزات وكوادرها التدريسية والتعليمية – التي أسست في ذلك التاريخ (وحتى اليوم) – من جنسيات غير سورية (معظمها عراقية وإيرانية وبعضها لبناني)، وإن كان هذا يدل على شيء فإنما يدل على هيمنة المرجعية الدينية الإيرانية والعراقية على الفكر الشيعي، وأن الأقلية الشيعية السورية الصغيرة جداً ليس لديها مرجعيات دينية ولا مدرسين أكفاء؛ ولهذا السبب كانوا دائماً منفعلين بالخارج.

وشهد عام ١٩٩٥ – بموازاة المد الحوزوي – زيارات متكررة من قبل المرجعيات الدينية (الإيرانية والعراقية) والمستشارين الثقافيين الإيرانيين والوعاظ الشيعة «الأجانب» إلى أماكن التواجد الشيعي الضعيف بغرض دعمه وتوسيعه في أنحاء مختلفة في سورية، خصوصاً في مناطق الجزيرة وحمص ودرعا، وفي كل هذه الجولات حظي مقاما عدي بن حجر الكندي (عدرا) وعمار بن ياسر (الرقة) باهتمام استثنائي، فعيون الشيعة مشدودة لاحتلالها على غرار مافعلوا بمقام السيدة زينب والسيدة رقية من قبل.

وعلى سبيل المثال، في نهاية ١٩٩٥ كان الواعظ الشيعي العراقي عبد الحميد المهاجر

يجوب المحافظات ويهتم بشكل خاص بالمقامين المذكورين[١٢٨]، وفي زيارته هذه إلى مقام عمار بين ياسر أمرت السلطات آنذاك أئمة المساجد والخطباء والطلاب بحضور حفل خطابي يلقي فيه المهاجر كلمة عن الصحابي الجليل عمار؛ ولأن مقتل عمار يمثل علامة على الانحياز «للحق» مع علي بن أبي طالب، فإن الحديث عنه يعني بالضرورة حديثاً ناقداً وطائفياً عن الصحابة الآخرين الذي وقفوا بالمقابل لعمار وعلي. استفز حديثه هذا الشيوخ، ودار لغط كثير في الأوساط الدينية ربما وصل صداه إلى المدن المجاورة، وكان تصاعد الحديث ينذر بتشكيل احتجاج ديني لا يخدم الأسد، الأمر الذي ألجأه إلى منع المهاجر من زياراته للمقامات وضبط حركته التبشيرية؛ فالأسد ليس مستعداً الآن لأي تأجيج للمشاعر الدينية، وهو بطبيعة الحال كان حذراً جداً من استفزاز الطائفة السنية – تلك التي كان قد عانى منها وأذاقها الأمرين – في الوقت الذي يمهد فيه لتوريث الجمهورية.

وافق حافظ الأسد عام ١٩٨٨ على طلب الحكومة الإيرانية بالسماح لها بالاعتناء بمقام الصحابي عمار بن ياسر[١٢٩]، والذي يضم فضلاً عن ضريح عمار بن ياسر ضريح كل من الصحابي أبي بن قيس النخعي والتابعي أويس القرني[١٣٠] في الرقة، و«الإشراف» على ترميمه وتوسعته وبناء جامع كبير عليه كأحد المقامات المقدسة للشيعة، وذلك «بالتعاون بين الجمهورية العربية السورية ووزارة الإسكان في الجمهورية الإسلامية الإيرانية» حيث ينجز الجانب الإيراني لوحات الفسيفساء والقيشاني وينفذ السوريون الحجر المفرز والبلاط[١٣١].

(١٢٨) حول اهتمام المهاجر بمقام حجر بن عدي خصوصاً، انظر الهامش رقم (١٠٩).

(١٢٩) انظر: الحجي، اسماعيل، مقام عمار بن ياسر: معلم هام من معالم السياحة الدينية في الرقة، موقع «الرَّقة» الرسمي، انظر الرابط: http://www.eraqqa.sy/__print.php?filename=2007051516510310

(١٣٠) وعلى الرغم من وجود قبر الصحابي الجليل وابصة بن معبد الأسدي – الذي روى عن النبي (ص) ١١ حديثاً – في المقبرة ذاتها، إلا أنه «ما زال قبره مهملاً في الجامع القديم» ولم يدخل في مشروع التجديد وإعادة الإعمار إياه!

(١٣١) الحجي، مقام عمار بن ياسر، م.س، على الرابط:
http://www.eraqqa.sy/__print.php?filename=2007051516510310.

ولكن الأضرحة كانت في مقبرة سـنية ومدينة سنية لم يسبق أن عرف أهلها التشيُّع، ولما كان من مقتضيات التوسعة[١٣٢] تجريف القبور - كما جرى من قبل في مقبرة آل البيت في باب الصغير[١٣٣] في دمشق - فقد رفض الأهالي نقل موتاهم، و«عندما رفض الناس رفـع جثث موتاهـم؛ أصدر المحافظ أمـراً تنفيذياً بإلزام المواطنـين بنقل الجثث وإخلاء المقـبرة تحت طائلة دثرها. وقد بنـي على أطلال المقبرة مركز شـيعي وجامع كبير»[١٣٤]. وبدأ العمل في المقام بشـكل بطيء خلال الفـترة ١٩٨٨-٢٠٠٠ وكانت حركة الإعمار ووتيرتها الباردة خلال هذه الفترة تعكس في الواقع السياسة التي انتهجها حافظ الأسد تجاه الإيرانيين.

والطريـف أن للصحـابي عمار بن ياسر مقاماً آخر في سـورية في قرية عريقة (محافظة السـويداء)، على تل مسـمى باسـمه شـمالي القرية![١٣٥] وربما فكَّر الإيرانيـون لاحقاً في احتلاله ليصبح له مقامان، فقد اعتاد الملالي على احتلال المقامات وتعددها[١٣٦].

ويبدو احتلال المقامات السـنية المتعلقة بالصحابة والتابعين وآل البيت أمراً مستفزاً طائفياً، فالموجة الكبيرة من الاحتقان ضد الشـيعة في سـورية والتي أثارها تدشـين مقام عمار بن ياسر (عام ٢٠٠٤) لم تهدأ حتى اليوم، ومع ذلك يبدو احتلال مقامات موجودة

---

(١٣٢) كان المطلـوب مسـاحة ٥٠ ألف متر مربـع للضريح والأبنية الملحقـة له، والصحن، يشـكل البناء وحده (عدا الصحن) مساحة ١٧ ألف متر مربع. انظر: المصدر السابق نفسه.

(١٣٣) والثابت تاريخياً أن ما تبقى من أسرة الحسين رضي الله عنه وبعد القدوم إلى دمشق بعد حادثة كربلاء لم تستقر في دمشق بل رجعت إلى المدينة المنورة.

(١٣٤) المحامي عبد الله الخليل (ناشـط حقوقي من أهالي مدينة الرقة)، انظر: صحيفة «الوطن العربي»، اسـتراتيجية إيران لنشر التشيع في سورية، ١٢ حزيران/ يونيو، ٢٠٠٦.

(١٣٥) وعريقة هي قرية صغيرة تقع في جنوب سورية وتتبع لريف محافظة السويداء، سُكانها قرابة ٧ آلاف نسمة وتقع في منطقة اللجاة المنخفضة عن سفح الجبل. تبعد عن مركز مدينة السويداء حوالي ٣٠ كيلومتراً.
وانظر: عريقة (قرية)، ويكيبيديا (الموسوعة الحرة)، على الرابط:
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D9%82%D8%A9_%28%D9%82%D8%B1%D9%8A%D8%A9%29

(١٣٦) علـى سـبيل المثال: للحسـين مقام في دمشـق (حيث دفن رأسـه)، وآخر فـي كربلاء (حيث قتـل)، وثالث في القاهرة! وللسـيدة زينب مقام في ريف دمشـق، وآخر في القاهرة! والسـيدة سـكينة بنت الحسـين لها مقام في دمشق (مقبرة باب الصغير) وآخر في القاهرة!

والاستيلاء عليها أمراً مفهوماً في بنية الوعي الشيعي الغارق في التاريخ المأساوي لموتاه المظلومين، واحتكار «أهل البيت» له، و«نفي» أي شرعية لعلاقة الآخرين (لاسيما السنّة) بهم! كل ذلك – رغم عدم أخلاقيته – يبدو مفهوماً إلى حد ما، إلا أنّه من غير المفهوم اختلاق مقامات لا أساس تاريخياً لها، كما في مقام السيدة سكينة بنت علي بن أبي طالب في مدينة داريا، ومقام محسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب[١٣٧] قرب مشهد النقطة في حلب.

ففي أحد أيام عام ١٩٩٩ استيقظ أهالي مدينة داريا – المدينة السنية المعروفة بتمسكها بسنيتها، والواقعة في الغوطة الغربية لمدينة دمشق – على لافتات (عند تحويلة أوتوستراد المزة لمدخل المدينة، وفي مركز المدينة عند الجامعة «المقبرة») تشير إلى مقام صغير شُيِّدَ حديثاً في منطقة قريبة من مبنى البلدية باسم «مقام السيدة سكينة بنت علي (ع)»، بني على عقار يتبع للملكية العامة. والأهالي على يقين إلى اليوم بأن مقاماً كهذا لم يكن موجوداً في داريا من قبل، وحتى كتب التاريخ الكثيرة التي اعتنت بتاريخ هذه

---

(١٣٧) ومقام «مُحسِن بن الحسين» الذي بدأ يتردد على ألسنة الشيعة مؤخراً في الحقيقة هو ما يعرف لدى أهالي حلب بـ «مقام الشيخ محَسِّن». ويعتقد أهل حلب أن الشيخ محَسِّن هذا أحد الأولياء الصالحين.
يقع المقام داخل مسجد سني تاريخي عريق مسمى باسمه (مسجد الشيخ محسن)، يبعد بضع مئات من الأمتار عن مشهد النقطة الشيعي، ولم يُذكر هذا المقام حتى في دولة الحمدانيين، ولا توجد فيه أية إشارة تدل على علاقته بأهل البيت، لكن الملالي حاولوا ربطه بمشهد النقطة – الذي يقال إن السبايا مررن به مع رأس الحسين – تمهيداً لاحتلاله والاستيلاء عليه.
وبما أنه لم يرد في أي من كتب التاريخ (بما فيها كتب الشيعة) اسم «محسن بن الحسين»؛ فقد ابتكروا نظرية مفادها أن «الشيخ محسن» ما هو إلا سقط لأحد نساء الحسين اللائي أخذن كسبايا إلى يزيد بن معاوية عام ٦١هـ! وبالتأكيد استعاروا هذه الافتراض من اعتقاد سائد لدى الشيعة بوجود سقط باسم «محسن بن علي» شقيق للحسين الذي يعتقدون بأنه كان جنيناً حين أراد أهل السقيفة الدخول عنوة إلى بيت علي وفاطمة لأخذ البيعة منهم رغماً، فقاسوا عليه وابتكروا نظريتهم. وثمة مساعٍ متزايدة للاستيلاء عليه واحتلاله وهي مساعٍ تثير قلق أهالي مدينة حلب وتبعث على التوتر الطائفي، خصوصاً وقد أصبح مزاراً يتكاثر زواره يوماً بعد يوم، مع تزايد انتشار نظرية «السقط» وشيوعها لدى الشيعة ومروجي السياحة الدينية في إيران والعراق ولبنان.
حول هذا التفسير انظر ما ورد في تقرير: الشمري، مهرجان خطابي في الرقة، م.س، الوكالة الشيعية للأنباء، على الرابط: http://www.ebaa.net/khaber/archev/khaber022/khaber22.htm
وحول اعتقاد الشيعة بالسقط «محسن بن علي» انظر: مجلة «المنبر»، الكويت، العدد الرابع عشر، ربيع الآخر ١٤٢٢هـ، تقرير بعنوان: «السلطات الإيرانية تعتقل منظمي مجلس عزاء للمحسن السقط! (عليه الصلاة والسلام)». يمكن قراءته على الرابط: http://www.14masom.com/menbar/16/2.htm

المدينـة[١٣٨] لا تذكـره، على الرغم من اشـتهار وجود عدد مـن الأضرحة فيها، كضريح التابعـي الجليل أبو مسـلم الخـولاني (٥١ هـ)[١٣٩]. وفي حين ينفي الأهالي بشـكل قاطع وجـود أصـل لهذا المقام يزعـم الملالي أن هذا المقام وجد «ضمن عقار مسـتقل مسـجل في السـجلات العقاريـة منذ أيام الاحتـلال الفرنسي والعثماني قديماً، وقد سُـجِّل بفتحة سماوية تحوي بئر ماء وشجرة كينا وشجرة رمان ومقاماً يدعى «سكينة بنت الإمام علي» كـرم الله وجهـه، وكان لغرفة المقام زقاق ضيق بجانبها، ولهـا نافذة حجرية يضع الناس عليها بعض الشموع أو أشياء أخرى»[١٤٠].

(١٣٨) مثـل كتـاب «تاريخ داريا» لعبد الجبار بن محمد بن مهنا الخولاني وهو أشـهر وأهـم الكتب التاريخية وأوثقها عند المؤرخين عن مدينة داريا، ولـم يذكر أي من كتب التاريخ الأخرى وجود مقام في بلاد الشـام لسـكينة بنت علي بن أبي طالب.

إنما ذكر بعض المؤرخين احتمال وجود مقام لسـكينة بنت الحسين (وليس بنت علي) في ظاهر دمشق، ولكن رجح ابن عسـاكر ما ذهب إليه سـائر المؤرخين أن سـكينة بنت الحسـين دُفنت في المدينة المنورة، وعلى هذا الأسـاس يقول المؤرخ ابن عساكر: «والصحيح أنها ماتت بالمدينة وأمرهم الوالي ألا يدفنوها حتى يحضرها، وركـب إلى بعـض أحواله بنواحي المدينة وكان اليوم حـاراً، فتغيرت رائحتها، واشـتُري لها طيب كثير ليغلب الرائحـة فلم يغلب، ثم بعث إليهم أن ادفنوها فإني مشـغول، فدفنت ولـم يحضـر». انظر: ابن منظور الإفريقي، مختصـر تاريـخ ابـن عسـاكر، ج١، ص ص١١١–١١٢ «موقـع الـوراق»: http://www.alwarraq.com والكتاب مرقّم الكترونياً، وغير موافق للنسخ المطبوعة.

ولابد من الإشارة إلى أن للسيدة سكينة مقاماً في «مقبرة باب الصغير» ذكره ابن جبير في رحلته، وهو قائم إلى اليوم، وبالتأكيد هو الذي ذكره ابن الأكفاني، وقد شاهدناه أثناء زيارتنا للمقبرة في تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٦ (انظر الهامش رقم ١٣٧)، وهو مقام يعرفه الشيعة جيداً، وخصوصاً شيعة دمشق؛ لأن مسؤولية العناية به رسمياً في عهدتهم، والمقام مجدد وعليه لوحة تذكر تاريخ التجديد، واسم الذي تكفل بتمويل تجديده.

(١٣٩) يعقوب بن عوف أو: ابن عبد الله، أدرك الجاهلية، وأسـلم في حياة النبي (ص)، وقيل في عهد الخليفة الراشـد أبو بكر، وقيل في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، أصله من اليمن، قدم المدينة المنورة في عهد أبو بكر، وسكن الشام في عهد معاوية؛ فنزل بداريا، وهو قارئ أهل الشام.

(١٤٠) مـن كلام المهنـدس المشـرف على إعمار المقـام، انظر: عرابي، أحمد. إعادة بناء مقام السـيدة سـكينة: إحياء جديد لرمز ديني وتاريخي عريق. تقرير في موقع «عكس السير»، بتاريخ الثلاثاء ٧ آب/ أغسطس ٢٠٠٧. انظر الرابط: www.aksalser.com/?page=view_articles&id=09d0ce08fe485cbce6c1ce2974d6dac c&ar=296247042

شُـيد المقام المختلق - والذي لا تعترف به أي من كتب التاريخ ووقائعه - وأصبح الآن واقعاً شـاء من شـاء وأبى من أبى! وبذلك أوجد الملالي بؤرة تشـيُّع جديدة تسمح لهم بالتمدد مادياً ومعنوياً، وليس لاختراع المقام - وهي عادة متأصلة للملالي أيضاً[١٤١] ـ واحتلال المركز السـني (داريا) سـوى هذا المغزى، ومن غير المستبعد إطلاقاً أن تكون ثمة فكرة تداعب خيالهم في تحويلها إلى قم ثالثة على غرار السيدة زينب.

الاستيطان

تنشـأ المقامات، ويتم بعثها أو اختلاقها، الأمر سـيان، فهي تحتفظ بنفس التأثير وتؤدي الـدور نفسـه، ويبـدأ الـزوار يتقاطرون مـن إيـران والعراق ولبنـان والخليـج، وتروِّج المرجعيـات والمبشّرون ومكاتب السـياحة الدينية لزيارتها، وتصبـح الصور والمقتنيات التذكاريـة حاجـة للـزوَّار المتكاثريـن سرعان ما يكتشـفها الأهالي، فينشـأ مـع الأيام - وبسرعة كبيرة تواكب تزايد التدفق - سـوق في المباني والمحال المجاورة، وشـيئاً فشـيئاً يصبح بقاء المقام جزءاً من معاش الأهالي!

يعاد بناء المقام على هيئة مكان مهيب أو يتم توسعته، ليزيد ذلك من اجتذاب الزوار المتبركـين ومن كادره الخدمي، ويبدأ بالتحول إلى مركز تبشـيري، ويبدأ سـعي المتدينين والمرجعيـات الدينيـة للإقامة بجـوار المقام، ويتحـول الأمر إلى وجود شـيعي اجتماعي واقعـي مـع مـرور الأيام. ومـن الطبيعـي أن تنتشر الفارسـية (لغـة الحجـاج والزوار)

(١٤١) يمثـل اختلاق «مشـهد النقطة» بحلب مثـالاً نموذجياً لذلك، فهو بحد ذاته مبني على فكرة أسـطورية (نقطة دم سقطت من رأس الحسين!)، وقصة بنائه أيام الحمدانيين تدل بوضوح على ذلك كما تثبت الروايات التاريخية. انظر هامش رقم (١١٧).
وأيضاً مثله ما ذكره ابن جبير في رحلته، من «مسجد للشيعة قرب دمشق، ينسب لعلي بن أبي طالب، فيه «حجر عظيم، قد شُقَّ بنصفين والتحم بينهما، ولم يبن النصف عن النصف بالكلية، يزعم الشيعة أنه انشق لعلي رضي الله عنه إما بضربه بسـيفه أو بأمر من الأمور الإلهية على يديه. ولم يذكر عن علي، رضي الله عنه، أنه دخل قط هـذا البلـد، اللهـم إلا إن زعموا أنه كان في النوم، فلعل جهة الرؤيا تصح لهم إذ لا تصح لهم جهة اليقظة. وهذا الحجر أوجب بنيان هذا المشـهد!». ويضيف ابن جبير: «وهذا من أغرب مختلقاتهم». انظر: ابن جبير، محمد بن أحمد الكتاني، رحلة ابن جبير، بيروت، دار التراث، ١٩٦٨، د.ت، ص٢٤٠، وص٢٥٢.

على الألسنة وواجهات المحال التجارية المجاورة للمقام، وسرعان ما تبدأ فكرة «الحسينيات» و«الحوزات» بجوار المقام «المقدس» تستحوذ على تفكير المراجع الدينية، الذين سيتنافسون على وجود مؤسساتهم بجواره تنافساً أساسه التنافس على الأتباع.

عقد من الزمن كفيل بأن يجعل أي مكان من الأماكن التي يشيدون فيها مقاماً كي يتحول إلى مركز تبشيري واجتماعي شيعي، لتبدو منطقة المقام كما لو أنها قطعة أرض هاربة من بلاد فارس! أو أبنية من أجواء قصص ألف ليلة وليلة! فشكل الأبنية والقباب على الأضرحة وملحقاتها يُبنى دوماً وفق النمط الفارسي حصراً، وبالتاكيد فإن هذا الأمر له دلالته الرمزية والنفسية للشيعة العرب وعلاقتهم الاعتقادية بإيران الجمهورية الإسلامية الممهدة لظهور «الإمام المهدي».

هذا التسلسل لقصة الاستيطان يصدق على كل المقامات المقامة حتى الآن، بدءاً من مقام السيدة زينب[١٤٢] الذي بدأ احتلاله في السبعينيات، وصولاً إلى مقام السيدة رقية الذي احتُل في تلك الفترة أيضاً، مروراً بمقام عمار بن ياسر الآن، والقصة نفسها أيضاً تجري الآن في مدينة داريّا حيث مقام السيدة سكينة الجديد وفي عدرا حيث ضريح الصحابي حجر بن عدي.

---

(١٤٢) «إن أحداً لم يكن يعرف بأن مقام السيدة زينب سيجذب هذه الأعداد الهائلة من السكان، و(...) إن الجولانيين عندما نزحوا إلى هنا بعد حرب حزيران/ يونيو عام ١٩٦٧ كانت المنطقة كلها مزارع وبساتين مزدهرة، وكانت الأرض رخيصة الثمن جداً والأمر بقي كذلك حتى منتصف الثمانينيات؛ عندما التفت الإيرانيون إلى أهمية المنطقة الدينية وبدأوا زيارتها بأعداد كبيرة جداً».

من كلام لأحد النازحين من الجولان، انظر: حول السيدة زينب وتحولها مدينة للسياحة الدينية – تقرير من دمشق:

خضر، محمد. السيدة زينب... شو صاير؟: بلدة السيدة زينب التي يؤمها حوالى مليون زائر سنوياً ..ضاحية دمشق المزدهرة رغم فقرها وعتبة الزوار العراقيين والإيرانيين. صحيفة «الحياة»، لندن، ١٦/ ١٠/ ٢٠٠٦.

شـهدت الفترة هـذه (١٩٩٠–٢٠٠٠) وفود أعداد كبيرة مـن المهاجرين العراقيين الشـيعة كانعـكاس لظروف الحصـار الدولي المفـروض على العـراق، وانعكاس لبطش النظـام العراقـي إثـر انتفاضة الجنـوب الشـيعي (١٩٩١)؛ لكـن أعدادهـم حتى نهاية التسـعينيات لم تكن من الكثرة بحيث تضاهي الـزوار الإيرانيين، إلا أن العراقيين كانوا مقيمين، في حين كان الإيرانيون زواراً لا يلبثون أن يرحلوا بعد وصولهم بأيام.

انخـرط طـلاب العلـوم الدينيـة مـن العراقيـين الشـيعة وملاليهـم في الحـوزات العلمية[١٤٣] القائمة في السـيدة زينب وساهموا في تأسيس حوزات وحسينيات جديدة، وأموا وأداروا حسـينياتها، ووفقاً لشـهادة مختار البغدادي مدير «حـوزة المصطفى» فإنه «بعد اسـتقرار جمع كبير من الأخوة العراقيين في بلاد الشـام، وبالذات في منطقة السيدة زينب (عليها السـلام) ومـن مختلف الكفاءات والمحافظـات العراقية تبلورت جملة من التصـورات في أذهـان العلـماء والمتصديـن للقضية الدينيـة في ضرورة بناء المؤسسـات الدينية التي تتبنى مسؤولية بناء شخصية الإنسان المؤمن بناءً تخصُّصيّاً»[١٤٤].

وبـدأت معـالم السـوق والمحـال التجاريـة تتلـون بالصبغـة العراقيـة منـذ نهايـة التسـعينيات[١٤٥]، أي بعـد الحظر الذي فرض عـلى العراق إثر عمليـة ثعلب الصحراء في عهـد الرئيس كلينتون، والذي يقـوم على مبدأ «النفط مقابل الغـذاء» والدواء طبعاً، وبكل مقتضيات البيئة الاجتماعية والاقتصادية الشيعية العراقية صبغت الأزقة الرئيسية

(١٤٣) معظم مدراء الحوزات هم من الشيعة العراقيين المهاجرين، مثل: جلال معاش (مدير الحوزة الزينبية)، ومختار البغدادي (مدير حوزة المصطفى)، وقد سـبقه في إدارتها بين ١٩٩٥ (تاريخ الإنشـاء) و٢٠٠٠ كل من: الشيخ جعفر الحائري والشيخ صفاء الخطيب والسيد مصطفى السادة.

(١٤٤) انظـر: السـلامي، حيدر. حـوزة المصطفى للعلوم القرآنية في دمشـق... صرح علمي شـامخ، حـوار مع مدير «حوزة المصطفى» مختار البغدادي، نُشـر في ١٨ تموز/ يوليو ٢٠٠٧. موقع «الوكالة الشـيعية للأنباء» (إباء)، على الرابط: http://www.ebaa.net/hewarat/013/013.htm

(١٤٥) خضر، السيدة زينب، صحيفة «الحياة»، ، م.س.

للسيدة زينب، وذلك بجوار الحضور الإيراني المحصور في إطار انتشار اللغة وتجارة السياحة الدينية، ولتلبية الاحتياجات المتزايدة لمركز ديني تعليمي بدأ عدد كبير من المكتبات ينشأ لتسويق الكتب الدينية التبشيرية والحوزوية التعليمية في الشارع الرئيسي للسيدة زينب، وسرعان ما ظهرت - بطبيعة الحال - بعض دور النشر الشيعية في سورية (مثل: مكتبة دار الحسنين)[١٤٦].

(١٤٦) المكتبات تقوم بطبيعة الحال بدور تبشيري، وصاحب «دار الحسنين» أبو ميثم (محمد علي اليوسفي/ إيراني الجنسية) مبشر نشيط، لعب دوراً في تشييع محمد يوسف قمجي (أول من تشيع من أهالي الضمير في ريف دمشق). وحسب شهادة عدد من الأشخاص الذين تمت مقابلتهم فإن أبو ميثم (مدير «دار الحسنين») كان ممن يعرض على طلبة العلوم الدينية السنة والمثقفين المتدينين الذين يأتون إلى مكتبته الكبيرة في السيدة زينب الدراسة الحوزوية في قم.

واليوسفي ولد في عام ١٩٥٥ في مدينة كربلاء العراقية، وغادر العراق عام ١٩٦٧م متوجّهاً إلى طهران، حيث عمل كمحاسب في أحد البنوك الإسلامية، إضافةً إلى عمله في مجال الطّباعة والنّشر. وانتقل في عام ١٩٨١ إلى سورية، حيث عمل في الكادر الإداري للحوزة العلميّة الزّينبيّة. وأثناء إقامته في سورية قام في الثمانينيات بتأسيس «مؤسّسة البلاغ» في بيروت التي تعنى بطباعة ونشر الكتب الشيعية، حيث طبع مئات الكتب من أمّهات الشيعة.

حول دوره في تشييع القمجي الذي أدخل التشيع إلى بلدة الضمير في ريف دمشق، انظر: آل قطيط. المتحولون، م.س، مقابلة مع السيد محمد يوسف قمجي. نص المقابلة في الكتاب على الرابط:

http://www.14masom.com/maktabat/maktaba-akaed/book58/index.htm

وحول السيرة الذاتية لمحمد علي اليوسفي، انظر مقابلة معه في موقع «الشيرازي.نت»، بتاريخ: ١٨-٩-٢٠٠٥م الموافق لـ١٣ شعبان ١٤٢٦ هـ، على الرابط: http://www.alshirazi.net/leqaat/leghaat/legha/shahid/010.htm

الفصل الرابع

احتلال المركز

الزحف ٢٠٠٠ - ٢٠٠٧

«هـذه الحـوادث التبشـيرية التي تكون معـذورة لو أن الدافـع لهـا اليقين والإيمان، إلا أن الشيء المشـين في هـذه الحـوادث – وهنـا موضـع اسـتيائنا وعليه احتجاجنا – هو استثمار واستغلال فاقة شعب فقير وشراء ضمائر ضعيفة كما تُشـترى السلع لتمرق من دين إلى دين آخر... ويا للأسـف حالتنا أن يصادف المرء بين قومه أناساً يتخذون أقدس العقائد بضاعة للاتجار بها في سوق التجارة السياسية».

من عريضة لبعض شيوخ وزعماء الطائفة العلوية إلى الخارجية الفرنسية، بتاريخ ٢٧ تموز/ يوليو ١٩٣٦

لا شيء يفلت من قبضة التاريخ، ولا شيء من التاريخ يبقى على حاله، وثمة منعطفات في التاريخ ليست أكثر من نتائج تراكم تاريخ سبقه، على هذه القاعدة تسير قصة التشييع في سورية، فحركة التشييع التي مارسها ملالي إيران لاسترداد علويي الجبل النصيريين إلى أصلهم، مروراً بالتبعيث الشيعي الذي مارسته جمعية الإمام المرتضى لأغراض سياسية محلية، وصولاً إلى التمدد الشيعي وزراعة المقامات و«المراكز الدينية» في أواخر التسعينيات أمر كان له أن يسمح بانعطافة نوعية لهذه القضية في عهد الوريث غير الشرعي للجمهورية بلغت حداً جذبت فيه اهتمام المجتمع الدولي والقوى الفاعلة في الشرق الأوسط.

أولاً: وراثة الحلفاء (٢٠٠٠ - ٢٠٠٣)

توريث العلاقات السياسية جزء من توريث «المُلك»؛ على هذا الأساس بدأ نجل الأسد (بشار) بمقابلة القادة الأجانب الذين يزورون دمشق منذ ١٩٩٩. ووجد الأب ضرورة بناء صلة لنجله مع جاره الملك الجديد عبد الله الثاني بعد وفاة والده العاهل الأردني الملك حسين بن طلال في كانون الثاني/ يناير ١٩٩٩، فأُوفِدَ بشار في شهر شباط/ فبراير (الشهر التالي) معزياً الملك عبد الله، وكانت هذه الزيارة هي الزيارة الخارجية الأولى للقادة والسياسيين. تتالت بعدها الزيارات إلى الكويت، والسعودية، وقطر، وإيران، وعدد من الأقطار والبلدان الأخرى، على رأس وفد من كبار الصناعيين ورجال الأعمال وبعض من المسؤولين من الصفوف الثانية في وزارات الدولة[١٤٧]، وكان الأمر واضحاً ومعلوماً لكل الذين زارهم أن زيارته ليست إلا تسويقاً للرئيس المقبل.

قوبل الرجل على هذا الأساس باحترام واضح (مستمد بالأساس من احترام والده)، وحظي بحفاوة خاصة لدى الإيرانيين، الذين قدم إليهم وقد أصبح ممسكاً

(١٤٧) حظيت هذه الزيارات جميعها بتغطية غير مسبوقة من قبل الإعلام المحلي المرئي والمسموع والمكتوب، وبما أن بشار الأسد لا يحمل أي صفة رسمية في هذه الزيارات، فقد كان الإعلام ينعته بلقب «الدكتور» وحسب.

بالملـف اللبناني وحزب الله على وجه الخصـوص[١٤٨]؛ إذ كان القادة الإيرانيون مهتمين بمعرفـة الرجل عن قرب، وببناء علاقـة جيدة معه، فلديهم مصالحهم في لبنان وهو منذ الآن بات يملك مفاتيحها.

لكن هذا التسويق الخارجي جاء بعد تسويق داخلي وتوريث للعلاقات مع أطراف المجتمع المحلي واللبناني (الذي كان يعامل كما لو أنه جزء من المجتمع المحلي)، وفي هذا السـياق حاول الأسد كسب شـعبية لابنه، عبر كسر الصورة النمطية (تلك التي أسسها بنفسـه) للرئيـس القابع في قصره على مسـافة من «شـعبه» ومواطنيه، بزيـارات متكررة للمدن السـورية الرئيسية، وحضور بعض المحاضرات العامة[١٤٩]، لكن الأهم في ذلك كله – بالنسـبة لهذه الدراسة – كانت علاقة الأسد الابن مع ملالي الشيعة، تلك العلاقة التي سـعى لتوطيدها كل منهما للأسباب نفسها التي دعت حافظ الأسد ليمنحهم قدراً من الحرية لم يعهدوها من قبل.

يمثـل التيار الشـيعي (تيـار عودة الفرع إلى أصلـه) القوي في الطائفة العلوية سـنداً قويـاً وداعـماً للأسـد، فلطالمـا كان الأسـد الأب مؤيداً لهـذا التيار لإخـراج الطائفة من عزلتهـا الفكرية والاجتماعية، وكان زعامات التيار تبادله التأييد والمؤازرة. وعلى الرغم من صغر حجم الأقلية الشـيعية الأصلية في سـورية وكونها ليسـت مغنماً بالنسبة لبشار الأسد، إلا أن قوة التيار الشيعي في الطائفة العلوية تجعل التودد وإنشاء العلاقة الإيجابية معها ذا معنى بالنسـبة لمسـتقبله السـياسي في طائفته (العلوية) التي تملك نفوذاً استثنائياً في تركيبـة السـلطة والجيش والحزب وقـوى الأمن[١٥٠]، فضلاً عـن علاقة ذلك بملالي

---

(١٤٨) تسـلم بشـار الأسـد الملف اللبناني من عبـد الحليم خدام نهاية عـام ١٩٩٨، وكان خدام مسـؤولاً عن الملف اللبناني خلال ما يزيد عن عشرين عاماً.
انظر: ليفريت، وراثة سورية، م.س، ص٢٠٤.

(١٤٩) مثل المحاضرات الأسـبوعية لـ«منتدى الثلاثاء الاقتصادي» في «المركز الثقافي» في منطقة المزة في دمشـق، خصوصاً بين عامي ١٩٩٨–١٩٩٩.

(١٥٠) بـدءاً بعهـد الرئيس «أميـن الحافـظ» (١٩٦٣–١٩٦٦) مروراً بعهد «نـور الدين الأتاسـي» (١٩٦٦–١٩٧٠)، كان هنـاك عمل مسـتمر لتطييف الجيش وحزب البعث وعلونته، وفي عهد «حافظ الأسـد» (١٩٧٠–٢٠٠٠) اسـتمرت هـذه العمليـة ولكن أضيـف إليها علونة السـلطة والأجهـزة الأمنية. حـول عملية التطييـف العلوي

إيـران ولبنان، وكلهم يمتلكون أهمية غير عادية، فالملف الشـيعي ملف يتعلق بالداخل والخارج على السواء، وعليه (الرئيس المقبل) أن يحسن معرفته وموادته.

من المؤكد أن باسل الأسد كان يلتقي شيخ بلاط والده ورجل الدين السُنّي الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي[١٥١]، بالإضافة إلى الشيخ مروان شيخو، ومفتي الجمهورية الشـيخ أحمد كفتاور، ويتودد إليهم بأسئلة واستفتاءات دينية فقهية! كان الأسد في ذلك الوقت مازال قريباً من أزمة الثمانينيات وتداعياتها، ويريد لجم الأحقاد السنية، فالطريق إلى توريث آمن هو ضمان تسكين عواطف الأكثرية السنية وتأمين عدم ثورتها الانتقامية عبر شـيوخ يكتسـبون قدراً وافراً من الثقة الشعبية، وإن كان هذا لا ينفي أن الأسد كان مهتـماً بالتيار الشـيعي العلـوي وإن بقدر أقل، فقد كان يعتمد عـلى توريث نجله القوي (باسـل) على مفاصل الجيـش ويمهد له الأمن. لكن الوريث «الضعيف» بشـار جاء في غير ميعاد، إثر حادث مفاجئ أودى بحياة شـقيقه باسـل نهاية عام ١٩٩٤، الأمر الذي اضطر الأسد الأب لتغيير استراتيجيته للتوريث.

كان على الأسد أن يتبع استراتيجية تمكنه من إحراق المراحل لتحقيق هذا الغرض، فالمطلوب حل سريع للملفات المزمنة والخطرة أو سـيطرة سريعة وقوية عليها، وبالتالي بـدلاً مـن العلاقة مع الشـيوخ لتسـكين الجمهور السُّـني، عليـه التفـاوض مباشرة مع الإخوان، وبدلاً من الاعتماد على السـيطرة الأمنية والعسـكرية في لبنان للتحكم بملف حـزب الله لا بـد من علاقة مباشرة وشـخصية مع زعامات حزب الله (وزعيمه حسـن نصر الله على وجه التحديد)، وبالملالي والزعامات السياسـية الإيرانية، وبدلاً من إهمال الطائفـة العلويـة، يجب أن يحظـى بدعمها ودعم التيـار القوي فيهـا في مواجهة مطامع شـقيقه رفعت الأسـد الرجل القوي الذي يحظى بشـعبية كبيرة في الطائفة العلوية، وفي الوقت نفسه فإن هذه العلاقة مع التيار الديني الشيعي القوي في الطائفة ستدعم علاقته

هـذه، ونتائجهـا في تركيبة القوى السياسـية والاجتماعية وأجهزة الأمن والجيـش والحزب وعلاقتها بأحداث الثمانينيات وما بعدها انظر: Van Dam, the Struggle for Power, Ibid

(١٥١) انظر: البوطي، محمد سعيد رمضان. هذا ما قلته أمام بعض الرؤوساء والملوك، دمشق، دار اقرأ، ط١، ٢٠٠١، ص١٠١.

مـع حـزب الله والإيرانيين. تلك باختصـار متطلبات اللعبة الدينيـة في معركة التوريث واستراتيجيتها الجديدة.

الملالي أولاً

بدأ بشار بعلاقة واهية مع شيوخ السُّنة، ويبدو أنه كان لا يبدي الحماس الديني الذي كان يبديه شقيقه باسل، فقد كان يتجنب اللقاء بالبوطي - مثلاً - ما أمكن، الشيخ الذي كان الأب يحتفـظ بعلاقـة خاصة معه. وبدا واضحاً أن البوطي هُمِّش بشـكل نهائي وأبعد عن بشار في نهاية التسعينيات، وبقيت علاقته محصورة بالأسد الأب، الذي كان يوحي له بأنه أمانتـه أمـام الله. وخلال فترة ولايته الأولى (٢٠٠٠-٢٠٠٧) طلب الشـيخ البوطي لقاء الرئيس الشاب أكثر من عشر مرات، وقوبل طلبه بالرفض المؤدب تارة، أو بالتأجيل غير المحدد الوقت تارة أخرى، وهو أيضاً في معنى الرفض! وذلك على الرغم من أن البوطي حاول منحه الشرعية المفقودة في توريثه السلطة، عبر تأييده بوضع ثقله الرمزي الديني في سـبيل ذلك، لكنه ما وجد آنذاك سـبيلاً لهذا التأييد من عالم الدين السـني الذائع الصيت سـوى الشـهادة لوالده بـ «الإيمان» العميق، والتنويه بالتفـاف الجماهير «بالحب العفوي» حـول القائـد الشـاب وارث الجمهورية (وارث الرجـل الصالح)! التـي منحته «بيعة لا تسـتطيع الديمقراطيـات المطبوخة المصطنعـة أن تتسـامى إليها، ولا تسـتطيع المزايدات المتكلفة أن تُغشِي على شيء منها»! بعد أن «آل هذا الأمر إليه بمشيئة من الله عز وجل أولاً، وببيعة صادقة صافية من هذا الشعب عن الشوائب ثانياً»[١٥٢].

بهذه المهمة التي أعدها له الأسـد الأب انتهت «صلاحية» البوطي كشـيخ للبلاط، ولسـوء حظ البوطي ربما فإنه لم «يتشرَّف» بمقابلة الرئيس منفرداً خلال سـبع سـنوات (فـترة ولايتـه الأولى)[١٥٣]، وإن كان التقـاه أكثـر مـن مرة في مناسـبات عامة وبشـكل جماعي، وكان آخرها لقاؤه مع جمع من شـيوخ الشـام في أزمة التعليم الشرعي المعروفة

(١٥٢) انظر: المصدر نفسه، ص ص١٢٧-١٣٣.

(١٥٣) حسب أكثر من مصدر مقرب جداً من الشيخ محمد سعيد البوطي.

عـام ٢٠٠٦، إثـر البيان الذي أصدره علماء سـورية والموجـه للرئيس بخصوص قانون التعليم الشرعي الجديد، وكان للقاء الشيوخ هذا أثره في تجميد القانون.

ما ينطبق على البوطي ينطبق على كفتارو وغيره من شيوخ أهل الشام. وكان الأسد الابن يفكر باسـتبدال مهمة الشيوخ، من مهمة رعائية واسـتمداد الشرعية المفتقدة، إلى مهمة إدارة الحالة الدينية وضبطها على إيقاع السياسـة السـورية بأي وسـيلة. في الواقع ما كان يريده بشـار الأسد هو مزيد من إخضاع المؤسسـة الدينية لمصالحه السياسية، أي علاقـة هيمنة واسـتتباع وليـس تبادل مصالح كـما كان الأمر في عهد الأب، فهو يشـعر أن أجهزتـه الأمنية وسـطوتها الهائلـة في المجتمع كفيلة بحمايته ومـده بشرعية القوة على الأرض، وهي شرعية كارثية بقدر ما تبدو واقعية.

وعلى الرغم من أننا لا ندري ما الذي لقَّنه الأب لابنه خلال سـت سنوات ونصف (١٩٩٤-٢٠٠٠) فإنـه مـن المؤكـد بأنـه ورثه نظرته الإيجابيـة للتيار الشـيعي العلوي، بوصفه تياراً إصلاحياً، وسـعى لتأسـيس علاقة متينة به تقوي العلاقة مع خمينيي إيران ولبنـان (حـزب الله). فحـزب الله - من وجهة نظر الأب - يمثل أداة مزدوجة بالنسـبة لسورية، فهو من جهة يلعب الدور العسكري في السياسة الدولية المتعلقة بأزمة الشرق الأوسـط، والسـلام مع إسرائيل، ومن جهة أخـرى يلعب دور أداة الهيمنـة على لبنان، بجعـل الحاجـة مسـتمرة للحزب في الاعتماد على سـورية التي تشـكل له الممـر الوحيد للسلاح والعتاد الإيراني والروسي.

منـذ بدايـة تجهيـزه لوراثـة الجمهورية بدأ الأسـد الابـن يلتقي قيـادات حزب الله، وزعيمه حسـن نصر الله[١٥٤]، كما لا يسـتبعد أن يكون قد التقى الشـخصيات الشـيعية التي تمثل المرجعية الدينية والفكرية للشـيعة وحزب الله؛ مثل الشـيخ حسـين فضل الله ورئيـس المجلـس الشـيعي الأعلى (في ذلـك الوقت) الشـيخ مهدي شـمس الدين على

(١٥٤) انظـر: أوربـاخ، بنيامين، وشـنكر، دافيد. صعود بشـار السياسـي، «بوليسـي ووتـش»، ٣٧١، واشـنطن، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، ٥ آذار/ مارس ١٩٩٩. نقلاً عن: ليفريت، وراثة سورية، م.س، ص٢٠٤.

اعتبار أن فضل الله له دور أساسي في حزب الله، والمجلس الشيعي الأعلى[١٥٥] له أهمية خاصة بالنسبة لشيعة لبنان. وبالتأكيد فإن هذه اللقاءات جعلت الأسد الابن مسحوراً بشخصية السيد حسن نصر الله المتكلم الفذ[١٥٦]، الأمر الذي شكل علاقة خاصة حميمة وشخصية بين نصر الله والأسد السياسي الغر.

وفي حزيران/ يونيو عام ٢٠٠٠ استقبل الرئيس الجديد (بشار) ضيفه اللبناني السيد حسن نصر الله القادم لتعزيته بوفاة والده، لكن لم يكن هذا الاستقبال تقليدياً، فقد رأى المواطنون السوريون مشهداً رمزياً يستدعي التأمل، فالسيد المذكور هو الأمين العام لحزب الله الذي خرج لتوه من «انتصار» تاريخي؛ حيث انسحبت اسرائيل من جنوب لبنان تحت ضربات المقاومة اللبنانية. وهذا ما منح شخصيته زخماً استثنائياً؛ فقد أصبح في العواطف أقرب إلى شخصية البطل. في إطار هذا المعنى الذي يلف شخصية نصر الله، وقف نصر الله (المولع بالرمزية السياسية الفجّة)[١٥٧] معانقاً الرئيس الغر، ثم تنحى

---

(١٥٥) تأسس عام ١٩٦٩ ليكون مسؤولاً عن القضاء الجعفري والتعليم الديني الشيعي في لبنان، أسسه الزعيم موسى الصدر، وبطبيعة الحال كان أول رئيس له، وبُعيد اختفائه عام ١٩٨٧ خلفه الشيخ مهدي شمس الدين الذي كان يشغل منصب نائب رئيس المجلس.

(١٥٦) ربما لعب تقارب السن دوراً مهماً، فنصر الله يكبر بشار الأسد قرابة عشر سنوات فقط. ولا ندري ما كان يجري من الأحاديث بينهما، لكن من الطبيعي أن نتوقع تعرض كل منهما إلى شيعية الطائفة العلوية النصيرية؛ فهذا الحديث يمثل أحد المداخل الطبيعية لعلاقة وثيقة بين طرفين تُدخل الجانب العقدي والاجتماعي مؤازراً العمل السياسي. وبإمكاننا أن نتوقع أيضاً أن من بين موضوعات الحديث العامة التي دارت بينهما ووثقت العلاقة بشكل غير عادي بينهما الحديث عن دور الأسد في لبنان ومساندة الحكومة الإسلامية الإيرانية، وعن شخصية الأسد الأب السياسية الفريدة، وعن دور حزب الله في المقاومة للاحتلال الإسرائيلي وإنجازاته في ذلك ودور الأسد الأب في ذلك، ولربما أدت هذه العلاقة الخاصة مع حزب الله ومُوالي سورية من سياسيّي لبنان إلى التبكير بتسليم الملف اللبناني له من عهدة عبد الحليم خدام (١٩٨٨)، بالرغم من أنه لا يمتلك أي منصب رسمي في ذلك الوقت.

(١٥٧) عشية انسحاب الجيش السوري من لبنان عام ٢٠٠٥ عاد نصر الله ليستخدم هذه الرمزية مع أحد أسوأ رجال المخابرات السوريين الذين عرفهم لبنان، فقدم إلى رستم غزالة في حفل صغير – تقصد أن تنقله وسائل الإعلام – بندقية لأحد الجنود الإسرائيليين التي غنمها مقاتلو حزب الله، كهدية تعبر عن شكره للجيش السوري، وكانت هذه صدمة للبنانيين بشكل خاص نظراً للسمعة السيئة التي يتمتع بها غزالة فضلاً عما أشيع عن دوره في اغتيال الحريري (١٤ آذار/ مارس ٢٠٠٥)، الدور الذي لمّح إليه عدد من تقارير المحققين الدوليين في قضية الاغتيال.

مستعرضاً أمامه رتلاً من خاصة مقاتلي حزب الله بلباسهم الأسود الرسمي؛ كان معنى هذه الرسالة الرمزية لنصر الله أن مقاتلي حزب الله هم جند الأسد!

تشير هذه الحادثة - في الواقع - إلى مدى العلاقة السياسية التي تربط حزب الله بالنظام السوري من جهة أولى، وإلى مدى العلاقة الشخصية التي أصبحت تربط نصر الله بالرئيس الجديد من جهة ثانية.

واستطراداً فخلال السنوات الست التي أمضاها بشار الإسد في الاستعداد للتوريث كانت علاقة حزب الله تقوى بشكل عام مع النظام السوري. ففي السنة الأخيرة كان حزب الله يقيم المعارض في «مكتبة الأسد الوطنية» في دمشق، وفي عدد من المدن السورية لتوضيح وشرح عملياته البطولية ضد الإسرائيليين، بالفيديو والمجسَّمات.

في الداخل كانت علاقة بشار تتزايد بالشيعة في سورية، وتحديداً بالتيار العلوي الشيعي، ومنه بالشيعة السوريين والعراقيين والإيرانيين (الذين يعملون على الأراضي السورية بالتعليم الديني والتبشير)، وقد زاره هؤلاء زيارات خاصة في القصر الرئاسي وفي القرداحة مرات عديدة، بل إن هذه الزيارات كانت تتكرر في المناسبات الدينية والاجتماعية والسياسية، وكانت تعني في عمومها تأييداً ودعماً للرئيس المقبل[١٥٨]. وبالتأكيد فإن الأسد الابن كان يستمع إلى شكاياتهم ويقدم لهم العون في مطالبهم التي غالباً ما تتعلق بالشعائر الدينية، وإقامة الحوزات، وتشييد المقامات، وما شابه، وبالتأكيد لم يكن قادراً على تلبية كل رغباتهم، فهو من جهة لا يستطيع تجاوز سياسة والده الذي ما يزال على رأس السلطة، وهو من جهة ثانية لا يملك رسمياً أي سلطة للأمر والنهي، إنما كان يستعمل نفوذه السياسي الذي منحه إياه الأسد الأب للتدخل في شؤون الدولة؛ ومن هذا الباب فحسب كان يلبي كثيراً من طلباتهم باستثناء بناء الحوزات والحسينيات التزاماً بقرارات والده التي لا يملك تجاوزها.

(١٥٨) حسب مصادر قريبة من الشيخ الشيعي الدمشقي عبد الله نظام وهو أبرز شخصية دينية للشيعة السوريين الأصليين.

الامتيازات الاستثنائية للملالي

ما إن توفي الأسد الأب حتى بدأ الملالي باستثمار العلاقة القوية التي تربطهم بنجله الرئيس الجديد، فتحصلوا على موافقات وتراخيص أمنية بتسهيلات غير اعتيادية[١٥٩] لإقامة الحوزات العلمية والحسينيات، إلى الحد الذي أصبحوا ينشئونها دون أي موافقة من أي جهة كانت، ودون رقيب! وعندما يتعرضون للمساءلة (إذا تعرضوا أساساً لها) فإنهم يبادرون للحصول على موافقة أمنية من شعبة الأمن السياسي وحدها[١٦٠]، في وقت يحظر فيه كلياً الموافقة من أي نوع على إنشاء معهد أو مدرسة للتعليم الديني الشرعي منذ أكثر

(١٥٩) على سبيل المثال تقدم الهندي «علي باقر تصور» بمعروض (مجرد طلب من ورقة واحدة بدون وثائق أخرى) إلى شعبة الأمن السياسي بدمشق لإقامة حوزة علمية في منطقة السيدة زينب، باسم «حوزة المهدي العلمية للدراسات الإسلامية»، وذلك بتاريخ ٢٧/ ٠٧/ ٢٠٠٢. وفي العادة فإن الموافقة على معاهد تدريس اللغة الإنكليزية أو معاهد دورات تقوية للمناهج المدرسية تستغرق ستة أشهر إلى سنة ونصف، لكن الموافقة جاءت خلال أسبوع واحد في تاريخ ٠٦/ ٠٨/ ٢٠٠٢! تحت الرقم (٩٧٤٩٠/ س.ح / ١١٢٦٧٢/ س) موقعة من اللواء عدنان سليمان الحسن، رئيس شعبة الأمن السياسي.
والشيء المثير للاستغراب حقاً أن تحظى هذه الحوزة على موافقة لـ«تصنيع ختم دائري» خاص بمديرها «علي باقر تصور» قبل أن تتقدم بموافقة أمنية على إنشاء الحوزة فضلاً عن الموافقة الأمنية عليها! فقد حصل المدير الهندي للحوزة على موافقة الأمن السياسي في ريف دمشق بتاريخ ٠٤/ ٠٧/ ٢٠٠٢ رقم (٧٨٧/ ص)، أي قبل أكثر من ثلاثة أسابيع من تاريخ تقديم طلب الموافقة على تأسيس الحوزة من أساسها! وقبل أكثر من شهر من تاريخ الموافقة على طلب التأسيس ذاته! وبالتأكيد فإن هذا لا يمكن أن يحصل مع أي معهد شرعي أو مدرسة دينية خاصة تخص علماء الدين السنة من أبناء الوطن وليس الهنود أو الإيرانيين أو الأفغان أصحاب الحوزات.
واستطراداً فإن الشخص الهندي «مدير ومشرف حوزة الإمام المهدي العلمية للدراسات الإسلامية» (كما يصفه كتاب شعبة الأمن السياسي فرع ريف دمشق) تقدم للحصول على موافقة بإضافة كلمة «الإمام» إلى اسم حوزته، وتمت الموافقة طبعاً دون تردد في ١٧/ ٠٨/ ٢٠٠٤ تحت الرقم (٢٢١٨/ س ص)، ووفقاً للقانون السوري والمراسيم التشريعية فإنه لا يمكن أن يكون مدير أي مؤسسة غير سوري.

(١٦٠) وفقاً للتعليمات الرسمية فإن الموافقة على إنشاء معهد ديني (سني) غير واردة على الإطلاق. ومنذ مطلع السبعينيات لم يتأسس معهد شرعي تقريباً، وما أسس فإنه لأسباب سياسية وأمنية خاصة، ولا يتجاوز أصابع اليد الواحدة. بالإضافة إلى ذلك، فإن المعاهد وتبرعاتها تخضع لمراقبة أمنية متشددة جداً، ومن المحظور الموافقة على مدارس نظامية للتعليم الشرعي.
أما المعاهد والمدارس الخاصة الأخرى فحتى التي يحق لها المباشرة بوضع حجر الأساس لمشروعها على الواقع فإن عليها أن تنتظر الحصول على موافقة الأجهزة الأمنية (السياسي، العسكري، أمن الدولة) فضلاً عن موافقة القيادة القُطرية والجهاز الأمني التابع لها! وإن لم تمنح أي من هذه الجهات موافقتها فإنه من المستحيل الموافقة على طلب إنشاء المعهد أو أي مؤسسة تعليمية.

من ثلاثين عاماً إلا باستثناءات خاصة ولأسباب سياسية وأمنية بأمر مباشر من الرئيس، وهي لم تتجاوز - بطبيعة الحال - خلال ثلاثة عقود ونصف أصابع اليد الواحدة.

ومنذ استؤنف إنشاء الحوزات الدينية عام ٢٠٠١ لم يتوقف إنشاؤها[١٦١]، ولا شك أن تغاضياً أمنياً وإدارياً غير طبيعي عن التعليمات والقوانين كان يجري مع إنشاء وتأسيس هذه الحوزات.

وإذا كانت الحوزات تدل على تمركز مرجعيات دينية في الأراضي السورية، فإن إنشاء الحسينيات يدل على انتشار المرجعيات وتمدد تبشيرها. وقد توقف بناء الحسينيات في عهد الأسد الأب بعد حل جمعية المرتضى، ولكن منذ نهاية عام ٢٠٠٠ سُمح للمبشّرين الشيعة بالانطلاق في بناء حسينياتهم، فبدأت حركة جديدة وغير مسبوقة لبناء الحسينيات[١٦٢]. فبموازاة التمركز والتأسيس المتواصل للحوزات الدينية للتعاليم الشيعية تم تأسيس عشرات الحسينيات في المدن والقرى السورية، من أقصى قرية جنوباً في درعا إلى أقصى قرية شمالاً في القامشلي، لتكون مكاناً لإحياء الشعائر الدينية الشيعية،

---

(١٦١) كانت «حوزة الإمام علي» (بإشراف الشيخ عبد المنعم الحكيم/ عراقي) أول حوزة تشيد في عهد الرئيس بشار، وآخر حوزة تم إنشاؤها - حتى أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٦ - هي «حوزة فقه الأئمة الأطهار» (المرجع الديني آية الله محمد الفاضل اللنكراني) عام ٢٠٠٦، وهي حوزة تضم مركزاً تبشيرياً فريداً باسم «مركز فقه الأئمة الأطهار»، وحسب ما يذكره القائمون على المركز في موقعهم على الإنترنت فقد «أخذ المركز الفقهي - فرع سورية - على عاتقه في بداية تأسيسه تحريك الفعاليات الدينية، حوزوية كانت أو ثقافية، في منطقة السيدة زينب (عليها سلام) على وجه الخصوص، و في سورية على وجه العموم، و من أهم ما توجه إليه ملء الفراغ في مختلف المجالات التي لم يُتوجه إليها مسبقاً، و بعد دراسة متواصلة توجَّه إلى إنجاز المشاريع التالية: المشروع الأول: إيجاد حركة علمية متميزة لطلاب الحوزة (...)، المشروع الثاني: إشاعة الدروس المنسيّة (...)، المشروع الثالث: الندوات العلمية (...)، المشروع الرابع: إنشاء مكتبة تخصصية (...)، المشروع الخامس: المكتبة الصوتية (...)، المشروع السادس: النشاط التبليغي [حيث] لم يهمل حوزة فقه الأئمة الأطهار الحركة التبليغية في المنطقة، فقد تحرك لأجل إيصال المعرفة إلى أكبر عدد ممكن».
حول اللنكراني ومشاريعه ومركزه وحوزته في سورية بالتفصيل انظر موقع مركز فقه الأئمة الأطهار على الرابط: http://www.markazfiqhi.com/ara/tre/report1.php

(١٦٢) على سبيل المثال يذكر حسين الرجا - أحد أبرز شيوخ المتشيعين في قرية حطلة - بأنه بدأ بناء الحسينيات والمساجد في القرية منذ ست سنوات، وأن هذه المؤسسات الشيعية كان لها الدور الأبرز في انتشار التشيع في دير الزور.
انظر: أجرى الحوار: الحبشي، عادل، والموسوي، عصام، الشيخ الصوفي سابقاً يشرح لـ«المنبر» كيف اتُهم بالماسونية! حوار مع الشيخ حسين الرجا، مع مجلة «المنبر»، الكويت، العدد التجريبي، ١٤٢٠هـ (٢٠٠٠م).

وبتساهل يفوق التصور تبنى الحسينيات أحياناً حتى بدون موافقة الأمن السياسي، وبما أن الحسينيات هي دور عامة للشعائر الدينية فالمفترض أنها تتبع وزارة الأوقاف، غير أن الحسينيات لا تُسجل لدى وزارة الأوقاف ولا تتبع لها، إنما تتبع المرجعيات الدينية، الأمر الذي يمنحها حرية مطلقة في نشاطاتها بعيداً عن التعليمات المشددة التي تُخضِع لها وزارة الأوقاف كل ما يتبع لها من دور العبادة والشعائر الدينية. وحتى الآن لا تملك وزارة الأوقاف السورية أية معلومات عن الحسينيات وملاليها بالمطلق. وبما أن التبشير الشيعي - كما هو معتاد - يأتي على رأس أولويات الحسينيات، فإنها بعدم تبعيتها للأوقاف تتمتع بالحرية الكاملة في الممارسة ونخر الجسم السني بلا حسيب ولا رقيب.

من جهة أخرى فإن هذه الحسينيات تبنى عادة بأموال المرجعيات[١٦٣] أو بأموال الحكومة الإيرانية[١٦٤]، أو بأموال المحسنين الخليجيين[١٦٥]، وعدم خضوعها للقانون والأوقاف يجعل هذه التبرعات للبناء لا تقتصر على البناء، بل تستمر لتكون رافداً للحسينية ونشاطها التبشيري؛ فرواتب إدارتها ومصاريف خدماتها ورواتب دعم «المؤمنين الجدد» يتطلب مالاً تبشيرياً بعيداً عن رقابة الدولة ووزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ووزارة الأوقاف معاً وبتساهل استثنائي في رقابة الأجهزة الأمنية.

أنشئت في هذا العام (٢٠٠١) أيضاً أول مؤسسة تبشيرية نشطة بإشراف الشيخ عبد الحميد المهاجر (الذي سبق وقام بنشاطات تبشيرية كثيرة على الأراضي السورية بدعم

---

(١٦٣) على سبيل المثال فإن حسينية زين العابدين في قرية حطلة (قرب مدينة دير الزور) ممولة من مؤسسات المرجع الشيعي الخوئي.

(١٦٤) على سبيل المثال فإن حسينية الرسول الأعظم في قرية الصعوة (قرب مدينة دير الزور) ممولة من مكتب السيد علي خامنئي (مرشد الثورة الإسلامية في إيران).

(١٦٥) على سبيل المثال فإن حسينية سيد الشهداء في قرية نُبُّل (شمال مدينة حلب) تم تشييدها بـ«تمويل لجنة سيد الشهداء (عليه السلام) الخيرية/ الكويت»، وكان من المزمع افتتاحها في الخامس عشر من شهر رمضان المبارك ١٤٢٤ الموافق لـ٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٣، «تيمناً بميلاد الإمام أبو محمد الحسن المجتبى ابن أمير المؤمنين علي المرتضى» وبمساعي كل من الشيخ العراقي كمال معاش (تابع للمراجع الشيرازية) والسوري حمد الوكاع (اعتنق التشيع عام ١٩٩٦). انظر خبر إنشاء الحسينية في «الوكالة الشيعية للأنباء» (إباء)، تقرير بسام حسين، «لجنة سيد الشهداء تشيد حسينية في محافظة حلب / قضاء نبل» على الرابط: http://www.ebaa.net/khaber/2003/10/6/khaber007.htm

مـن المراجع الشـيرازية) عام ٢٠٠١ باسـم «هيئة خدمـة أهل البيت»[١٦٦] ومؤسسـيها والناشـطين فيهـا هم مجموعة من الشـباب العراقيين الحركيين من أهـالي مدينة كربلاء، وهـذه المؤسسـة - في الواقـع - تلعب دوراً تكميلياً في التبشـير للحـوزة الزينبية التابعة للمراجع الشيرازية. ويبدو أن الرابطة الخاصة بين الشيرازية والعلويين والنظام السوري منحت هذه الهيئة نشاطات شعائرية وتبشيرية علنية غير مسبوقة في سورية.

جملـة الوقائـع هذه تشـير إلى أن موسـم الحصـاد للعلاقة الخاصة ببشـار الأسـد قد بدأ، حصد ملالي الشـيعة (العراقيون والإيرانيون واللبنانيون) «الانتظار» لوفاة الأسـد الأب، عوضاً عن السـوريين، الذين فقدوا أملهم ببشـائر التغيير، ودخل الملالي سباقهم مع الزمن قبل أن تتغير الأحوال والظروف، فهم الآن في لحظة تاريخية غير مسـبوقة من الدعم والحرية والنشاط التبشيري.

الصَّدع بالطقوس الشيعية

وقّـع أهـالي القريــة السـنية الصغيرة السـيدة زينـب في عـام ١٩٧٦ معروضـــاً لرئيس الجمهوريـة يشـتكون فيـه من «البطالة التي تسـبب بها قـدوم الشـيرازي وعشرات من تلامذتـه الأفغـان والإيرانيـين والهنـود»، الذين «سـيطروا عـلى الأعمال»، ممـا جعلهم «عاطلـين عن العمل». وفي قرية صغـيرة لا تعرف الحرف ولا التجارة أو الصناعة، فإن عدداً لا يتجاوز كثيراً أصابع اليدين من الأيدي العاملة الجديدة يمكن أن يخلق مشـكلة عمل لسـكانها، الذين تضيق عليهم أراضيهـم الزراعية يوماً بعد يوم مع تكاثر الأجيال والولادات.

---

(١٦٦) هذه الهيئة هي فرع عن «هيئة خدمة أهل البيت» التي أسسها المرجع الديني محمد الشيرازي في كربلاء العراق سنة ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م، وحسب ما جاء في موقعها على الإنترنت، فقد «تأسست هيئة خدمة أهل البيت (عليهم السـلام) في دمشـق في حي السيدة زينب (عليها السلام) بتشجيع من سـماحة المرجع الديني آية الله العظمى السـيد محمد الحسيني الشـيرازي (رضوان الله عليه) وذلك من قبل شباب هدفهم نشر فكر وثقافة أهل البيت (عليهم السـلام) إلى جميع أنحاء العالم هذا بالإضافة إلى أنها تقوم بإحياء جميع المناسبات الإسلامية». انظر صفحة «مشاريع الخدمة» في موقع «هيئة خدمة أهل البيت» على الرابط:
http://khadama.net/indexold.htm

صدر أمر للسلطات المختصة بـ «إبعاد هؤلاء [أي الأجانب] عن سورية»، فـ «اعتقل أربعة عشر طالباً من طلاب الحوزة العلمية الزينبية»[١٦٧]. كان حافظ الأسد وقتها ما يزال حديث عهد بشعارات «الحركة التصحيحية»، ولا مصلحة تدعوه لقبول تقديم مصالح الأجانب على حساب مصالح السوريين خصوصاً وأنه لا يريد أن يستفز أحداً ضد مشروعه في علونة السلطة والأجهزة الأمنية ليتسنى له الاحتفاظ بالرئاسة للأبد! فالشعب يحتقن طائفياً يوماً بعد يوم بعد أزمة الدستور الدائم عام ١٩٧٣.

كان الأمر كارثة للشيخ حسن الشيرازي (الأصولي العراقي من أصل إيراني) القادم إلى دمشق للتبشير وتأسيس مركز شيعي نشط يهدف لنشر الدعوة الشيعية الاثني عشرية في الشام، فلم يلبث أن توسّط رئيس المجلس النيابي اللبناني كامل الأسعد للإفراج عنهم، وهو ما جعل الأسد «يأمر بإصدار الإقامة للطلاب» ثانيةً.

كانت عينا الملا حسن الشيرازي ترنو - بعد تأسيس الحوزة - نحو صحن السيدة زينب؛ إذ المقام مشيد داخل مسجد سني عريق أموي الطراز، فبدأ مع طلبته بإقامة الصلاة على المذهب الشيعي عند المقام، «ووضع التربة الحسينية أثناء الصلاة، حيث لم يكن يُشاهد تربة في المقام قبل ذلك» حتى «يتعرفوا على التربة الحسينية»!

لكن قصة احتلال المقام لم تكن بالأمر السهل، فأهالي القرية لم يتقبلوا هذا الوجود الشيعي المزروع حديثاً عند المقام، ووصل الأمر بهم إلى حد شتم الملا الشيرازي وجماعته المصرّة على احتلال الصحن على مكبرات الصوت، واستنكروا وجود الحوزة ذاتها بجوار السيدة زينب، وقالوا «إن أيّ مرجع لم يأذن للملّا ولهؤلاء بتأسيس حوزة هنا».

تصاعد الأمر، واشتد احتقان الأهالي حتى حاول بعض الشيوخ منعه وتلامذته من «إقامة صلاة الجماعة في حرم السيدة زينب» بالقوة، بل لقد وصل الأمر إلى حد الهجوم على بيت الشيرازي ذاته في شارع الأمين وتهديده!

---

(١٦٧) من جملتهم: عزيز الله المحقق، والشيخ التوسلي، وناظر الشريفي، والشيخ الفصيحي، ومحمدي صهر الشيخ الفرقاني، والسيد محسن الحسيني، وبخش الحليمي وآخرون، وجميعهم من الجنسيات الأجنبية: الإيرانية والأفغانية والباكستانية والهندية!

كان لهـذا الرفض والمقاومة العنيفة للأهالي أن يؤثر في تلامذته، الذين أشـاروا عليه بالمغـادرة ما دام عاجـزاً عن رد ضغط الأهالي[(١٦٨)]، لكن الأصـولي عنيد ومتحدٍ بطبعه، الأمر الذي مدّ الشيرازي بالصبر والتحمل لإنجاح الاحتلال، وكان له ما أراد.

نسـوق هذه الرواية - وهي بمنظور أحد تلامذة الملا الشـيرازي الأفغان - للدلالة أولاً عـلى مـدى فظاظة المبشر الشـيعي العراقي (مـن أصول إيرانية) مقارنة مع الشـيخ الشـيعي اللبناني الشـيخ محسـن الأمين محيي الطائفة[(١٦٩)]؛ وثانياً لكشـف اسـتمرار هذا النمط السلوكي الفظ للشيرازية الأجانب الذين مارسوه عبر أتباعهم (الأجانب أيضاً) في دمشق، ودوره في تأليب السوريين واحتقانهم المتصاعد ضد التبشير والوجود الشيعي في سورية.

وللتذكير فإن الشيخ العراقي عبد الحميد المهاجر الذي قدم سورية مطلع التسعينيات هو أحد تلامذة المرجع الديني محمد الشيرازي، وكان ظهوره على شاشة التلفزيون[(١٧٠)] نوعاً من الجرأة في تحدي مشـاعر السـنة. فالشـيخ المهاجر عراقي، والشـيعة السـوريون أقليـة لا تتجـاوز ٤ , ٠ ٪ وفقاً للإحصاءات الرسـمية، ويريد هو أن يفرض نفسـه على المواطنـين السـوريين دون أن يبالي بهذه الحقائـق التي كانت توغر صدر السـوريين على النظـام؛ إذ لم يكـن معنى ظهوره - من موقع المواطنين السـوريين في ذلك الوقت - على شاشة التلفزيون بشكل أسبوعي إلا «مؤامرة» على سنية الشعب السوري من قِبل النظام الطائفي! لقد كانت تعليقات الناس المتعضة حول هذا الموضوع أصدق تعبير.

مهما يكن من دواعي النظام بالسماح له بالدروس الأسبوعية، فمن المؤكد أن الغاية الرئيسية للمهاجر كانت التبشير، وكانت زلات لسانه (المقصودة) في المعتقدات الشيعية التي يريد بثها للجمهور السـني هي المقصودة من الحديث. لقد قرر - وهو يدرك مدى

(١٦٨) قصـة احتـلال «مقام السـيدة زينـب» من رواية الشـيخ محمد بخـش الحليمي، وما بين قوسـين مأخـوذ حرفياً مـن كلامـه، وبالإمكان الاطلاع على جزء من الروايـة المتعلقة باحتلال الملا وتلامذته لمقام السـيدة رقية في المقابلـة ذاتها. انظر المقابلة في «موقع الشـيرازي نـت»، م.س، على الرابـط: http://www.alshirazi.net/leqaat/leghaat/legha/shahid/022.htm

(١٦٩) انظر: ص ١٩.

(١٧٠) انظر: ص ٦٨.

فظاظة ما يقوم به - أن يستمر ويتحدى على عادة أساتذته.

واستطراداً فإن عبد الحميد المهاجر - المبلغ عن آل الشيرازي في بلاد الشام - لعب دوراً مهماً في احتلال مقام حجر بن عدي الكندي في عدرا، كما سبقت الإشارة، وبطريقة لا تختلف في فظاظتها عن طريقة حسن الشيرازي في احتلال مقامي السيدة زينب والسيدة رقية.

بعد الاحتجاجات الكثيرة عن دروسه وممارساته في المقامات (مقامي الحجر بن عدي، وعمار بن ياسر) انتهى ذكر المهاجر نهاية التسعينيات في الفضاء الديني للمجتمع السوري السني، غير أنه ما بدأ عام ٢٠٠١ حتى أشرف على تأسيس «هيئة خدمة أهل البيت» المتفرعة عن مؤسسة تحمل هذا الاسم ذاته في كربلاء العراق تابعة للمرجع محمد الشيرازي من أجل «نشر فكر وثقافة أهل البيت (عليهم السلام) إلى جميع أنحاء العالم (...) بإحياء جميع المناسبات الإسلامية»[(١٧١)] الشيعية. ولأن الفظاظة وتحدي مشاعر الأكثرية السنية تجري بدماء المبشرين الشيرازية ومن أهم خصائص «تبليغهم» لعقائد الشيعة الاثني عشرية في الشام، فقد قامت هذه الهيئة بعدة مهرجانات ومسيرات لطم وتطبير[(١٧٢)] كبيرة صدمت بها المخيال الجماعي السني الشامي لأول مرة في الدولة السورية الحديثة.

يحتاج المرء للتأمل طويلاً في النفسية غير السوية للأشخاص الغرباء الذين يميلون للعيش في أكناف من لا يرغبون بودهم، وفي الوقت نفسه يتحدون مشاعرهم متوسلين بعلاقتهم بالسلطة والأجهزة الأمنية، فقد بات من المعروف أن الشيرازية يحظون باحتفاء خاص من التيار العلوي المتشيع، وعن طريقه يحظون بدعم أمني وسياسي كبير.

ففي فجر يوم السبت ١٤ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ الموافق لـ ٤ آب/ أغسطس ٢٠٠١م، وبمناسبة ذكرى «الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء»، سيّرت هيئة خدمة أهل البيت أول موكب عزاء شيعي «انطلق من أمام بناية الحوزة العلمية الزينبية، وانتهى

---

(١٧١) من تعريف الهيئة لنفسها وبيان أهدافها ومشاريعها في موقعها على الإنترنت، على الرابط: http://khadama.net/indexold.htm

(١٧٢) اللطم: شعيرة دينية شيعية، والتطبير: شج الرؤوس بالسيوف حتى إسالة الدماء.

عند مقبرة باب الصغير بدمشق، حيث مقبرة الفواطم عند جادة أهل البيت (...) وقطع موكب المعزّين - الذي ضم ما يقرب ألفي شخص من الرجال والنساء - مسافة حوالي ١٠ كيلومترات سيراً على الأقدام، وهم يرددون الشعارت الجهادية وقصائد الرثاء والولاء والنصرة لآل بيت النبي محمد (صّلى الله عليه وآله)»[١٧٣]. مرت المسيرة من شارع «مدحت باشا» داخلة إلى سوق الحميدية، وشاقة طريقها إلى حي العمارة حيث مقام السيدة رقية، لتعود إلى مقبرة باب الصغير.

شاهد الأهالي بأعينهم ولأول مرة صباح ذلك اليوم مئات العراقيين وبعض اللبنانيين والمعتنقين الجدد للعقائد الشيعية من طلبة الحوزات السوريين يمشون بموكب لطم، تصحبه سيارات إسعاف، وتنتشر حوله عناصر الأجهزة الأمنية، وسمع الأمويون (الشوام) بآذانهم الشعارات المنددة بظلم أهل البيت (الأمويين)! صارت الحادثة حديث الهمس بين الناس، ولم يجرؤ أحد على الجهر بانتقاد علني لها.

تناقل الناس الحادثة التي أثارت حفيظتهم، فانتقلت عدواها إلى علماء الدين، الذين كانوا يبدون سخطهم أمام أتباعهم دون أن يجرؤوا على الكلام، ولكنهم أثاروا القضية مع المسؤولين في وزارة الأوقاف، إلا أن أحداً لا يملك القرار.

أصبحت المسيرة عادة موسمية[١٧٤]، فمن وجهة نظر تبشيرية «يعد تنظيم هذه المواكب والمسيرات الولائية أحد أبرز وسائل الدعاية والترويج للمذهب الحق، فضلاً

(١٧٣) انظر: الوكالة الشيعية للأنباء (إباء)، أخبار ١٤٢٢هـ على الرابط.

(١٧٤) في ٢٤ تموز/ يوليو عام ٢٠٠٢ الموافق لـ ١٤ جمادى الأولى ١٤٢٣هـ، وحسب الرواية الشيعية، فقد «سيَّرت جماهير المؤمنين موكباً عزائياً طاف في حيِّ السيدة زينب سلام الله عليها إحياءً لذكرى استشهاد الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها. وانطلق الموكب الذي تعدّى المشاركون فيه الألفين من مبنى الحوزة العلمية الزينبية فجر يوم الرابع عشر من شهر جمادى الأولى الجاري، وسار المشاركون قرابة عشرة كيلومترات مرددين شعارات وهتافات الثأر للزهراء وجنينها المحسن [السقط] (صلوات الله وسلامه عليهما)، فيما رفعت مجموعة في الصف الأول أعلاماً وألوية تضمنت عبارات الولاء لأهل بيت النبوة عليهم الصلاة والسلام، وأنشدت قصائد ومراثٍ حول هذه الذكرى الأليمة. وأشرفت على تسيير الموكب الهيئة الزينبية [هيئة خدمة أهل البيت]، حيث اختتم مسيرته في مقبرة الفواطم عند جادة أهل البيت عليهم السلام».
انظر: مجلة «المنبر»، الكويت، العدد السابع عشر، جمادى الآخرة، ١٤٢٣هـ.

عن كونها شعيرة من الشعائر المراد منها تبيان مظلومية أهل البيت»[١٧٥]، ومع الأيام تزداد حساسية الأهالي الذين يئسوا من تدخل الجهات المسؤولة لإيقاف هذا الاستفزاز الشيعي من قبل الغرباء في العاصمة السنية الأموية العريقة.

وفي يوم الجمعة ٨ نيسان/ أبريل ٢٠٠٥ انطلقت «مسيرة كربلائية (بمناسبة أربعينية الحسين بن علي رضي الله عنهما) في شارع مدحت باشا بدمشق، وسارت في شوارع دمشق القديمة، جلد فيها شبان إيرانيون ظهورهم بالجنازير الحديدية وأنشدوا حسينيات وقصائد تهجو الأمويين (...) فقد طافوا في الشوارع التي يُفترض أنها شهدت تعذيب بنات الحسين وقتلهن، وتوجهوا إلى ضريح السيدة رقية حيث كانت هناك نهاية مسيرتهم التي صبوا فيها اللعنات على «النواصب» الأمويين قتلة آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم»[١٧٦].

«اعتبر أهالي دمشق هذه المظاهرة الحسينية استفزازاً لهم؛ لأنهم أرادوا أن يصوروا أهل دمشق وكأنهم قتلة الحسين رضي الله عنه»[١٧٧]، فقد ساءهم من «الضيوف» العراقيين «أن يُشتم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في مدينته، وأن يُهان الأمويون في عاصمتهم بهذا الشكل البعيد عن الدين والأخلاق ولياقة الضيف»[١٧٨]، فقرروا تنظيم «عريضة يعتزمون رفعها إلى رئاسة الجمهورية تتعلق بتزايد النشاط الشيعي «المستفز» في دمشق القديمة، وتنظيم أنشطة شيعية إيرانية تستفز السنة في شوارع المناطق ذات الأغلبية السنية»[١٧٩].

نجاح هيئة خدمة أهل البيت في استعراضاتها الطقوسية المُهَوَّلَة في دمشق مستقوية

---

(١٧٥) المصدر نفسه.

(١٧٦) من نص شهادة أحد الأهالي الذين حضروا المسيرة، انظر: أخبار الشرق، مواطنون سوريون ينظمون عريضة إلى رئاسة الجمهورية احتجاجاً على نشاط شيعي مستفز في دمشق القديمة، دمشق، ٢٧ نيسان/ أبريل ٢٠٠٥، على الرابط: http://www.thisissyria.net/2005/04/27/levant1.html

(١٧٧) المصدر نفسه.

(١٧٨) المصدر نفسه.

(١٧٩) المصدر نفسه.

بالأجهزة الأمنية دون أن يجرؤ أحد على التصدي لها مباشرة[١٨٠] شجعت المراجع الشيرازية على تأسِيس هيئة أخرى تمارس النشاطات التبشيرية والطقوسية ذاتها، باسم «هيئة علي الأصغر لشباب كربلاء» في عام ٢٠٠٤. كما شجعت نشاطاتها الاستعراضية العديد من المؤسسات العراقية التبشيرية والطقوسية على الظهور مع تزايد التدفق للاجئين العراقيين بعد الغزو الأمريكي للعراق، والصدع بممارسة الطقوس الشيعية بالشكل الاستعراضي نفسه، مثل: «هيئة المختار الثقفي»[١٨١]، و«هيئة شباب الإمام الصادق»، و«هيئة شباب البتول الطاهرة»، و«هيئة شباب جعفر الطيار»، و«هيئة خيام الإمام الحسين»، و«هيئة شباب أهل البيت»! وشأن التنافس على الحوزات تتنافس المرجعيات الآن على إنشاء مزيد من المؤسسات الشعائرية الطقوسية لتثبيت موطئ قدم في «التبليغ» الشيعي والتبشير بالعقائد الإمامية في بلاد الشام.

وفي الوقت الذي تُمنح فيه التراخيص الأمنية (إذا كان هناك تراخيص أساساً) للجمعيات الشيعية الغريبة بدون حساب ولا تدقيق في أموال التبرعات التي تأتيها، مازال الترخيص للجمعيات الدينية الإحيائية السنية أمراً مستحيلاً حتى اليوم، ومن يعرف سورية

(١٨٠) قامت الهيئة بعشرات الاستعراضات، وهي على سبيل المثال كما تذكر بالتفاصيل على موقعها على الإنترنت، وتقول الهيئة فيه إن برامجها على مدار العام تتضمن بشكل رئيسي إحياء جميع المناسبات الإسلامية من استشهاد الأئمة (ع) إلى المواليد والأعياد لإعلاء كلمة أهل البيت (وليس لمجرد ممارسة حق التعبد)، وهذا يقتضي «تكثيف برامجها الثقافية والإعلامية التي تهدف إلى إعلاء كلمة الحق؛ ألا وهي كلمة أهل البيت (عليهم السلام)، وذلك عن طريق: ١- طبع عدة كتب وتوزيعها مجاناً (منها: الشعائر الحسينية، البقيع الغرقد، كتيب يحوي برنامج أعمال شهر رمضان المبارك)، طبع عدة بوسترات وفي مختلف المناسبات وتوزيعها (على سبيل المثال: طبع في هذا العام بوستر لعيد الغدير الأغر). ٢- إنتاج برامج كمبيوتر في المناسبات وتوزيعها مجاناً، فعلى سبيل المثال تم إنتاج البرامج : عشاق الزهراء (عليها السلام)، فاطميات، في أيام الفاطمية، مراثي علوية، الرثاء الحسيني. ٣- طبع وتوزيع لواصق تحوي أحاديث الأئمة (عليهم السلام)، قامت الهيئة بطبع آية الكرسي ومقامات الأئمة (ع) ولصقها على لوحات بلاستيكية تعلق في المحلات والسيارات».

(١٨١) مثل «هيئة المختار الثقفي» التي قامت - ضمن برنامج سنوي - بأول احتفال لها (ربما) بمناسبة «مولد أمير المؤمنين الإمام علي» يوم الجمعة ١٢ رجب ١٤٢٣هـ، الموافق لـ ٢٠ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢م في مقام الصحابي الجليل الحجر بن عدي الكندي (رض) الواقع في إحدى ضواحي العاصمة السورية دمشق.
انظر تقرير: حسن، أحمد، المهرجان السنوي لهيئة المختار الثقفي بمناسبة مولد أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام)، الوكالة الشيعية للأنباء (إباء)، أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢ على الرابط: http://www.ebaa.net/takreer-khberi/index.htm

جيداً يدرك حجم المخاطر الأمنية التي يمكن أن تلحق بأعضائها لو أنشؤوا أي جمعية بدون ترخيص؛ إذ لن يتوقف الأمر عند حدود منع الجمعية من العمل بالتأكيد، بل إن أعضاءها سيتهمون بالانتماء إلى تنظيم سري هدفه قلب النظام وتغيير الأوضاع في البلاد.

ولسوء الحظ فإن مجموعة شبان في اللاذقية (بعضهم في سن الأحداث) شكلوا في مطلع عام ٢٠٠٥ ما يشبه الجمعية إلا أنها بدون ترخيص ولا مقر، وأطلقوا عليها عفوياً اسم «صناع الحياة» تأثراً بالداعية المعروف «عمرو خالد» ومشروعه الاجتماعي التنموي «صناع الحياة» الذي حظي بدعم منظمة الأمم المتحدة، فسارعت الأجهزة الأمنية إلى اعتقالهم بحجة تأسيسهم لـ «تنظيم سري إسلامي» يهدف إلى تغيير أوضاع البلاد![١٨٢]، وهي الحجة ذاتها التي كانت قد ساقتها ضد معارضيها في الفترة ٢٠٠١-٢٠٠٥ نشطاء «لجان إحياء المجتمع المدني»؛ إذ زعمت بأن «المجتمع المدني» هو «تنظيم سري» لتغيير الأوضاع! وشرعت في محاكمة بعضهم على هذا الأساس أمام المحكمة العسكرية[١٨٣].

ما الذي يمكن أن يؤدي إليه شعور الأكثرية السنية بالتمييز الطائفي العلني الذي يمارسه النظام ضدهم بهذه الطريقة الفجة في بلد عانى الأمرين من الصراع بسبب الطائفية؟ ما الذي يمكن أن يشعر به المواطنون السوريون الذين لم يعودوا يشعرون بالتمييز بينهم وبين طائفة معينة في حقوق المواطنة فحسب، بل أصبح الأمر يتعداه إلى التمييز الحاد والجارح بينهم وبين الأجنبي القادم من وراء الحدود؛ من العراق وأفغانستان وإيران والهند؟!

---

(١٨٢) انظر: هيئة الإذاعة البريطانية (BBC)، تقرير: «قلق في سوريا بعد اختفاء ناشط في مجال حقوق الإنسان»، الاثنين ٢ أيار/ مايو ٢٠٠٥. تحت عنوان: «اعتقال ٣٠ طالباً في اللاذقية» أن «السلطات السورية اعتقلت ثلاثين طالباً من كليتي الطب والحقوق في اللاذقية، شمال غرب سورية، منذ فبراير/ شباط الماضي (...) السلطات تتهم هؤلاء الشباب بتشكيل مجموعة «صناع الحياة» وهي منظمة ذات خلفية إسلامية». وكانت المنظمة العربية لحقوق الإنسان في سورية قد أفادت في بيان أصدرته السبت الماضي أن «أجهزة الأمن في اللاذقية اعتقلت ستة طلاب خلال الشهر المنصرم، وهم معروفون بالانتماء إلى «صناع الحياة»». انظر التقرير على موقع الـ BBC على الإنترنت على الرابط:

http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/newsid_4506000/4506897.stm

(١٨٣) مَثُل الدكتور عبد الرزاق عيد أمام المحكمة العسكرية في حلب بعدة اتهامات، كانت تهمة «تنظيم المجتمع المدني» إحداها.

ملخص ما حصل أن هيئة خدمة أهل البيت دشَّنت الإعلان الفظ للطقوس الشيعية في الفضاء السني وتحدي مشاعر الأكثرية السنية بالهتافات التي تهز مشاعرها الدينية. وعلى الرغم من أن التواجد الشيعي في سورية يعود لمئات السنين على شكل أقلية ميكروية شديدة الصِّغَر، إلا أنه لم يفكر أهلها ولا حتى الوافدون الإيرانيون ولا اللبنانيون الشيعة المستوطنون بهذا النمط من الصدع بالشعائر والطقوس الاستفزازية، لكن النمط العراقي الشيعي المشبع بالصراع والتوتر الطائفي كان بطبيعته يميل إلى التحدي والاستفزاز. ومع تزايد أعداد العراقيين بعد الغزو الأمريكي للعراق تحولت منطقة السيدة زينب إلى مستعمرة شيعية عراقية، الأمر الذي ساعد على تصاعد هذا النمط من الممارسات.

لقد كان لهذه الممارسات من قبل الجالية الشيعية العراقية ومؤسساتها بشكل خاص والممارسات الأمنية التمييزية الطائفية الموازية على الأكثرية السنية أن تفجر مشاعر الحنق والنقمة على الطائفة الشيعية، وتخلق جواً من الاحتقان المتزايد تجاه عمليات التبشير الشيعي التي باتت تتم بلا رقيب ولا حسيب في مجمل الأراضي السورية.

ثانياً: السباق مع الزمن (٢٠٠٣-٢٠٠٧)

في الحين الذي أبرمت فيه طهران صفقتها السرية وغير المباشرة مع واشنطن - عبر رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية آية الله محمد باقر الحكيم - للتخلص من «عدوها» النظام العراقي كانت دمشق تحاول بقوة منع حدوث احتلال سهل للعراق. تحمَّس البعثيون الأشقاء في دمشق، وكاد التناقض في قضية احتلال العراق بين طهران ودمشق[١٨٤] يودي بتراث من المصالح والعلاقات السياسية المتبادلة منذ ثورة الخميني

---

(١٨٤) حول التوتر الحاصل من تناقض الموقفين بين طهران ودمشق، انظر: مزاحم، هيثم، وسترندبرغ، أنريس. سورية وإيران: علاقات متوترة في محيط متغير، مراجعة استخبارات جين، تشرين الأول/ أكتوبر، ٢٠٠٣. نقلاً عن: ليفريت، وراثة سورية، م.س، ص ص٢٤٥-٢٤٦، ص٢٧٦.

عـام ١٩٧٩. فدمشـق باتت تخشـى على نفسـها مـن التغـيرات في المعادلات السياسـية الإقليميـة في مرحلـة ما بعد الاحتلال، كما أنها لم تسـتبعد كثـيراً أن لا يتوقف الاحتلال بعـد إزالـة نظام «دولـة مارقة» بالقوة عند الحـدود العراقية؛ فما الـذي يمنع الأمريكيين مـن فعل ذلك مع النظام في سـورية إذا تهيّأ لهم الظرف المناسـب واسـتقروا في العراق، وشرعيته وممارساته لا تختلف كثيراً عن شرعية وممارسات النظام العراقي!

وقـع الاحتـلال، وبـدأت تسـوء علاقـة إيـران مـع الولايـات المتحـدة والمجتمع الـدولي بسـبب مفاعلاتها النووية ومسـاعيها لامتلاك السـلاح النـووي؛ إذ سرعان ما اتجـه الأمريكيون إلى اسـتثمار قضية المفاعـلات النووية، وتتالت تصريحات المسـؤولين الأمريكيين المتشددة إزاء إيران، ومعها تهديدات مبطنة تارة وظاهرة تارة أخرى بإمكانية القيام بعمل عسـكري ضـد إيران إن اقتضى الأمـر. وفي موازاة ذلك بـدأت الاتهامات الأمريكية صبيحة اليوم التالي لاحتلال بغداد الموجهة لسـورية في إيواء القيادة العراقية، وتهريـب الأسـلحة العراقية وأموال المسـؤولين، وإرسـال المقاتلين الأجانـب لمواجهة «قوات التحالف لتحرير العراق»، فضلاً عن تورطها السابق في «نقل المعدات العسكرية والمواد الثنائية الاسـتخدام» عن طريق الشـحن البري، و«انتهاك نظام العقوبات» الذي فرضته الأمم المتحدة بعد حرب الخليج الثانية[١٨٥] والذي كانت إدارة بوش حتى بداية

(١٨٥) انظر: شـيف، زئيف. سـورية تشـتري الأسـلحة للعراق في أوروبـا الشـرقية، هآرتـز ١٥ تموز/ يوليو ٢٠٠٢. و غامبل، غازيز، سـورية تسـلح العراق، نشرة اسـتخبارات الشرق الأوسـط ٤ رقم ٩، أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢، و ويليامز، دتنييل، و وود، نيكولاس، أسـلحة أوروبا الشـرقية تجد طريقها إلى العراق، وبعض الموردين ربما يمنحون عضوية حلف الشـمال الأطلسـي، واشـنطن بوسـت، ٢٠ تشـرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢. (نقلاً عن: ليفريت، وراثة سورية، م.س، ص٢٤٦، ص٢٧٧).

أصبحـت علاقـات بشـار مع إدارة بوش حول العراق علاقة شـائكة قبـل أن تبدأ الولايـات المتحدة بالتحضير لعملية تحرير العراق. وخلال السنة والربع الأولى من رئاسته تشابكت مصالحه وحاشيته الاقتصادية المتزايدة مـع النظـام العراقي مع المطلب المبدئي لإدارة بوش في الأشـهر التسـعة الأولى من توليه الحكم بإعادة سـن العقوبات الدولية على نظام صدام. ومع توسع العلاقات الاقتصادية السورية – العراقية سرعان ما ظهر الأسد على أنه المنتهك الأكبر لعقوبات الأمم المتحدة المفروضة على العراق نوعاً وكماً، وربما كان أكثر ما في هذا الأمر إشـكالية من منظور أمريكي هو تورط الأسـد بنقل معدات عسـكرية ومواد ثنائية الاسـتخدام إلى العراق عن طريق الشـحن البـري، وأصبحت الانتهاكات السـورية لنظام العقوبات الدولية محل نزاع ديبلوماسـي مع الولايـات المتحـدة في شـباط/ فبراير ٢٠٠١ منذ اجتماع وزير الخارجية الأمريكي كولن باول ببشـار الأسـد ومسألة خط النفط العراقي.

الحرب تطالب سورية بالالتزام به[١٨٦].

كان الهدف الأولي والمباشر لهذه التصريحات هو كف يد هذين النظامين الجارين عن التدخل بالشأن الأمريكي في العراق، وبالتأكيد فإنه مع تزايد التدهور في العراق، تزايد حنق الأمريكيين على كل من النظامين، الأمر الذي جعل العداء المشترك للأمريكان القاطرة التي جمعتهما معها لاستئناف علاقات ديبلوماسية أكثر قوة من قبل.

رسم الهلال الشيعي

خلال ما يزيد عن أربع سنين من تاريخ احتلال العراق، كانت سورية منتقدة دوماً بأنها مصدر للمقاتلين الأجانب القادمين من خارج الحدود إلى العراق لمقاتلة قوات الاحتلال، والانضمام إلى الفصائل المسلحة للمقاومة العراقية. كانت هذه هي القضية الأساسية، بالإضافة إلى مساعدة القيادات البعثية في تفعيل دور المقاومة وتسهيل تدفق الأموال للمقاتلين البعثيين والإسلاميين، والإسهام بالتالي في عدم استقرار العراق[١٨٧].

كانت ملفات مثل إيواء قيادات الفصائل الفلسطينية (حماس والجهاد) في سورية، والدور السوري في لبنان ودعم حزب الله أمنياً ولوجستياً (تأمين مرور العتاد والأسلحة عبر الحدود السورية إلى لبنان) الذي كان يردده المسؤولون الأمريكيون في تصريحاتهم في الواقع أمراً ثانوياً قياساً بالاهتمام الأمريكي بالدور السوري في العراق.

لم يكن بشار الأسد ومجموعته قد استوعبوا بعد التغييرات السياسية الإقليمية التي وضعهم فيها انسحاب الجيش الإسرائيلي من الشريط الجنوبي المحتل في لبنان إلى ما وراء الحدود: لقد انتهى دور المقاومة، وصار على الجيش أن ينتشر في الجنوب لفرض سيادة الدولة. لكن حزب الله – ولمصالح إيرانية بالدرجة الأولى، وسورية بالدرجة الثانية – كان يرفض ذلك بشدة، بحجة أن حماية لبنان من هجوم إسرائيلي محتمل لا تتم إلا عبر بقاء حزب الله مسيطراً على الجنوب، وبقاء الجيش بعيداً «لحمايته» أيضاً! فهو

(١٨٦) ليفريت، وراثة سورية، م.س، ص٢٤٨.

(١٨٧) المصدر نفسه، ص ص ٢٥٢-٢٥٣.

لايقدر أن يدافع عن نفسه ضد السلاح الإسرائيلي. وجد كل من الإيرانيين والسوريين فرصة نادرة للتشبث ببقاء المقاومة وتبرير عملياتها حسب الضغوط التي تريدها سورية وإيران بوجود «مزارع شبعا».

كان رفيـق الحريري رجل الدولة اللبناني خلال عقد ونصف قد نقل لبنان من دولة مدمـرة بالكامـل إلى دولة حديثة عامرة بالمـال والبناء والتجارة. وقـد أدرك الحريري – الـذي طالمـا دافع عن حزب الله في أوروبا وأمريكا وقـام بحمايته من أن يوضع في قوائم منظمات الإرهاب الدولية – أن لبنان الحر والمسـتقل عن هيمنة أمنية وعسـكرية سورية عابثة يقتضي تحجيم دور حزب الله عن أن يكون دولة داخل دولة، وهذا يعني بالضرورة – من جهة مقابلة – بسـط سـيادة الجيش اللبنـاني وإخراج القوات السـورية من لبنان، والاكتفاء بعلاقات طيبة ومتوازنة بين لبنان وسورية.

لكن لبنان المستباح بماله وأهله من قبل المخابرات العسكرية السورية، أصبح مصدر مصالح كبرى لرأس النظام السوري و«الدائرة الصغيرة» المحيطة به – والتي تحكم معه (صهره آصف شـوكت، وشقيقه ماهر الأسـد) – وما يتبعها من زبائنية عشائرية تقتات على مصالح لبنان وأموال أهله.

عندمـا قرر الأسـد فـرض إميل لحود مـرة أخرى على رئاسـة لبنـان، وإجبار رفيق الحريري على التصويت له، كان الأسد بذلك يُدخل لبنان في انشقاق طائفي سياسي غير مسـبوق (بين موالاة معظمها شيعي، ومعارضة معظمها سني وماروني) رغم المعارضة الدولية للتمديد. ولكن الشيء اللافت للانتباه أن أحد أسباب كره بشار الأسد للحريري كانت – كما يروي نائب الرئيس (آنذاك) عبد الحليم خدام على لسان الأسد – أن «رفيق الحريري رجل يكتل طائفته [السـنيَّة] حوله وضد سـورية، وهذا أمر غير مسموح، هذا الرجل عدو لسورية»!![١٨٨]

قتـل الحريري في عملية اغتيال معقدة التخطيط، تُعد أخطر وأعقد عملية اغتيال في

(١٨٨) انظر: حسن صبرا (برلين)، مقابلة مع عبد الحليم خدام (الجزء الثاني)، مجلة «الشراع» (أسبوعية سياسية عربية)، بيروت، العدد ١٣٠٨، ١ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٧. والمقابلة – مثل معظم مقابلات نائب الرئيس السابق عبد الحليم خدام بعد انشـقاقه – تشـرح ملابسـات توتر العلاقة بين الأسـد والحريري والحوار الدائر حوله في رأس السلطة في سورية، وعلاقته بتورط النظام السوري في اغتيال الحريري حسب رؤية خدام وروايته.

فاتحة القرن الحادي والعشرين، كل الملابسات السياسية والأمنية كانت تشير إلى تورط سوري حقيقي وفقاً لما تثبته تقارير «لجنة تقصي الحقائق» وتقارير المحققين الدوليين (ديتلف ميلس، وسيرج براميرتز)، وعلى هذا الأساس تمت الموافقة على تأسيس المحكمة الدولية مطلع عام ٢٠٠٧، مع تمام العلم والثقة بأن القادة الأوروبيين والأمريكيين يعتقدون وبدون شك بأن النظام السوري كان وراء الاغتيال.

وسواء صح ذلك أم لا فإن النظام السوري دخل في تداعيات سياسية بالغة الخطورة والحدّة، وأدخل معه – في سياق إدارته للأزمة – المنطقة في انقسام طائفي لم يسبق له مثيل منذ القرون الوسطى خصوصاً مع تصاعد الاقتتال الطائفي السني الشيعي في عراق ما بعد صدام.

فور مقتل الحريري في الرابع عشر من شباط/ فبراير ٢٠٠٥ اندلعت المظاهرات في لبنان، وانقسم الشارع اللبناني بين «عدو» لسورية يتهمها بالجريمة الهائلة، وبين حليف لها بلا حدود. فقد حصل الاغتيال في ظل ظروف انقسام كان حاداً أساساً بين القوى السياسية اللبنانية بما تمثله من انتماءات طائفية. أصبح متظاهرو الشارع قوة سياسية طائفية كبرى أطلق عليها اسم «قوى ١٤ آذار»، وأصبح الانقسام السياسي انقساماً اجتماعياً حقيقياً بين طائفة سنية ويلحق بها أكثرية الطائفتين المارونية والدرزية، وطائفة شيعية ويلحق بها أقليات من الطائفتين المارونية والدرزية.

أصبح الاستقطاب الطائفي المبني على الموقف من اغتيال الحريري (الزعيم والرمز السني) أساس هذا الاستقطاب والتحشيد. فحزب الله وطائفته يدافعون عن مصالحهم والمصالح الإيرانية والسورية، وبالتالي هم تلقائياً ينفون وبشدة علاقة سورية بالجريمة؛ وتيار المستقبل الممثل للطائفة السنيّة يتهم بشكل مباشر وقاطع سورية لإخراجها من لبنان واسترجاع سيادته، وإضعاف حزب الله والنفوذ السوري والإيراني، فضلاً عن رغبته الحقيقية في معاقبة المجرمين.

ما هي انعكاسات القضية في الشارع السوري؟ والأحاديث التي شغلت الناس: من المستفيد من استهداف السنّة وإضعافهم في لبنان؟ السنّة اللبنانيون ينظرون إلى الحريري كرمز سياسي لهم، وبالتالي فإن المستفيد هي الطائفة التي برزت بقوة أخيراً في لبنان (الشيعة)، فالموارنة قد ضعفوا خلال حقبة الهيمنة السورية على لبنان، أما السوريون

فقد حاول الإعلام الرسمي إقناعهم بأن إسرائيل والمعارضين للوجود السوري في لبنان هم المستفيدون من إخراج الحريري من الساحة السياسية وأن النظام لا يمكن أن يرتكب خطأً كبيراً مثل هذا.

ومع تزايد الهجوم على سورية وتزايد ظاهرة الاعتداء على العمال السوريين (حوالي ٥٠٠ ألف عامل سوري في لبنان آنذاك) بدأ المزاج العام في سورية ينقلب ضد آل الحريري، ولأن الناس في العالم العربي تؤمن بالعموم بنظرية المؤامرة الكبرى، فقد كان للضخ الإعلامي والتهييج الشعبي – الذي مارسته أبواق النظام والقوميون العرب المتطرفون – لاتهام تقرير «لجنة تقصي الحقائق» وتقارير المحقق الدولي ديتلف ميلس بالتسييس أن تفعل فعلها بالتأثير على الوعي الجماعي، الذي بات يسأل دون التفات إلى ما أوردته التقارير «المسيسة»: لِمَ سورية وليست إسرائيل؟ والجواب الجاهز: «المؤامرة الأمريكية الصهيونية»!

نجح النظام في اللعب على الوعي الجماعي، وأصبح هو وحزب الله وأنصاره هم الذين يحوزون شرف «الصمود والتصدي» ضد المؤامرة الأمريكية الإسرائيلية على سورية والعرب. لكن النظام كان يدرك حقيقة أنه بات في مأزق وأي مأزق، فاحتمال مطالبته بالمثول أمام محكمة دولية بتهمة الاغتيال أوقع النظام في عزلة دولية، وشيئاً فشيئاً بدأ يخسر علاقاته الدولية والسند الإقليمي العربي القوي ممثلاً بمصر والسعودية.

كان هذا يدفعه إلى مزيد من التشبث بالعلاقة مع طهران، وتقوية المحور السياسي الإيراني؛ كلا النظامين بحاجة للآخر، ويوماً بعد يوم أصبحت حاجتهما لبعضهما البعض حاجة أكثر من ممارسة دور سياسي ونفوذ إقليمي، بل للحفاظ على المصالح الحيوية لإيران في العراق ولبنان، وللحفاظ على وجود النظام ذاته بالنسبة لسورية.

لقد انقلبت المعادلة التي كانت في عهد الأسد الأب، وأصبح النظام السوري هو الطرف الأضعف في هذه العلاقة، خصوصاً بعد خروج سورية من لبنان تحت الضغط الدولي، وتجنباً للقرارات التي أصبحت تصدر كمتوالية هندسية من مجلس الأمن ضد النظام السوري لتجبره على تنفيذ القرار ١٥٥٩ القاضي بجلاء القوات الأجنبية عن لبنان، ثم تجبره على خضوع أعلى قمته للتحقيق الدولي. أصبح النظام السوري مهدداً بوجوده من أساسه: لقد قُصت مخالبه في لبنان، وصار محتاجاً لحزب الله أكثر من حاجة

حزب الله له، إضافة إلى أنه في واقع الحال لا يستطيع الدفاع عن نفسه أمام أي هجوم عسكري إسرائيلي أو أمريكي محتمل؛ فقدراته العسكرية الرادعة ضعيفة للغاية. إن حرص النظام على العلاقات مع طهران أصبح قائماً على حس بدائي بالمصالح، ولم يستطع بشار الأسد وجماعته مقاومة الهرولة باتجاه إيران ومنحها كل ما يغريها من المصالح الاقتصادية والسياسية داخل البلاد، باختصار: فتح البلاد لها لتحقق مصالحها على أعلى درجة وأوسع نطاق، وكان بإمكان الأسد أن يقف بصلابة أكثر اعتماداً على الأوراق التي ما تزال بحوزته في المنطقة؛ لكن النظام الذي لا يحسن الإدارة ويفكر بعقل أمني وبهاجس الخوف لم يكن باستطاعته سوى المضي وراء هذا الخيار البائس.

بالنسبة لإيران كان الفراغ السياسي الذي خلفته الحرب الأمريكية على العراق وأزمة سورية المتزايدة في لبنان وعزلتها الدولية مطمعاً لملء الفراغ بمد نفوذها وبسط سلطتها إلى أكثر الأماكن حساسية وسخونة في العالم (الشرق الأوسط المجاور لإسرائيل والمحاذي الشمالي لينبوع النفط الخليجي العالمي)، فقد أصبحت سورية - وفقاً لبعض التقارير الغربية، وهي محقَّة - «تجد نفسها محشورة بين مطرقة الضغوط الدولية وسندان الإنقاذ الإيراني»[١٨٩].

لم يتلكأ الساسة الإيرانيون الخبثاء في استثمار الوضع الجديد بمد نفوذهم السياسي إلى العمق الاجتماعي السوري، بموازاة مد اقتصادي يستحوذ على صفقات القطاع الحكومي. وعلى الرغم من أن التعاون والتبادل الاقتصادي تصاعد بوتيرة غير مسبوقة منذ تولي بشار الأسد مقاليد الحكم في البلاد، إلا أن الوضع الجديد شرع أبواب التبادل الاقتصادي إلى أقصاه لصالح الكفة الإيرانية[١٩٠]، وصار الإيرانيون يتحدثون عن

(١٨٩) انظر: تقرير صحيفة «الوطن العربي»، استراتيجية إيران لنشر التشيع في سورية، ١٢ حزيران/ يونيو ٢٠٠٦.

(١٩٠) التبادل الاقتصادي بين البلدين يبدو غالباً في اتجاه واحد، السوريون يستوردون الصناعة الإيرانية، ولا يوجد لدى السوريين الكثير مما يمكن أن يوردوه للإيرانيين. وعلى سبيل المثال أول ما يلفت انتباه الزائر لسورية هو أن الأكثرية الساحقة من سيارات الأجرة (التاكسي) من ماركة «سابا» الإيرانية الصنع، وقد أنشئ أول مصنع للسيارات في تاريخ سورية ماركة «شام» بالشراكة مع شركة «إيران خودرو» الإيرانية، وافتتح في نيسان/ أبريل ٢٠٠٧.

ولاشك أن هناك صفقات كثيرة تم الاتفاق عليها، مثل صفقة لشراء آلاف الباصات الإيرانية للنقل الداخلي، وشراء بعض أنواع الأسلحة الإيرانية للدفاع.

سورية بوصفها «بلداً هاماً جداً للاستثمار؛ نظراً لموقعها الجغرافي»![١٩١]

فهمت إيران جيداً الحاجة السورية إليها، ولهذا فقد قبلت بتوقيع اتفاقية عسكرية للتعاون والدفاع المشترك في منتصف حزيران/ يونيو ٢٠٠٦ بلا فائدة ولامعنى، ومن منظور النظام السوري فإن صيغة هذه الاتفاقية – التي تتضمن النص على هدف «تعزيز التعاون وضرورة الحفاظ على السلم والاستقرار في المنطقة»[١٩٢] – يمكن أن تكون دعاية مفيدة في إثارة الرعب من التحالف السوري الإيراني، الأمر الذي يمكن أن يصبح ورقة ضغط جديدة بيد النظام السوري. وفور الإعلان عن توقيع الاتفاقية صرح وزير الدفاع السوري حسن توركماني أثناء زيارته لإيران بعد التوقيع بالقول: «إيران تعتبر أمن سورية أمنها»[١٩٣]، وأن تعاون سورية وإيران «ضد تهديدات إسرائيل ليس سراً»[١٩٤]. وفي واقع الأمر النظام السوري كان على يقين بأن أمن سورية يهم إيران بقدر مصالحها، ومصالحها في سورية ليست وجودية، ولا بأهمية مصالحها في العراق، وأن هذا الاتفاق لن يقدم لها شيئاً ملموساً.

إن التخوف الذي تحقق من هذا الفتح الكامل للأراضي السورية والاقتصاد السوري والمجتمع السوري للإيرانيين شكل حقاً هاجساً للعرب، لكن الأسد يقول إنه «إن كانت إيران تلعب دوراً أساسياً وكبيراً فهذا لمصلحة المنطقة.. نحن ليس لنا مصلحة بأن نكون دولاً ضعيفة.. الدول القوية إن كانت تلعب دوراً عادلاً أو دوراً أساسياً إيجابياً فهذا يحقق استقرار المنطقة. التخوف من ماذا؟»[١٩٥]، وهو يعرف بالضبط «التخوف من ماذا»!

---

(١٩١) من نص الكلمة التي ألقاها السفير الإيراني في سورية حسن اختري كما وردت في وكالة الأنباء السورية (سانا) (٧ حزيران/ يونيو ٢٠٠٧) خلال مراسم أقامتها شركة «إيران خودرو» بمناسبة افتتاح «لجنة الصداقة السورية الإيرانية» في طهران . انظر التقرير على موقع «سيريا نيوز» الإخباري، على الرابط:
http://www.syria-news.com/newstoprint.php?sy_seq=59539

(١٩٢) صحيفة «النهار»، اتفاق عسكري سوري – إيراني ولجنة للدفاع، ١٦ حزيران/ يونيو ٢٠٠٦.

(١٩٣) المصدر نفسه.

(١٩٤) المصدر نفسه.

(١٩٥) من حديث بشار الأسد الشامل لقناة دبي الفضائية ، بتاريخ ٢٣ آب/ أغسطس ٢٠٠٦.

وفي نهاية المطاف أصبحت إيران في ظرف لم تكن تحلم به فيما يتعلق بسورية، وهي بحكم التطورات التي تعصف في المنطقة، والمفتوحة ربما على المجهول، عليها أن تسابق الزمن لتجني أكبر قدر من المكاسب قبل أن يحصل ما تكرهه وتضطر أن تعود إلى جحرها.

«حزب الله»

إيران وحزب الله وجهان لعملة واحدة، فالخمينيون اللبنانيون يعملون - كما هو معروف - بزعامة «الوكيل الشرعي لمرشد الثورة الإسلامية في لبنان» حسن نصر الله[١٩٦]، على أساس أنهم امتداد «الثورة الإسلامية الإيرانية» في لبنان[١٩٧]. معظم السوريين

(١٩٦) عَيَّنَ مرشدُ الثورة الإسلامية في إيران السيد علي خامنئي آيةَ الله العظمى ومرجع التقليد الرسمي في لبنان الشيخ محمد يزبك (عضو شورى «حزب الله»، والمدرس بحوزة الإمام المنتظر في بعلبك)، والسيد حسن نصر الله (أمين عام «حزب الله») «وكيلين شرعيين» عنه في لبنان، «في الأمور الحسبية، والوجوه الشرعية»، فيستلمان عنه «الحقوق»، ويصرفانها في «مصالح المسلمين»، ويردان «المظالم»، ويجريان «المصالحات الشرعية» لأهل الخمس، ويعينان «الوكلاء» من قبلهما. انظر:
صحيفة «السفير» اللبنانية، ١٨ أيار/ مايو ١٩٩٥، نقلاً عن: شرارة، دولة حزب الله، م.س، ص٣٧٦، هامش١٢.

(١٩٧) كانت ولادة «حزب الله» ناجمة عن انشقاق قيادات من «حركة أمل» الشيعية عندما قبل نبيه بري (نائب موسى الصدر زعيم الحركة) الانضمام إلى «هيئة الإنقاذ» اللبنانية الوطنية التي تضم مختلف القوى السياسية اللبنانية، وكانت حكومة «الثورة الإسلامية» في طهران ترفضها، والتزاماً بقرارات «الثورة الإسلامية» قرر خمينيو حركة أمل الانفصال، وكما جاء على لسان حسين الموسوي أحد أبرز المنشقين: «لأنَّ الذي يقرر ما هو إسلامي وما هو غير إسلامي هو الثورة الإسلامية التي أعلنا جميعاً في حركة (أمل)، في المؤتمر الرابع للحركة في آذار/ مارس ١٩٨٢، (أننا) جزء لا يتجزأ من الثورة الإسلامية (...) وقد تبلغنا جميعاً موقفاً من الثورة الإسلامية يرفض المشاركة في هيئة الإنقاذ». انظر:
الحركات الإسلامية في لبنان (ملف)، مجلة «الشراع»، ١٩٨٤، ص ص ٢٢٢- ٢٢٣. نقلاً عن: شرارة، دولة حزب الله، م.س، ص١١٩، ص١٢٧.
واستطراداً فإن قيادة حزب الله (الشورى) تتألف من سبعة لبنانيين وإيرانيين اثنين لا يعرف عنهما أي شيء سوى وجودهما! انظر:
حمود، زين، حزب الله من الداخل: أسرار وخفايا، مجلة «الشراع»، بيروت، عدد ١٤ آب/ أغسطس ١٩٩٥. نقلاً عن: شرارة، دولة حزب الله، م.س، ص٣٣٧، وص٣٧٥، هامش٧.

لا يعرفـون هـذه الحقيقة، خصوصـاً وأن حزب الله نفسـه أصبح ينفي ذلك بشـدة بعد أن كانـت تصريحـات قادته تصب في التبعية لإيران لسـنوات عديدة. وبما أن السـوريين تتملّكهم المشـاعر القومية والإسلامية بشدة، ويميلون بطبيعتهم للتسامح الطائفي[١٩٨] والمسـالمة، فقد تجاوزوا الانتماء الشـيعي لحزب الله، وباتت أعينهم مشـدودة للعمليات النوعيـة التي بدأ يقوم بها ضـد الإسرائيليين منذ منتصف التسـعينيات، وبدأ حزب الله يدخـل بصدق إلى قلوب السـوريين بإنجازاتـه في إلحاق الأذى بالمحتلـين الإسرائيليين في الجنـوب، وبما أن إحسـاس السـوريين العروبي يتجـاوز في قوته الإحسـاس الوطني فقـد كانت «الانتصارات» الصغـيرة لحزب الله بمنزلة انتصـارات للأمة، وليس للثورة الإسـلامية ولا لنظام الأسـد، لكنها كانت أيضاً تمنح الأسد – الذي لم يكن يُخفي دعمه لحزب الله تحت شـعار «دعم المقاومة اللبنانية» – شـيئاً من البريق لصورته التي كسـاها المقت بنهر الدماء المسفوكة طيلة عقد الثمانينات.

بدءاً من ١٩٩٧ سُمح لحزب الله – ربما بوساطة من بشار الأسد (المسحور بشخصية نصر الله، والذي أصبحت تربطه علاقة شخصية به) لدى أبيه – أن يجوب المدن السورية لعرض إنجازاته على معارض في المكتبة الوطنية العامة (مكتبة الأسـد)، وفي الجامعات السـورية، عـبر عـرض أشرطـة فيديـو مثـيرة لعملياتـه العسـكرية ضـد الإسرائيليين، ومجسَّـمات تمثل أهم العمليات وكيفية تنفيذها، وبعض القطع الصغيرة والعتاد المستولى عليه من الإسرائيليين، ويوزع بكثافة البروشورات وربما ينسخ أشرطة الفيديو ويوزعها على زواره.

وخمينيو لبنان – كما أسـلفنا – يرون أنفسـهم سـفراء «الثورة الإسـلامية» الإيرانية، والواقع أن «سـفراء الثورة الإسـلامية على مثال حرس الثورة الإسـلامية، من العسـير تمييـز مهماتهـم الدبلوماسـية والتمثيلية من مهماتهـم «الثقافية» على مـا كان يقول رئيس

(١٩٨) كانت أحداث الثمانينيات استثناء، ذلك أنها لم تنشأ بسبب طبيعة طائفية في الشعب السوري بل لاستفزاز سياسي قائم على أسس طائفية قام به حافظ الأسد من عملية تطييف واسعة للسلطة والحزب والجيش والأمن استكمالاً لما بدأت به حكومة البعث واللجنة الخماسية في «تطييف الجيش والحزب» منذ آذار/مارس ١٩٦٣، والتاريخ يشهد أن الفتن الطائفية في سورية محدودة للغاية قياساً إلى جوارها في العراق ولبنان مثلاً.

مجلس الشورى علي أكبر هاشمي رفسنجاني»[١٩٩]! وهكذا ما إن توفي الأسد في ١٠ حزيران/ يونيو ٢٠٠٠ حتى بدأ الخمينيون ممارسة «مهمتهم» الثقافية (التبشيرية)، بعد أن تحقق «تحريرهم» لجنوب لبنان فيما عدَّ شعبياً «انتصاراً تاريخياً».

ففي مناسبة «المولد النبوي الشريف» والمصادف لمولد الإمام «جعفر بن محمد» وبمناسبة «أسبوع الوحدة الإسلامية» الإيراني شارك حزب الله في ٣٠/ ٠٥/ ٢٠٠٢ في مدينة حلب (مشهد النقطة) لأول مرة في نشاطات دينية داخل الأراضي السورية، ممثلاً بأعلى قيادة له بعد الأمين العام الشيخ نعيم قاسم نائب الأمين العام لحزب الله، في احتفال كبير. وليس خافياً أن مشاركة حزب الله داخل سورية وفي مدينة تعتبر بعيدة وفي احتفال ديني وبتمثيل أعلى قياداته أمر يثير علامات الاستفهام، فالمفترض أن تكون مشاركته في السيدة زينب كبرى التجمعات الشيعية، أو في العاصمة دمشق، لكن اختيار حلب أمر له دلالته التبشيرية، خصوصاً إذا علمنا أن هذا الحفل تضمن احتفاءً بإعلان ٦٠ عروساً (شيعياً) في زواج جماعي هو الأول من نوعه في مدينة حلب، التي لم تشهد قبل هذا التاريخ زواجاً جماعياً قط! والملفت للانتباه أن هذا الزواج ممول من قبل «الحكومة الإيرانية» على حد تصريح الخطباء في المهرجان! لا شك أن هذا الاحتفال في ظروف بائسة وصعبة للغاية في صفوف الشباب الفقراء، وارتفاع معدلات البطالة وسن الزواج في مدينة تعتبر الأكثر تشدداً في الزواج أمر لا يخلو من دعوة تبشيرية أبداً.

لم تتوقف مشاركات حزب الله الدينية التبشيرية، لكنها كانت على كل حال محدودة قياساً إلى المبشرين العراقيين، وذلك يعود لأسباب تتعلق بانشغال حزب الله بالمعارك السياسية في لبنان، بدءاً من التمديد للرئيس اللبناني (والحليف السوري بلا حدود) إميل لحود بدءاً من عام ٢٠٠٣، وفي ظروف التحضير الأمريكي لاحتلال العراق، وغليان الشارع الشيعي وتلهفه للعمليات العسكرية لإسقاط النظام البعثي وإحلال نظام آخر مكانه يكون للطائفة الشيعية اليد الطولى فيه، والصراع على لبنانية «مزارع شبعا» التي كانت تعني له صراعاً على شرعية بقائه كمقاومة، وأخيراً انخراطه في التحزب السياسي

(١٩٩) شرارة، دولة حزب الله، م.س، ص٣٣٧، «سفراء الثورة الإسلامية» في كلام رفسنجاني يقصد به السفراء الرسميون للحكومة الإيرانية.

والاصطفاف الحاد مع موالي الوجود السوري في لبنان (الموالاة - جماعة عين التينة)، وأنصار خروج السوريين من لبنان واستعادة السيادة (المعارضة - جماعة قرنة شهوان)، من ثم مقتل الحريري وتداعياته، كل ذلك لم يسمح لحزب الله بممارسة نشاطه التبشيري في سورية بسبب انشغاله بالتحديات السياسية التي تواجهه.

وعلى الرغم من مشاركته المحدودة في النشاطات التبشيرية - فيما إذا استثنينا نشاط منظره الروحي السيد حسين فضل الله الذي كان يمارسه في دمشق والساحل ودرعا[٢٠٠] - إلا أن هذه المشاركة المحدودة كان في مقابلها استثمار غير محدود لنجاحه العسكري في جنوب لبنان ضد الإسرائيليين من قبل المبشرين الشيعة في سورية (وفي معظم البلدان الأخرى التي ينشطون فيها). غير أن هذا الاستثمار برز بقوة وظهر إلى العلن أثناء الحرب الإسرائيلية على حزب الله التي ابتدأت في ١٢ تموز/ يوليو ٢٠٠٦، عندما اختطف مقاتلو حزب الله جنديين إسرائيليين، ورد الطيران الإسرائيلي بالقصف وبعمليات بريَّة لتصفية عناصر حزب الله وإبعادهم عن الحدود الإسرائيلية إلى ما وراء نهر الليطاني.

لأول مرة تنقسم النخبة العربية السياسية والثقافية[٢٠١] تجاه حزب الله، بين من يحمِّله اللوم على تحريض الإسرائيليين بالرد، ويريد أن يتخلص من الحزب الذي أرهق لبنان واستعمره لصالح إيران على شكل «دولة داخل دولة»، خصوصاً بعد أن صرح - في اليوم التالي - «مصدر مسؤول في الخارجية السعودية» تصريحاً يحمل فيه حزب الله

---

(٢٠٠) فإضافة لدرسه الأسبوعي الذي ابتداه منذ مطلع التسعينيات في الحوزة الزينبية، كان فضل الله يجوب بعض المناطق في درعا بدروسه، ومحاضراته، وخطبه في المهرجانات والحفلات في المناسبات الشيعية، وافتتاح المساجد والحسينيات، وعلى سبيل المثال افتتح - بحضور مسؤولين حكوميين! - أول مسجد شيعي في مدينة درعا (حي المطار) «مسجد الرسول الأعظم»، وأول حسينية أيضاً «حسينية الرسول الأعظم» في حي المطار.
انظر تقرير: «التشيع في سورية: محافظة درعا»، على موقع «محمد سرور زين العابدين»، مؤرخ بـ ٤ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ الموافق لـ٣١/ ٠٥/ ٢٠٠٦م. الرابط:
http://www.surour.net/index.php?catid=000003&id=000168

(٢٠١) كمثال على الانقسام الثقافي في النخبة السورية، انظر عدد صحيفة «الغد» الأردنية، عدد ٢٠ تموز/ يوليو ٢٠٠٦، مقال الكاتب السوري أكرم البني بعنوان «لبنان المنكوب وخيار الدولة»، ومقال الكاتب السوري رأفت نديم شهبا بعنوان: «ما بعد حيفا وإلى ما بعد مابعد حيفا.. توجد دمشق!».

مسؤولية العدوان وجر المنطقة إلى الحرب لصالح دول أخرى (المقصود طبعاً إيران).

جُيِّشَ الإعلام السوري لصالح حزب الله، وأخذت القناة السورية تنقل الأخبار والأحداث عن «قناة المنار» التابعة للحزب بشكل مباشر، وفي إطار حملات التخوين للنخبة السياسية المنتقدة لحزب الله في حربه ضد الإسرائيليين ومَن وراءهم من عملائهم «الأمريكيين» في لبنان (المقصود بشكل رئيسي: تيار المستقبل والجنبلاطيين)، عُبِّئ الشعب السوري وشُحن لمناصرة حزب الله، فالمسألة هي «إحباط مؤامرة» ضد سورية ولبنان، ضد «المقاومة الإسلامية» التي تشكل «حاجز الممانعة» ضد الإسرائيليين، وآخر خط لـ «الشرف العربي» هنالك، بحسب التعبيرات التي أصبحت تترد على ألسنة العامة.

رفع السوريون أعلام حزب الله في بيوتهم، تلك التي وُزعت عليهم في الشوارع العامة من قبل أفراد أجهزة الأمن (العسكري والسياسي غالباً)، وألصقوا الصور - التي وزعت عليهم أيضاً - على سياراتهم وفي الحافلات العامة وهي تتضمن دعاءً بالنصر للشيخ نصر الله، وأخرى تقرن بين صورة الرئيس بشار الأسد وصورة الأمين العام لحزب الله، ووراءهما علما سورية وحزب الله (وليس علم لبنان!). لم يجد السوريون غضاضة في ذلك؛ كان الأمر حماساً لانتصارات عسكرية والدفاع عن شرف الأمة المتبقي، وهي تبقى بنظرهم مسألة سياسية وقومية عليا لا شأن للاختلاف الديني الطائفي فيها؛ بل إن السوريين - ربما شأن معظم إخوانهم العرب - أثبتوا أنهم غير طائفيين، فعلى الرغم من الحرب الطائفية الدائرة في العراق، والتحالف الخفي بين الحكومة الشيعية وميليشيات «جيش المهدي» و«قوات بدر» مقابل «تنظيم القاعدة» والذين يتم على أيديهم الترحيل المنظم والمجازر الفظيعة ضد إخوانهم السنّة العراقيين، إلا أنهم كانوا أعلى من الأحقاد الطائفية وتحمسوا لنصرة حزب الله في معركته مع الإسرائيليين كل الحماس.

انتهت الحرب ووضعت أوزارها منذ ١١ آب/ أغسطس ٢٠٠٦ (تاريخ قرار مجلس الأمن ١٧٠١)، وخلال الحرب بقدر ما لقي حزب الله حماساً لـ «بطولاته» الميدانية المشرفة، لقي نقداً حاداً لجره المنطقة إلى حرب غير محسوبة العواقب. خسر حزب الله المعركة حسابياً (بعدد القتلى الذي تجاوز الألفين، وبتدمير هائل للبنى التحتية)، لكنه ربح معنوياً، وقليلة هي المرات التي ينفصل فيها الربح المعنوي على الربح الحسابي (شأن حرب تشرين ١٩٧٣). وما إن خرج الحزب من معركته مع الإسرائيليين، حتى راح

يحصد انتصاره تبشيراً شيعياً، وفي الوقت نفسه ذهب ليعمل بجد لرأب الصدع الذي نال صورته جراء انتقاد النخب السياسية والثقافية العربية، والتي وصل صداها بشكل أو آخر إلى «إخوانه» من أبناء الشعب السوري الصديق؛ فبعد أقل من أسبوعين، جابت قيادات حزب الله المدن السورية وأريافها؛ لتتحدث عن الانتصار الذي حققته المقاومة المؤمنة (بآل البيت) في «أشرف مواجهة ومعركة عرفها العصر الحديث، بل عرفها التاريخ»![٢٠٢]، «فهو أول انتصار عربي تاريخي في الصراع مع العدو الإسرائيلي، بالرغم من عدم تكافؤ القوى أساساً، وبالرغم من تخلي غالبية الأشقاء العرب وغالبية الأخوة المسلمين والعالم كله (...) معجزة الانتصار التي أذهلت العالم وأذلت الصهاينة»[٢٠٣].

في دمشق وحلب وحمص ودرعا ومنطقة الجزيرة وربما معظم المدن والأرياف السورية بدأ النقاش حول حزب الله، وبدأ تأثير الحرب الطائفية في العراق بالظهور، إذ نبَّه منتقدو حزب الله إلى أن الحزب كان ولا يزال يصمت صمتاً مطبقاً حول ما يجري من مجازر ضد السنة[٢٠٤]، وذلك على الرغم من أنه لا يترك حادثة طائفية ضد شيعة العراق إلا ويصدر بياناً بالغ الشدة في انتقادها[٢٠٥]، فإذا لم يكن «حزب الله» طائفياً فما معنى ذلك غير الطائفية؟

(٢٠٢) من كلام حسن نصر الله المذاع على قناة «المنار» في ١٤ تموز/ يوليو ٢٠٠٦.

(٢٠٣) المصدر نفسه.

(٢٠٤) تنبه الحزب إلى ذلك مع بداية ظهور الانشقاق حول الموقف منه، فأصدر حزب الله لأول مرة في ١٧ جمادى الثانية ١٤٢٧هـ/ الموافق لـ ١٢ تموز ٢٠٠٦م نداء مهذباً ينتقد فيه العنف الدائر في العراق ويدعو لوحدة الصف، وذلك على شكل بيان صادر عن مكتب آية الله محمد حسين فضل الله الزعيم الروحي للحزب، يريد به تطويق الصدع ما أمكن في صورة حزب الله في العالم العربي والإسلامي.

(٢٠٥) يمكن للبيان التالي لحزب الله - والصادر في ١٨ تموز/ يوليو ٢٠٠٥؛ أي قبل عام على حربه - أن يعطي مثالاً نموذجياً لصيغ الإدانة التي يستعملها حزب الله في إدانة مرتكبي الجرائم، والتدقيق البسيط يكشف عن صيغة طائفية في بناء البيان.
فقد استنكر حزب الله بشدة المجزرة المروعة التي راح ضحيتها عشرات الشهداء والجرحى قرب مسجد المسيب، واعتبر - في بيانه - أن «هذا العمل الإجرامي الوحشي الذي ارتكبه متعطشون لسفك دماء الأبرياء ينم عن حقد دفين، أعمى بصائر أولئك القتلة الذين باتوا لا يتورعون عن قتل المدنيين حتى ولو كانوا في دور العبادة». وأضاف بيان حزب الله «إن هذه الجرائم من حلقات القتل الجماعي تستدعي أعلى درجات الإدانة والاستنكار من العالم كافة، وخصوصاً الدول العربية والإسلامية وعلماء المسلمين المدعوين للعمل على رص الصفوف ونبذ الفتنة»، واختتم بيان حزب الله بالتقدم بالعزاء لأهالي الشهداء والدعاء للجرحى أملاً بأن

وبدأ السؤال الذي يتعدى حزب الله ليصل إلى إيران يأخذ صداه في الشارع السوري: «لماذا تدعم إيران المقاومة في لبنان وفلسطين وتقف ضدها في العراق والعدو في الحالين واحد؟». وخلال شهر رمضان ١٤٢٧هـ (٢٤ أيلول/ سبتمبر - ٢٢ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٦م) كان الحديث الأكثر إشغالاً للناس هو حملات التشيع والأموال المتدفقة لتغذيتها، وبدأ الامتعاض من إيران وملاليها في العراق آخذاً بالانتشار والتصاعد.

استطاع منتقدو حزب الله أن يقللوا من مكانة حزب الله الرفيعة في عيون الجماهير، فالحماس له بدأ يأخذ بالفتور لدى شريحة واسعة جداً، بجوار حديث متصاعد ومتوتر عن حملات تشييع في سورية[٢٠٦]. وقد أثبتت التقارير أن أداء حزب الله استثمر بقوة في التبشير، وأنه أصبح العبور للخط الفاصل بين الطائفتين، ليس لـه علاقة بالدين بقدر ما يتعلق بدور حزب الله في حالة الاستقطاب السياسي في الشرق الأوسط بعد حرب تموز/ يوليو ٢٠٠٦[٢٠٧]، وصار ملالي الشيعة في السيدة زينب يتحدثون عن استقبال عشرات السنة السوريين الراغبين باعتناق التشيع[٢٠٨]، وهي في الغالب مبالغة دعائية لحزب الله الذي بدأت صورته بالتآكل مع تصدع الصف العربي والإسلامي خلفه.

يكون العراقيون في مستوى المرحلة في الحفاظ على وحدتهم الداخلية وأن لا يقعوا ضحية المخططات التي لا يستفيد منها إلا أعداء الأمة وفي مقدمتهم الاحتلال الأميركي».
انظر البيان على موقع «قناة المنار» على الرابط:
http://www.manartv.com.lb/Story.aspx?Language=ar&DSNO=635205

(٢٠٦) انظر: البني، أكرم (كاتب سوري)، لماذا انحسرت شعبية حزب الله؟، صحيفة «الغد»، ٢٥/ ٠١/ ٢٠٠٧.
يمكن قراءة المقال على الرابط: http://www.alghad.jo/?news=149251

(٢٠٧) انظر مثلاً تقرير: كنيكمير، إلِّين. السوريون السنة ينضمون إلى الشيعة، الواشنطن بوست، ٠٦/ ١٠/ ٢٠٠٦.
Knickmeyer, Ellen, Syrian Sunnis joining Shiites, The Washington Post, 6 October 2006.
وكذلك تقرير: التشييع في سورية، مجلة «فورين بوليسي»، الطبعة الإسبانية، كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٧.
Reigeluth, Stuart, & Al-Haj, Abdel Rahman, La ‘chiización’ de Siria, Foreign Policy, Edición Española 2007.
وانظر أيضاً تقرير: أبو رمان، محمد، التشييع في الأردن: ظاهرة يغذيها حزب الله، صحيفة «الغد» (الأردنية)، ٠٤/١٠/٢٠٠٦.

(٢٠٨) يقول مصطفى السادة (رجل دين ومبشر شيعي عراقي ناشط مقيم في السيدة زينب) إنه يعرف أن ٧٥ سنياً من دمشق اعتنقوا المذهب الشيعي منذ بداية المعارك في لبنان في منتصف شهر تموز/ يوليو، وقد صعدت الحرب ما وصفه بأنه اتجاه متزايد نحو اعتناق المذهب الشيعي في السنوات الأخيرة. وقال: «يمكننا الإحساس به،

في صبيحـة يوم السبت اليـوم الأول لعيد الأضحـى ١٤٢٧هـ الموافق لـ ٣٠ كانون الأول/ ديسـمبر ٢٠٠٦ أُعلن عن إعدام صدام حسين، وبثت قناة «العربية» مقاطع من عملية الإعدام. اسـتيقظ السـوريون يـوم العيد على وقع خـبر كان صدمة عامة حولت عيدهم إلى كآبة، والعابر في شوراع المدن السورية كان يشعر بمدى انتشار الوجوم الذي يكسـو وجوه الناس صبيحة ذلك اليوم. لقد كان الديكتاتور الدموي صدام حسـين قد تحول إلى رمز عربي لمقاومة الاحتلال الأمريكي، وشعر الناس أن إعدامه كان يستهدف إيذاء مشاعرهم، فالتضحية به قرباناً للاحتلال في يوم «فرحة المسلمين» كان يعني بدون أي لبس أن تكون هدية الاحتلال الأمريكي في العيد حزناً يقطر دماً. شـعر الناس أنهم كونهم مسـلمين سنة مستهدفون في ذلك، فالشيعة وملاليهم في إيران لم يدخلوا عيدهم بعد. ومع تكشـف معلومات ومقاطع أخـرى لحادثة الإعدام، ومعلومات عن حيثيات الإعدام والشـخصيات الشـيعية التي حضرت «حفلة» الإعدام، والشـعارات الشـيعية الطائفيـة التي أطلقت بعد إعدامه، والكلام الـذي قاله صدام وهو على منصَّة الإعدام، كل ذلك قلب المزاج العام ضد حزب الله، وضد الشـيعة وإيران دفعة واحدة[(٢٠٩)]، فقد فهم السوريون – ربما كغيرهم من العرب – غريزياً أن «إعدام صدام هو عقاب مذهبي لا عدالة وطنية»[(٢١٠)].

إلى هنـا أصبـح الحديـث عن التشـييع ينحو منحى آخـر؛ على الأقل لم يعـد بإمكان المبشريـن الاعتماد كثيراً عـلى الزهو بانتصارات حزب الله[(٢١١)]، وأصبح على المبشرين أن

لدينا اتصالات من دول أخرى، يطلبون منا فتح المجالس وإرسال رجال دين». انظر: Knickmeyer, Syrian Sunnis joining Shiites, Ibid.

(٢٠٩) انقلب المزاج العالم العربي كله، خصوصاً في الشرق الأوسط، انظر مثلاً:
رضوان، خليل، الأردن: إعدام صدام يقلب الرأي العام ضدّ حزب الله و حماس وإيران، صحيفة «المستقبل» (بيروت)، تاريخ ٨ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٧.

(٢١٠) البابا، حكم (كاتب سـوري)، إعدام صدام كعقاب مذهبـي لا كعدالة وطنية، صحيفة «القدس العربي» (لندن) تاريخ ٠٦/ ٠١/ ٢٠٠٧.

(٢١١) لقد أحس حزب الله ذاته بانكسـار صورته إثر إعدام صدام حسـين بطريقة وتوقيت مستفزَّين، فناشد أمينه العام الشـيخ حسـن نصر الله – في سياق الدفاع عن الشيعة وحزب الله وتأثر صورتهم في العالم العربي والإسلامي – العرب والمسـلمين إلى عدم الوقوع في فخ الفتنة الطائفية واعتبار أن السـنة أعداء للشـيعة أو الشـيعة أعداء

يتبعوا استراتيجية ما قبل ٢٠٠٠ في التبشير بالإضافة إلى الموارد المالية والتغطية الأمنية الاستثنائية المتاحة لهم.

معركة الحوزات

ما بين عام ٢٠٠١ وحتى عام ٢٠٠٦ أنشئ في قرية السيدة زينب أكثر من اثنتي عشرة «حوزة شيعية» وثلاث كليات للتعليم الديني الشيعي[٢١٢]، أي أنه خلال ست سنوات

للسنة، فالعدو واحد، وهو الاحتلال الأمريكي الذي يجب محاربته بخيار المقاومة المسلحة، على حد قوله. وقال نصر الله إن حكومة المالكي تتحمل وحدها مسؤولية إعدام صدام حسين، وأن على العرب والمسلمين أن «لا يحملوا كل شيعة العراق ولا كل شيعة العالم هذه المسؤولية.. فلنتفق على مبدأ ونقول: إذا أخطأت أنا، [يعني] أنا أخطأت [فقط]، وليس كل شيعة العالم». وطالب حكومة المالكي بكشف الدور الأمريكي في عملية إعدام صدام، باعتبار أن هناك أسئلة كثيرة تطرح في قرار الإعدام وفي تفاصيل الإعدام «.. الرئيس العراقي السابق كان في قبضة الأمريكيين، لماذا تم تسليمه إلى الحكومة العراقية قبل العيد بيوم أو يومين؟ وماذا قيل لهم؟ و كيف تم التصوير؟ ومن الذين أطلقوا الشعارات؟ هل هم من أنفسهم فعلوا ذلك؟ أو أن هناك من دفعهم لذلك؟ من صور؟ من الذي سرب التصوير؟ والكل يعرف أن هذه الأخطاء سيتم استغلالها لإحداث إثارة ضخمة على مستوى العالمين العربي والإسلامي».
انظر: حديث الشيخ حسن نصر الله لـ«قناة المنار»، مساء الجمعة ١٩/ ٠١/ ٢٠٠٧.

(٢١٢) والحوزات هي: «حوزة الإمام علي» أو «الحوزة الحيدرية»، يشرف عليها السيد فضل الله، و«حوزة الإمام جواد التبريزي» (٢٠٠٣) بإشراف الشيخ عباس النَّزاع، و«حوزة الإمام الصادق»، و«حوزة الرسول الأعظم»، و«حوزة الإمام المجتبى» مؤسسها هندي الجنسية، و«حوزة الإمام الحسين»، و«حوزة الإمام زين العابدين»، و«حوزة قمر بني هاشم»، و«حوزة إمام الزمان التعليمية»، و«حوزة الشهيدين الصديقين»، و«حوزة الإمام المهدي العلمية للدراسات الإسلامية» (٢٠٠٢)، تعود رخصتها إلى علي باقر تصور وهو هندي الجنسية، مواليد ١٩٧١، و«حوزة فقه الأئمة الأطهار» (٢٠٠٦) بإشراف المرجع الديني محمد الفاضل اللنكراني، وهناك حوزة أسسها الشيخ السعودي حسن الصفار عام ٢٠٠٥. وهناك حديث عن حوزة أقيمت في مدينة اللاذقية باسم «حوزة الرسول الأعظم» في حي الأزهري، يديرها الشيخ أيمن زيتون - عراقي، ويشير عدد من التقارير (غير صحفية) إلى وجود حوزة شيعية في «تل أبيض» يديرها متشيع من أبناء المدينة، لكن لا يوجد ما يؤكد ذلك من مصادر مستقلة.
وفرع دمشق لـ «الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية» الشيعية في لندن ومقره في مقام «السيدة رقية» في حي العمارة الجوانية بدمشق، ويرأسه الشيخ نبيل حلباوي، وفرع معهد الدراسات الإسلامية التابع لشمس الدين باسم «كلية الدراسات الإسلامية» في مدينة إدلب، يديره متشيع من ريف حلب هو الشيخ خليل الشاوي، و«كلية الدعوة والاجتهاد» في مدينة الثورة (الطبقة) ويشرف عليه متشيع من مدينة الرقة هو الدكتور علي الشعيبي.

فقط تم إنشاء ثلاثة أضعاف ما أنشئ خلال ربع قرن! وحصلت أول جامعة إسلامية شيعية متخصصة بالعلوم الدينية على ترخيص أمني (وليس ترخيصاً قانونياً) للعمل داخل الجمهورية العربية السورية في ٢٠٠٣م[٢١٣].

وبما أن التعليم الديني في سورية يخضع لإدارة قسم التعليم الديني في وزارة الأوقاف، فإن الحوزات التي انتشرت كالفطر في السيدة زينب قررت أن تخرج عن رقابة الأوقاف، وأسست ما أسمته «مديرية الحوزات العلمية»، وحصلت على موافقة الأمن السياسي التابع لوزارة الداخلية، وباشرت عملها في ٢٠٠٥، وأرسلت أول كتاب لها إلى إدارة الهجرة والجوازات في ١٦ آب/ أغسطس ٢٠٠٥ للموافقة على «اعتماد خاتم مديريتها كونها الجهة الوحيدة المخولة بمخاطبة إدارة الهجرة والجوازات»[٢١٤] وذلك على خلاف كل مؤسسات التعليم الديني الخاصة، التي تجعل وزارة الأوقاف هي الجهة الوحيدة المعتمدة لمخاطبة «إدارة الهجرة والجوازات»، وهذا أحد المؤشرات المهمة للتسهيلات غير الاعتيادية التي أصبحت تحظى بها مؤسسات ملالي الشيعة في عهد الأسد الجديد.

وفي الوقت الذي بدأت فيه الحوزات العلمية تتكاثر ونشاطها التبشيري يزداد في مقابل التضييق المستمر على التعليم الديني في المعاهد الشرعية الأهلية (السنية) ومع

---

(٢١٣) أسهمت مؤسسة «هيئة خدمة أهل البيت» في تحفيز مدير الجامعة لفتح فرع لها في دمشق، في زيارة للدكتور علاء الدين القبانجي مدير الجامعة في ٥ آذار/ مارس ٢٠٠٣م لمقرها في السيدة زينب، حيث «دار الحديث بينه وبين أعضاء الهيئة حول سبل تطوير وتحديث طرق نشر المذهب الإسلامي، على سبيل المثال أن تُعقد المؤتمرات والندوات في القاعات الكبيرة المخصصة لذلك مثل قاعة جامعة دمشق للمؤتمرات».
انظر: موقع هيئة خدمة أهل البيت، على الرابط: www.khadama.net

(٢١٤) من نص خطاب إدارة الهجرة والجوازات إلى وزارة الأوقاف، الذي وقعه مدير إدارة الهجرة والجوازات العميد مظهر أحمد، برقم ٦٢٥٤/ أ في ١٩/ ٠٦/ ٢٠٠٦ (وثيقة رسمية). وتاريخ الوثيقة يوضح أن الكتاب جاء بعد قرابة سنة من تاريخ طلب «مديرية الحوزة العلمية» واعتماد خاتمها، والواقع أن موافقة إدارة الهجرة والجوازات جعلت الحوزات تستغني عن مراجعة وزارة الأوقاف مادام خاتمها قد اعتمد لديها، فما من فائدة للعودة إليها. ولكن إثارة موضوع تبعية الحوزات العلمية لوزارة الأوقاف وصدور قرار رسمي عن رئاسة الوزراء في ٢٦/ ٠٢/ ٢٠٠٦ (رقم ١٧٣٢/ ص) بضرورة إلحاق المعاهد الشرعية والحوزات العلمية القائمة بوزارة الأوقاف وأن «تجديد مدة الإقامة [بالنسبة لطلاب الحوزة يتم] بناءً على وثائق دوام مصدقة من وزارتي التعليم العالي والأوقاف» استفز المؤسسة الحوزوية وجعلها تستصدر هذا الكتاب عبر نفوذها الذي يبدو أنه أصبح ممتداً في جهاز الدولة.

ظهور تقرير التعليم في سورية عام ٢٠٠٥ لأول مرة، وجد علماء الدين السنّة ضرورة لمواجهة هذا التمييز، فمؤسسات التعليم الأهلية ومعاهدهم الشرعية تخضع لضبط ومراقبة وإشراف مباشر من قبل وزارة الأوقاف، وأداء أساتذتها وطلابها يخضع دوماً للمراقبة الأمنية الشديدة، وهم أهالي البلاد وهؤلاء مبشرون غرباء.

وعلى ما يبدو فإن وزارة الأوقاف - أضعف الوزارات وأكثرها خضوعاً للمراقبة الأمنية - قررت الصمود والسكوت أمام استفسارات واستنكارات تأتيها من علماء الدين ومواطنيهم. لم يدم الأمر طويلاً حتى برزت إشكالات إدارية تتعلق بالتعليم العالي، فتكاثر مؤسسات التعليم العالي الدينية السنية ذات الأنظمة التعليمية الحديثة وموضوع تعديل شهاداتها جعل هنالك ضرورة لتوضيح تبعيَّتها وخضوعها لقانون التعليم العالي، كونها الجهة المسؤولة عنه في البلاد، ومن غير المعقول أن تبقى الأمور بدون ضبط، مع وجود المؤسسات الحكومية المختصة. فقررت وزارة التعليم العالي إرسال كتاب إلى «مكتب التربية والتعليم» في القيادة القُطرية[(٢١٥)] تستفسر فيه عن «مؤسسات التعليم الديني الخاصة غير المرخصة» وتبعيتها والتعليم الجاري فيها.

جاء خطاب القيادة القُطرية بعد خمسة أشهر من تاريخ استفسارها وفي إطار العمل التقنيني لإصلاح المؤسسة التعليمية - التي انتهجتها وزارة التربية وأكد أهميتها الكبرى تقرير التعليم في سورية (٢٠٠٥) وحددها المرسوم التشريعي رقم (٣٦) عام ٢٠٠١ والمتعلق بتنظيم التعليم - ، ونص خطاب القيادة القُطرية[(٢١٦)] الصادر في دمشق ٢٦/ ٠٢/ ٢٠٠٦ على «١- تسوية أوضاع المؤسسات التعليمية الدينية الخاصة لمرحلة ما بعد الثانوية (القائمة حالياً) وإلحاقها بوزارة التعليم العالي وتشميلها بمرسوم تنظيم المؤسسات التعليمية الخاصة (...). ٢- إخضاع المؤسسات التعليمية الدينية التي قد تؤسس مستقبلاً لأحكام المرسوم / ٣٦/ لعام ٢٠٠١ [المتعلق بتنظيم المؤسسات

(٢١٥) الكتاب رقم ٢٥٨/ م. صادر تاريخ ٠٨/ ٠٩/ ٢٠٠٥.

(٢١٦) الوثيقة صادرة عن مكتب التربية والتعليم العالي في القيادة القُطرية ذات الرقم ١٧٣٢/ ص، والمؤرخة في ٢٦/ ٠٢/ ٢٠٠٦. وهي موقعة من الأمين القُطري المساعد الرفيق محمد سعيد بختيان ورئيس مكتب التربية والتعليم العالي الرفيق الدكتور ياسر حورية.

التعليمية الخاصة]. ٣. إلحاق المعاهد الشرعية والحوزات العلمية القائمة حالياً بوزارة الأوقاف ويطبق عليها نظام التعليم الخاص بحسب الأنظمة والقوانين المعمول بها في المدارس الخاصة».

بالتأكيد فإن هذه القواعد الآتية من أعلى سلطة إدارية للبلد بمنزلة الموجهة للقوانين والتعليمات واللوائح التنفيذية الخاصة بموضوعه، وبما أن مبدأ الحوزة هو مرجعية مؤسسها الذي جعلها مدرسة تابعة له وليس الأنظمة «الوضعية العلمانية» للتعليم فإن الحوزات ستنظر إلى الانصياع لهذه الأوامر بأنه مشكلة حقيقية لها، خصوصاً وأن هذا الخطاب ينص - فضلاً عن خضوعها لوزارة الأوقاف - على «وضع نظام موحد للمدارس الشرعية والمعاهد الخاصة في المناهج والمقررات الشرعية والكونية (علوم، رياضيات، لغة أجنبية، فيزياء) بما ينسجم مع تطور ودعم التوجه الوسطي (المعتدل) في الإسلام الذي تنتهجه هذه المعاهد والحوزات وذلك من خلال هيئة علمية تخصصية من وزارتي الأوقاف والتربية» أي أنه سينسف كل جهودهم التبشيرية، ويتحولون إلى حوزات مستنسخة تدرس تعليماً موحداً!

أضف إلى ذلك ما يتضمنه هذا الخطاب من شروط صارمة في تبعية الحوزات لوزارة الأوقاف والتربية وفي «تحديد أعداد الطلاب العرب والأجانب الذين يمكن استيعابهم سنوياً للدارسة»، و«التأكد من سلامة التوجُّه الديني للمقبولين من خلال لجنة مقابلة خاصة بالقبول»، و«اعتماد شروط محددة لقبول الطلاب في هذه المعاهد والحوزات كالسن ومستوى الثقافة والشهادة العلمية... إلخ»، وإضافة إلى ذلك كله فإن الخطاب يحصر في وزارة الأوقاف مسؤولية «تعيين المدرسين والإداريين والمديرين والموجهين التربويين بالتنسيق مع وزارة التربية». لكن الأمر الأكثر خطورة في ذلك بالنسبة للحوزات هو وضع المسؤولية على وزارة الأوقاف في «تأمين الموازنة السنوية وضبط تبرعات الجمعيات الخيرية والأفراد بالتنسيق مع وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل».

لاشك أن الخطاب الأمري للقيادة القُطرية كان جواباً مرضياً لمؤسسات التعليم العالي السنية (فرعي جامعة «الأزهر» و«أم درمان») التي تطالب أساساً بإلحاقها بوزارة التعليم العالي، ولكن لا شك أيضاً بأنه كان كارثياً بالنسبة للحوزات وعملها الذي

يعتمد على أصول تقليدية وتبرعات غير محدودة ولا واضحة ومصادر تمويل أجنبية (ومصادر التمويل الأجنبية هذه ممنوعة قانوناً، وتعتبر شبهة، وهي غير مسموح لها كلياً في المعاهد الدينية ومؤسسات التعليم الشرعي على الإطلاق). كان على الملالي أن يتحركوا من خلال علاقاتهم الأمنية برجال المخابرات (العلويين من «تيار عودة الفرع إلى أصله الشيعي»)[٢١٧] والساسة الإيرانيين (السفير الإيراني وملحقه الثقافي ضمناً) والجهات النافذة ذات الصلة بهم في وزارة التعليم العالي لتجنب الانصياع لهذه القواعد الآمرة.

ويبدو أنه أشير على الملالي بتجاهل الأوامر الصادرة إليهم؛ إذ من غير الممكن تغيير القانون أو التمييز فيه رسمياً، فهو سيضع النظام في موقف حرج أمام استحقاقات للمعاهد الشرعية والمؤسسات الخاصة ويخرجها عن الرقابة الأمنية والحكومية ويؤلِّب

(٢١٧) علاقة الملالي برجال الاستخبارات من خلال التيار الشيعي العلوي قديمة، إذ يذكر التلميذ الأفغاني للشيخ حسن الشيرازي الشيخ محمد علي العلوي أنه «في إحدى الأعوام اعتقلت الحكومة السوريّة ثلاثة أفراد من العلماء الطّلبة، أحدهم المرحوم السّيد موسى، فذهب بعض الأشخاص وأخبروا السّيّد [حسن الشيرازي] ومنهم الشّيخ عبّاس النّوري باعتقال هؤلاء الثلاثة؛ فقال السّيّد: أنا لا أعرف الجهة المسؤولة عن اعتقالهم ولكنني لن أذهب عند هذا الضابط أو ذاك! فاستفسروا من الطّلاّب والإخوة عن الجهة المسؤولة، فأنا شخصيّاً سمعت بالخبر من قبل الشّيخ عبّاس النّوري، وكان لديّ صديق من المخابرات السوريّة من الشّيعة فتحدّثت معه بقصة المعتقلين الثلاثة من الطلبة، فأخبرني فوراً باسم الضابط المسؤول الكبير وكان برتبة عميد، واسم اللواء المسؤول، إضافة إلى اسم وزير الداخلية، وهؤلاء الثلاثة لهم ارتباط وثيق بقضية الاعتقال، وزوّدني بالعناوين؛ فأخذت الأسماء والعناوين والتقيت مباشرةً بالشّهيد [السيد حسن الشيرازي] حيث قدّمتها له، فذهب فوراً إلى اللّواء المذكور والتقى به، وبعد ساعات أفرج عن سراح العلماء الثّلاثة من الطّلبة». انظر هذه الرواية في موقع الشيرازي على الرابط:

http//:www.alshirazi.net/leqaat/leghaat/legha/shahid.008/htm

وبالتأكيد فإن العلاقة بقيت مستمرة وما طرأ عليها من تغيير، وإنما بسبب التغيرات التي طرأت في عهد الأسد الابن مع الملالي ارتفع مستوى العلاقة إلى حدود الدعم الأمني المباشر وقمع المعارضين، فيذكر أحد الشيعة – أو المتشيعين – الرواية التالية: «خلال وجودي في مدينة حلب مع حملة من زوار الحسين عليهم السلام وخلال الصلاة في أحد مساجد حلب الكبيرة تعرضت زائرة معنا في الحملة للاعتداء من قبل شيخ سني لأنها تصلي على التربة الحسينية وقام برمي التربة في المهملات فذهبت أنا برفقة أخ سوري شيعي من مدينة نبل قرب حلب واشتكينا الى المخابرات في المدينة فقاموا باعتقال ذلك الشيخ!! بينما في أي دولة عربية النواصب كل يوم يعتدوا علينا وعلى حقوقنا وليس هناك من رادع لهم». انظر الرواية في منتديات «ياحسين» على الرابط:

http://www.yahosein.com/vb/showthread.php?t=48268

عليه البحر الديني السني، وهو أمر له خطورته، ولا يمكن لوزارة التعليم العالي أن تستثني أحداً لأسباب تناقض وظيفتها ومقصد تأسيسها. لم يكن في يد الملالي سوى التجاهل، والدفاع عن النفس بما يمكن من القرارات الحكومية التي استصدروها سابقاً، ومنها القرار الصادر عن إدارة الهجرة والجوازات باعتماد ختم مديرية الحوزات بشأن وثائق إقامة الطلاب.

غير أن الوزارات المعنية بدأت بتنفيذ القرار الصادر عن «مكتب التربية والتعليم العالي»، لكنها لا تملك أي وثيقة عن الحوزات المرخصة وغير المرخصة، بل إنها لا تحتفظ سوى بوثيقة واحدة مؤرخة بـ ٢ حزيران/ يونيو ١٩٨٨ صادرة عن نائب الرئيس لشؤون التربية والتعليم الدكتور زهير مشارقة[٢١٨] تشير إلى حوزتين فقط (لم يكن غيرهما آنذاك)، هما: حوزة الإمام الشيرازي (الزينبية)، وحوزة الإمام الخميني، فحاولت الحصول على أسماء الحوزات المرخص بها من دائرة الهجرة والجوازات، فأرسلت كتاباً رقم ١٤٥٠/ ٤/ ١٤ تاريخ ٠٧/ ٠٤/ ٢٠٠٥ إلى إدارة الهجرة والجوازات تطلب فيه موافاتها بأسماء الحوزات الدينية المرخصة بحجة «تصديق وثائقها». لكن جواب إدارة الهجرة والجوازات في ٢٥ نيسان/ أبريل ٢٠٠٥ كان أعجب فهي تقر بأنها لا تملك أي وثيقة أيضاً تتعلق بذلك، سوى وثيقة نائب الرئيس المؤرخة في (٢ حزيران/ يونيو ١٩٨٨)! إذاً كيف يقيم الطلاب ويحصلون على إقامة في سورية؟ لابد أنها طرق أخرى لا علاقة لها بالدراسة، وهو أمر إن صح – وهو صحيح بالتأكيد – يشير إلى حجم الاختراق القانوني الذي تمارسه هذه الحوزات وخطورته الأمنية المحتملة.

حاولت الوزارة معرفة أسماء الحوزات في السيدة زينب بطرق غير رسمية، واستطاعت تحصيل أسماء ست عشرة حوزة شيعية[٢١٩] فأرسلت إليها خطاباً –

---

(٢١٨) الوثيقة صادرة عن إدارة الهجرة والجوازات في دمشق تحت الرقم ١٠٦٠٤/ أ، في دمشق بتاريخ ٢٥ نيسان/ أبريل ٢٠٠٥، وموقعة من العميد محمود حسين الخطاب مدير إدارة الهجرة والجوازات.

(٢١٩) وهي حوزة أهل البيت، الحوزة الزينبية (الإمام الشيرازي)، حوزة الإمام الخميني، حوزة المرتضى، حوزة الإمام السيستاني، حوزة القائم، حوزة الإمام علي، حوزة الإمام جواد التبريزي، حوزة الإمام الصادق، حوزة الرسول الأعظم، حوزة الإمام المجتبى، حوزة الإمام الحسين، حوزة الإمام زين العابدين، حوزة قمر بني هاشم، حوزة إمام الزمان التعليمية، حوزة الشهيدين الصديقين.

«جميعها في السيدة زينب» (كما في نص الكتاب) - يدعوهم إلى الحضور للاجتماع «مع مديرية التعليم الشرعي في الوزارة في شؤون الحوزات من النواحي المختلفة، العلمية والإدارية»[٢٢٠] مصطحبين معهم وثائق «ترخيص الحوزة» و«المنهاج المقرر» و«جدول عن الجهاز الإداري» و«جدول عن الجهاز التدريسي للحوزة» و«جدول عن أسماء الطلاب وأعدادهم وجنسياتهم»، وكان على الحوزات «الأجنبية» أن تنصاع للقرار بحكم القانون.

لكن الحوزات قررت متابعة سياسة التجاهل، وممارسة الانتظار لما يؤول إليه الأمر، ويبدو أنهم استندوا إلى بعض الوعود من مسؤولين رفيعي المستوى تتعلق بمساعدتهم وحمايتهم، ففي اليوم المقرر للاجتماع لم يمتثل أحد من ممثلي الحوزات لطلب الوزارة، وبقيت غرفة الاجتماع شاغرة. والتعليق الذي دار بين نائب مدير التعليم الشرعي، ومديره (أسامة الخاني) يشير إلى مدى حذر الوزارة في التعامل مع الحوزات وعدم قدرتها على إجراء القانون بحقها، ففي ٠١/٠٦/٢٠٠٦ رفع نائب المدير كتاباً بخط اليد يعلم مديره بـ «رفض مديري الحوزات الحضور رغم تبليغهم»! ليعلق المدير - بخط يده - تعليقاً دالاً للغاية على ضعف وزارة الأوقاف أمام نفوذ الملالي في الدولة، بالقول: «إذن علينا أن نقوم بالعمل مع الذين يستجيبون من المعاهد والحوزات ولمتابعة الجهود»![٢٢١].

ملالي خارجون عن القانون

لم يتوقف الأمر ههنا فعلى الوزارة أن تنفذ القرار، وعليها أن توضح لِـمَ لمْ تستطع تنفيذه، فهي مسؤولة رسمياً أمام القيادة القُطرية مسؤولية كاملة، اضطرت مديرية التعليم العالي

(٢٢٠) من نص الوثيقة رقم ٣٩، الموقعة من وزير الأوقاف زياد الدين الأيوبي في ٢٤ ربيع الآخر ١٤٢٧هـ الموافق لـ ٢٢/٠٥/٢٠٠٦ والمعنونة بـ «تعميم إلى السادة مديري الحوزات في القطر العربي السوري».

(٢٢١) كل من كتاب الإخطار وجوابه في وثيقة واحدة بخط اليد وغير مرقمة، نحتفظ بنسخة منها.

لوضـع خلاصة عما جرى بشـأن تنفيذ القـرار الصادر عن القيـادة القُطرية[٢٢٢] تتضمن

(٢٢٢) ونص الوثيقة غاية في الأهمية، والنسخة التي بين أيدينا غير مؤرخة أو مرقمة، وهو:
«الحوزات الدينية

أولاً: تضمن كتاب القيادة القُطرية رقم ١٧٣٢/ ص تاريخ ٢٦/ ٢/ ٢٠٠٦ فيما يخص الحوزات:
إلحاقها بوزارة الأوقاف.
تطبيق نظام التعليم الخاص عليها.
مسـؤولية وزارة الأوقـاف فـي وضـع نظام موحد فـي المناهـج، والمقررات الشـرعية الكونية بما ينسـجم مع الإسلام المعتدل الذي يجب أن تنتهجه الحوزات.
وهـذا ما تؤكده المادة ٤٤ من المرسـوم التشـريعي رقـم/ ٥٥/ تاريخ ٠٢/ ٠٩/ ٢٠٠٤ (الناظم للمؤسسـات التعليميـة الخاصـة للتعليم مـا قبل الجامعـي)، وتتضمن إغلاق أي مؤسسـة خاصة تروج للشـقاق الوطني أو الطائفي، أو تكرار المخالفات بعدم الالتزام بالتعليمات الوزارية.
وهنـا لا بـد من الإشـارة إلى وجوب عدم احتواء مناهـج هذه الحوزات على أي سـبٍّ للصحابة مما يؤدي إلى الشقاق الوطني ولا يتناسب مع أخلاق أهل البيت عليهم السلام.
مسؤولية وزارة الأوقاف عن تحديد أعداد الطلاب العرب والأجانب.
مسـؤوليتها عن اعتماد شـروط محددة لقبول الطلاب في هذه المعاهد والحوزات كالسـن والشهادة، علماً أن هذه الشروط غير متوفرة.

ثانياً: التواصل مع الحوزات
طلبـت وزارة الأوقـاف أكثـر مـن مرة بعـض المعلومـات الخاصة بالحـوزات: اسـم الحوزة، واسـم مديرها، وجنسـيته، ترخيص الحوزة، مرجعيتها، عدد سـنوات الدراسـة، المناهج المقررة، النظـام الداخلي لها... ولم تتـم الإجابـة إلا من القليل منهم، وإجابة هؤلاء كانت غير كافية وغير مقنعة. وعلى سـبيل المثال أجابت حوزة الإمـام المهـدي ولكن ليس فيها إلا الموافقة الأمنية، علماً أن الموافقة الأمنية لا تكفي لاعتبار الحوزة مرخصة دون الرجوع إلى وزارة التربية ووزارة الأوقاف.
ولا يوجد أي تنسيق مع وزارة الأوقاف، علماً أن الوزارة تصدق على شهاداتهم.
وقد حاولت الوزارة التواصل معهم لمعرفة أوضاعهم القانونية من خلال مراسلات وطلبات للاجتماع معهم، وكانـت الاسـتجابة ضعيفـة جداً حيث لم يصلنـا إلا معلومات قليلة وفـي آخر تعميم من أجـل إبلاغهم كتاب القيـادة القُطريـة لم يتم حضور أي مدير منهـم للاجتماع المنعقد بتاريـخ ٣١/ ٠٥/ ٢٠٠٦ بأمر وزير الأوقاف رقم ٣٩ تاريخ ٢٢/ ٠٥/ ٢٠٠٦.
علمـاً أنهـم عند تبليغهم قال لنا مدير الحوزات إنهم قد أسسـوا مديرية خاصة بهم تهتم بأمر الحوزات، وأنه لم يعد لوزارة الأوقاف علاقة بهم. وهذه التصرفات مخالفة لكتاب القيادة القُطرية والمرسـوم التشـريعي للتعليم الخاص.

ثالثاً: المؤسسون والمشرفون ومديرو الحوزات:

هـذه الخلاصة صفحتين خاصتين بـ «الحوزات الدينية» وسـلوكها الرافض للتعاون مع مديريـة التعليـم في وزارة الأوقاف، ومشـكلتها القانونية مع القـرار القُطري وغيره من القرارات والقوانين والمراسـيم التشريعية. ووفقاً لنص هذا التقرير الرسمي فـ «إنه عند تبليغهـم [أي الحوزات] قال لنا مدير الحوزات إنهم قد أسسـوا مديرية خاصة بهم تهتم بأمر الحوزات، وأنه لم يعد لوزارة الأوقاف علاقة بهم».

كشـف كتـاب مديريـة التعليم هذا عـن الوضع القانـوني للحـوزات، فهي تخالف مواد قانونية ومراسـيم تشريعية، فمن جهة هي تخالف المادة ٤٤ من المرسـوم التشريعي رقـم / ٥٥/ تاريخ ٠٢/ ٠٩/ ٢٠٠٤ (الناظم للمؤسسـات التعليميـة الخاصة للتعليم مـا قبل الجامعـي)، والتي تتضمن «إغلاق أي مؤسسـة خاصة تروج للشـقاق الوطني أو الطائفـي، أو تكـرار المخالفات بعدم الالتزام بالتعليـمات الوزارية». ومن المعلوم أن الفكر الشيعي يستند برمته إلى الانتقاص من الخلفاء الراشدين والصحابة الذين لم يقفوا في صف علي بن أبي طالب ولابد من «وجوب عدم احتواء مناهج هذه الحوزات من أي سبٍّ للصحابة مما يؤدي إلى الشقاق الوطني»[٢٢٣].

كـما أن «أغلـب المؤسسـين للحـوزات ومديريهـا هـم من غـير السـوريين (هنود، باكسـتانيين، إيرانيـين، أفغـان) وهـذا مخالـف للـمادة / ٨/ مـن المرسـوم ٥٥ تاريـخ ٠٢/ ٠٩/ ٢٠٠٤ الناظـم للتعليم الخاص التي تشـترط أن يكون المدير سـورياً إذا كان شـخصاً طبيعياً، وأما المؤسـس الاعتباري فإن لم يكن سـورياً فيجب أن يكون له نائب سوري، وأن يكون المدير سورياً كذلك (في الحالتين)»[٢٢٤].

وإذا أضيـف إلى ذلـك مصـادر التمويل الخارجية وعـدم خضوعها لقانـون وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل والرقابة الأمنية، ونشاطات طلابها التبشيرية غير المسموحة

أغلب المؤسسـين للحوزات ومديريها هم من غير السـوريين (هنود، باكستانيين، إيرانيين، أفغانستانيين) وهذا مخالـف للمادة / ٨/ من المرسـوم ٥٥ تاريخ ٠٢/ ٠٩/ ٢٠٠٤ الناظم للتعليم الخاص التي تشـترط أن يكون المدير سـورياً إذا كان شـخصاً طبيعياً، وأما المؤسـس الاعتباري فإن لم يكن سـورياً فيجب أن يكون له نائب سوري، وأن يكون المدير سورياً كذلك (في الحالتين)».

(٢٢٣) المصدر نفسه.

(٢٢٤) المصدر نفسه.

قانوناً، لأنها ممارسات خارج الدراسة، فإن ذلك يعني أن وضع المؤسسات الحوزوية هش للغاية، وبالتأكيد - واستطراداً - الكثير مما ينطبق على الحوزات ينطبق على الحسينيات بطبيعة الحال، وينطبق على المؤسسات الاجتماعية والثقافية (مثل: النجمة المحمدية، وهيئة خدمة أهل البيت) خصوصاً في مصادر التمويل والجهاز الإداري، وموضوع الشقاق الوطني وإثارة النعرات الطائفية.

تبرئة لذمتها أمام كتاب القيادة القُطرية الآمر بأن «تكون الوزارة [وزارة الأوقاف] مسؤولة عن:

١- وضع نظام موحد للمدارس الشرعية والمعاهد الخاصة في المناهج والمقررات الشرعية والكونية (علوم - رياضيات - لغة أجنبية - فيزياء) بما ينسجم مع تطور ودعم التوجه الوسطي (المعتدل) في الإسلام الذي تنتهجه هذه المعاهد والحوزات وذلك من خلال هيئة علمية تخصصية من وزارتي الأوقاف والتربية.

٢- تحديد أعداد الطلاب العرب والأجانب الذين يمكن استيعابهم سنوياً للدراسة والتأكد من سلامة التوجُّه الديني للمقبولين من خلال لجنة مقابلة خاصة بالقبول.

٣- اعتماد شروط محددة لقبول الطلاب في هذه المعاهد والحوزات كالسن ومستوى الثقافة والشهادة العلمية... إلخ.

٤- تعيين المدرسين والإداريين والمديرين والموجهين التربويين بالتنسيق مع وزارة التربية (بعد أخذ موافقة الجهات المختصة)».

فإن مديرية التعليم الديني في الوزارة شكلت لجنة صغيرة لتقديم مقترح لوضع نظام موحد للحوزات العلمية، وتقدمت اللجنة فعلاً بمقترحات[٢٢٥] تنم عن مجرد

---

(٢٢٥) نص الوثيقة:

«الحوزات العلمية في جوار مقام السيدة زينب (ع)

تعتبر الحوزات العلمية في جوار مقام السيدة زينب (ع) بمثابة المرادف الموضوعي لما يسمى بالمعاهد الشرعية أو كليات الشريعة الإسلامية، لا تكاد تختلف عنها في المنهاج والأهداف ليتخرج منها الطالب فقيهاً أو عالماً أو داعية أو إمام مسجد بحسب المرحلة العلمية التي توفر على دراستها، وهي تنقسم إلى مراحل ثلاث:

الأولى: ويصطلح على تسميتها بالمقدمات، يدرس الطالب خلالها مبادئ اللغة والبلاغة والمنطق وفتاوى الفقه وأصول العقيدة الإسلامية والأخلاق.

الرغبة بتخلية المسؤولية لا أكثر ولا أقل، فالدراسة تفتقر لمعرفة دقيقة بالحوزات

الثانية: ويصطلح على تسميتها بمرحلة السطوح، يدرس الطالب خلالها النحو والمنطق وأصول الفقه وعلم الكلام والفلسفة وعلوم التفسير والحديث والتاريخ.

الثالثة: ويصطلح على تسميتها بمرحلة الدراسات العليا، وبحث الخارج يتعمق الطالب خلالها بدراسة الفقه وأصول الفقه والاستنباط.

(...)

وقد اشتهرت بأسماء نذكر منها:

الحوزة الزينبية: وقد تأسست بإشراف المغفور له السيد حسن الشيرازي منذ عام ١٩٧٤، وعدد طلابها مائة وخمسون طالباً.

حوزة الإمام الخميني: بإشراف مكتب السيد علي الخامنئي، وعدد طلابها مائتا طالب، وقد تأسست منذ عام ١٩٨١.

حوزة المرتضى: وقد تأسست بإشراف المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله منذ عام ١٩٩٥، وعدد طلابها سبعون طالباً.

حوزة الإمام السيستاني: وقد تأسست بإشراف سماحة العلامة الشيخ حليم البهبهاني منذ عام ١٩٩٦ وعدد طلابها سبعون طالباً.

حوزة الإمام القائم: وقد تأسست بإشراف سماحة العلامة محمد تقي المدرسي منذ عام ١٩٩٦، ووعدد طلابها خمسون طالباً.

حوزة أهل البيت: وقد تأسست بإشراف سماحة العلامة السيد محمد الموسوي منذ عام ١٩٩٦، وعدد طلابها ستون طالباً.

حوزة الإمام علي: وقد تأسست بإشراف سماحة العلامة السيد عبد المنعم الحكيم منذ عام ٢٠٠١ وعدد طلابها أربعون طالباً.

حوزة الإمام جواد التبريزي: وقد تأسست بإشراف سماحة العلامة عباس النزاع منذ عام ٢٠٠٣، وعدد طلابها ستون طالباً.

وثمة حوزات صغيرة قام بتأسيسها عدد من الأساتذة بمبادرات شخصية؛ كحوزة الإمام الصادق، وحوزة الرسول الأعظم، وحوزة المجتبى، وحوزة الإمام الحسين، وحوزة الإمام زين العابدين، وحوزة قمر بني هاشم. غير أن الحوزات الرسمية المؤيدة من قبل المرجعيات العليا للطائفة تكاد تنحصر في الحوزات الثمانية والتي تحظى برعاية مباشرة من مراجع التقليد، وهم:

الإمام السيد علي الخامنئي.

الإمام السيد علي السيستاني.

الإمام السيد محمد سعيد الحكيم.

الإمام السيد محمد حسين فضل الله.

الإمام ميرزا جواد التبريزي.

المرجع الديني السيد كاظم الحائري.

المرجع الديني السيد محمد تقي المدرسي.

العلميـة، وإلى المعرفة الوافية بالمرجعيات التي تشرف عليها أو تتبع لها، فالحوزة الزينبية – على سـبيل المثال – تتبع المراجع الشـيرازية، وهي الآن في عهدة المرجع الديني صادق الحسـيني الشيرازي (شقيق مؤسسها حسن الشـيرازي)، وحوزة «فقه الأئمة الأطهار» تعـود للمرجـع الديني محمد الفاضل اللنكراني، وبما أن الوزارة لا تمتلك وثائق رسـمية عن عدد الحوزات وطلابها فإن معلوماتها يدخلها التخمين والتقدير.

وعـلى أية حال فإن اقتراح المديرية على صغره يتضمن قضايا حساسـة، أهمها إجبار الحوزات على الفقه المقارن، والعقائد المقارنة، واللغة الأجنبية، وأصول المناظرة، وضبط أعداد الطلاب ومصادر تزكيتهم، حيث تنحصر المسؤولية في جهات المرجعيات الدينية السـبع. غير أن هذا الاقتراح وضع في أدراج المديرية وأصبح أرشـيفاً، فقد وُجد أساساً لا ليُفَعَّل ويطبق، بل لتخلى به المسؤولية.

وتجـدر الملاحظـة إلـى أن معظـم طلاب تلـك الحـوزات هم مـن الجنسـيات العراقيـة والأفغانيـة والهندية والباكسـتانية واللبنانيـة والأفريقية مع أقليات لا تذكر من إندونوسـيا والمغرب واليمـن وإذربيجان وتركيا، هذا بالاضافة إلى مائتي طالب من الجمهورية العربية السورية.

مقترحات:

أولاً: تطوير مناهج التعليم الديني في الحوزات بإضافة العلوم التالية:

علم مقاصد الشريعة.

علم الدين المقارن.

الفقه المقارن.

أدب الحوار واللغة الأجنبية.

ثانياً: العمل الجاد على إيجاد صيغة قانونية للتوأمة بين الحوزات العلمية وكلية الشريعة.

ثالثاً: تأسيس لجنة علمية تشرف على امتحانات التخرج.

رابعاً: ضبط وتحديد سنوات الدراسة:

المرحلة الأولى: سنتان.

المرحلة الثانية: أربع سنوات.

المرحلة الثالثة: ثلاث سنوات.

خامسـاً: اشـتراط منح الإقامة للطلاب الأجانـب بالإضافة للشـروط المطلوبة أمنياً أن تتـم بموجب تزكية من إحدى إدارات الحوزات الثمانية المؤيدة من قبل المرجعية الدينية».

بيان علماء الشام

في إطار تطبيق قانون التعليم الأساسي الجديد[٢٢٦] وقبل أيام قليلة من رفض الحوزات العلمية الامتثال لدعوة وزارة الأوقاف الاجتماع أصدر وزير الأوقاف تعميماً يمنع فيه المعاهد الشرعية والثانويات الشرعية [الحكومية] والحوزات العلمية من قبول طلاب جدد في مرحلة التعليم الإعدادي[٢٢٧]؛ فقد أصبحت من التعليم الأساسي في القانون الجديد، والقانون يحظُر التعليم الديني في مرحلة التعليم الأساسي.

في ٦ تموز/ يوليو عام ٢٠٠٦ أصدر علماء الشام بياناً[٢٢٨] هو الأول من نوعه

(٢٢٦) قانون التربية القديم يقسم التعليم ما قبل الجامعي إلى أربعة مراحل: رياض الأطفال، والابتدائي، والإعدادي، والثانوي. والقانون الجديد يدمج المرحلة الإعدادية مع المرحلة الابتدائية تحت مسمى «مرحلة التعليم الأساسي» ويجعل التعليم الإعدادي مشمولاً بقانون التعليم الإلزامي.

(٢٢٧) وثيقة التعميم صادرة عن وزارة الأوقاف برقم /٤١/ بتاريخ ٢٧ ربيع الثاني ١٤٢٧هـ الموافق لـ ٢٠٠٦/٠٥/٢٥.

(٢٢٨) وقد وقع على بيان العلماء المذكور كبار علماء الشام ومنهم: السيد محمد الفاتح الكتاني، الحافظ الشيخ محيي الدين الكردي، الشيخ محمد كريم راجح (شيخ قراء بلاد الشام)، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، الدكتور وهبة الزحيلي، الشيخ عبد الرزاق الحلبي، الدكتور محمد محمد الخطيب (وزير الأوقاف الأسبق)، الدكتور محمد عجاج الخطيب، الدكتور مازن المبارك، الشيخ صادق حبنكة، الشيخ محمد ديب الكلاس (الشهير بالشيخ أديب)، الشيخ أسامة عبد الكريم الرفاعي، الشيخ سارية عبد الكريم الرفاعي، الشيخ صلاح الدين أحمد كفتارو، الدكتور محمد راتب النابلسي.
وللملاحظة فإنه لم يظهر في نسخة البيان الأولى من أسماء الموقعين سوى عدد قليل من أسماء كبار شيوخ وعلماء الدين الدمشقيين، ثم أضيفت إليهم كثير من الأسماء لاحقاً، كما أن شيوخ المدن الأخرى الذين وقعوا على البيان لم تظهر أسماؤهم حتى في النسخ المنشورة على مواقع الإنترنت، وما ورد أعلاه من أسماء هي الأسماء التي ظهرت عى الإنترنت بعد إعلان البيان متضمنة أسماء الموقعين الأساسيين على نسخة البيان الأولى، وجميعهم تقريباً دمشقيون، ولكن البيان كان قد وُقع من كبار الشيوخ في مختلف المحافظات السورية.

منذ خمسة وثلاثين عاماً[٢٢٩] موجَّهاً إلى رئيس الجمهورية بشكل خاص ومباشر[٢٣٠]، يطلبون فيه إيقاف قرار إلغاء التعليم الشرعي في المرحلة الإعدادية، لكن الشيء الأهم في البيان هو أن العلماء لم يستطيعوا إخفاء حنقهم من المد الشيعي، وترك الحوزات على غاربها، دون أن تنصاع لقرار وزارة الأوقاف ولا حتى القيادة القُطرية ولا المراسيم التشريعية، في الوقت الذي تلتزم كل المعاهد الدينية السنية والثانويات الشرعية الحكومية بالقوانين والتعليمات وبشكل صارم، فلم الاستثناء والحوزات أساساً للأجانب وليس للمواطنين السوريين؟ فـ«الحوزات الشيعية ماضية في تجاهل هذا التعميم، مصرة على عدم الاستجابة لـه»[٢٣١] وبالتأكيد فإن أصحاب البيان كانوا على علم دقيق بتجاهل الحوزات لكل القوانين والمطالب والقرارات الحكومية الرسمية، خصوصاً وأن من بين الموقعين على البيان مدير التعليم الشرعي في وزارة الأوقاف نفسه، وكان هذا التوقيع سبباً في إقالته من منصبه[٢٣٢].

---

(٢٢٩) أي منذ أن وقع علماء سورية عام ١٩٧٣ بياناً لرفض مسودة الدستور الذي طرحه حافظ أسد للاستفتاء، بسبب مواد تتعلق بدين الدولة ودين رئيس الدولة. انظر تفاصيل صدور البيان ودور الشيخ سعيد حوى في كتابته وتوقيعه من علماء سورية:
حوى، سعيد، هذه تجربتي وهذه شهادتي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٨٧، ص ص ١٠٤-١١٢.

(٢٣٠) تضمن نص «بيان من علماء الشام حول استهداف التعليم الديني في سورية» فقرة خاصة تشير إلى نشاط الحوزات التبشيري خارج القانون وهي «٤- إن الحوزات الشيعية ماضية في تجاهل هذا التعميم مصرة على عدم الاستجابة له ومدارس الشويفات تضيف إلى منهاج المرحلة الأساسية ما تشاؤه من الزيادات في الساعات والمقررات والمدارس التبشيرية الأجنبية ماضية في مناهجها الخاصة بها وأساليبها التربوية دون أي معارضة ولا إشكال».

(٢٣١) المصدر نفسه.

(٢٣٢) صدر قرار إقالته في ٩ تموز/ يوليو ٢٠٠٦ بعد أربعة أيام من تاريخ صدور البيان، انظر: أخبار الشرق، إقالة مدير التعليم الشرعي في سورية بسبب رفضه قرار وقف التسجيل في المعاهد الشرعية، ١٠ تموز/ يوليو ٢٠٠٦.
وحسب نفس المصدر فإن وكالة يونايتد برس انترناشونال نسبت إلى حركة العدالة والبناء أن إقالته تأتي في إطار «خطة تجفيف ينابيع المدارس الدينية في سورية من قبل النظام الحاكم»، وأن الخاني أقيل «لرفضه قبول قرار الوزير إيقاف التسجيل في المعاهد والثانويات الشرعية»، حيث عُيِّن محله لاحقاً فريد الخطيب. وقالت الحركة إن «هذا القرار يأتي مفاجئاً لعلماء الشام الذين وُعدوا من قبل النظام بحل مشكلة وقف التسجيل بالمعاهد الشرعية جذرياً وقريباً وذلك إثر رفع العلماء لعريضة الاحتجاج التي وقع عليها أكثر من ٢٠٠ من كبار علماء سورية» إلى الرئيس السوري بشار الأسد.

الملفت للانتباه أيضاً في بيان العلماء الربط غير المباشر بين «الحوزات الشيعية» و«المدارس التبشيرية الأجنبية»، فهي – شأن الحوزات – «ماضية في مناهجها الخاصة بها وأساليبها التربوية دون أي معارضة ولا إشكال»[٢٣٣]. والبيان جاء في ذروة الحديث عن التشييع في سورية، وقد بلغت حساسية علماء الدين السنة ذروتها من المد الشيعي، ومن الطبيعي أن يجد ذلك فرصته في البيان للتنبيه العلني غير المباشر على هذا الموضوع، كما أن البيان يمثل أول وثيقة موجهة إلى الحكومة صادرة عن علماء الدين السوريين تذكر الشيعة وتنم عن حساسية تجاههم.

كسر جدار الصمت

الإحساس بالظاهرة يأتي من الاهتمام بها، وبما أن السلفيين هم العدو الطبيعي للشيعة، فقد كانوا أول من تابع هذه الظاهرة، فقد أصدر السلفي عبد الستار آل حسين في العام نفسه كتاباً بعنوان «تحذير البرية من نشاط الشيعة في سورية». أثار الكتاب اهتماماً محدوداً؛ فقد كان قد نشر إلكترونياً واقتصر تداوله على المواقع السلفية على الإنترنت، غير أن اللافت للانتباه هو تزامن تاريخ صدور هذا الكتاب مع الإعلان عن افتتاح مقام عمار بن ياسر عام ٢٠٠٤، ويبدو أن هذا الافتتاح كان بمنزلة رصاصة البدء في الالتفات إلى عملية التشييع والاهتمام بانتشارها في المنطقة الشرقية والجنوبية في سورية.

الاهتمام السلفي بالظاهرة من منطلق ديني ما لبث أن اقترن بالسياسي، ذلك أن السلطات السورية كانت قد بدأت حملات اعتقال في صفوف السلفيين منذ تشرين الثاني/ أكتوبر عام ٢٠٠١ في سياق حملة مكافحة الإرهاب الدولية[٢٣٤]، والبحث عن الخلايا النائمة لتنظيم القاعدة؛ إذ أبدى النظام تعاوناً استثنائياً مع المخابرات الأمريكية بعد أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر، إلى الدرجة التي أشاد فيها بوش بتعاون النظام السوري

انظر الخبر على الرابط: http://www.thisissyria.net/2006/07/10/syriatoday/01.html

(٢٣٣) من نص بيان العلماء.

(٢٣٤) اللجنة السورية لحقوق الإنسان، لندن.

مـرات عديدة[٢٣٥]، الأمر الذي جعل السـلفيين يربطون حملـة الاعتقالات المتواصلة في صفوفهم بالتزايد المستمر للانتشار الشيعي الآخذ بالتصاعد.

في مسـتهل ٢٠٠٥ قرع الملك الأردني عبد الله الثـاني جرس الإنذار من قيام «هلال شـيعي» يمتد من مقاطعة خراسـان في شرق إيران مروراً بالعراق وسورية ولبنان حتى حوض الأبيض المتوسـط[٢٣٦]، وتبعه في ذلك وزير الخارجية السـعودي الأمير سـعود الفيصـل. أثار الحديث السـياسي عن الهلال الشـيعي اهتمام المحللين السياسـيين، لكن الاهتمام بقضية التشـييع لم تكن بعد من متداولات التحليل السياسي، فقد كانت المسألة مسألة علاقات قوة ومحاور سياسية في نظر المحللين.

بدأ النقاش الصامت عن التبشـير الشـيعي في سـورية يخرج إلى العلـن عندما انتقد المحامي السـوري هيثم المالح (رئيس الجمعية السـورية لحقوق الإنسان) افتتاح العديد من الحوزات الشـيعية في سورية وإقامة النشـاطات وإجراء الاجتماعات بدون مساءلة، فضـلاً عن نشـاط العديد مـن الشـيعة الإيرانيين في البـلاد وتغاضي الحكومة السـورية عنهم، في حين يسـتمر الضغط على خطباء المسـاجد السـنة ويستدعون إلى أجهزة الأمن بشـكل متكرر. وكشـف المالح عـن التمييـز والازدواجية اللذين تمارسـهما السـلطات متسائلاً: «هل هذه الازدواجية في تعامل الأجهزة الأمنية مع الشرائح العديدة من التيار الإسلامي محض صدفة؟ أم وراء الأكمة ما وراءها؟ وهل نستطيع أن نستشف أن هناك اتفاقـاً ضمنياً بين الدولة الإيرانية والنظام في سـورية لوضع التسـهيلات أمام الوافدين مـن إيران بغية مد جسـور الثورة من هناك إلى المجتمع السـوري وتحويله من السـنة إلى التشيع على الطريقة الإيرانية؟»[٢٣٧].

وبـما أن الإخوان المسـلمين جماعة دينية وسياسـية في الوقت نفسـه، فقـد كانت لهم حساسـيتهم الخاصـة للجانـب الدينـي في قضية «الهلال الشـيعي»، فما أن بـدأ الحديث السـياسي عـن «الهلال الشـيعي» حتى أخذ يتردد على ألسـنة قياداتهم منـذ نهاية ٢٠٠٥

(٢٣٥) صحيفة «الحياة» بتاريخ ٠٥/ ٠١/ ٢٠٠٨

(٢٣٦) سورية.. جسر إيران إلى المتوسط، مجلة «المشاهد»، لندن، عدد ٥٣٧، ٢٠٠٦.

(٢٣٧) صحيفة «الرأي العام» الكويتية، ٠١/ ٠٥/ ٢٠٠٦.

الحديث عن حملات التشـييع في سـورية، لكنهم ما أعلنوا تحذيراتهم واستنكارهم حتى ما بعد منتصف عام ٢٠٠٦، وذلك بعد تصر يحات المالح وبعد أن نشرت مجلة «الوطن العـربي» تقريـراً صحفيـاً مثيراً عن «اسـتراتيجية نشر التشـيع في سـورية»[٢٣٨]، أكد بأن «حالات اعتناق المذهب الشـيعي شـهدت مؤخراً تزايداً بالآلاف (...) وسـط صمت رسـمي كامل، سادت قناعة في أوساط السوريين المطلعين بأن ثمة تشجيعاً رسمياً خفياً ومعلناً لهذه الظاهرة، ووصل البعض إلى حد وصفها بأنها سياسـة رسـمية للنظام مبنية على حسـابات مسـتقبلية»! وأن عملية التشـييع تأتي - حسـب التقرير - في سياق تقوية المحور الإيراني السوري.

تحدث معظم المعارضين السياسـيين السـوريين عن «حملات التشـييع في سـورية»، وأنها «تزيد الاحتقان الداخلي في سورية (...) حين تُنفق مبالغ طائلة للتشييع». وأكدوا أن «البعد الطائفي واضح وظاهر في سياسـة إيـران تجاه المنطقة»، وأن «كل ما يجري من حركة تشـييع في سـورية هـو (...) محاولة لإثـارة البلبلة من أجل تغيـير تركيبة المجتمع السـوري»[٢٣٩]. هـذه التصريحات المتوالية أثارت مشـاعر السـوريين ولفتـت انتباههم للتبشـير الشيعي؛ ولأول مرة في تاريخ الدولة السـورية يصبح موضوع التشييع موضع هواجس شعبية.

بدأ الحديث يتصاعد عن حملة التشـيُّع داخل سـورية وخارجهـا إلى الحد الذي دفع أبـرز فقهاء الشـام الدكتور وهبة الزحيـلي للقول بأن «ما يجري في سـورية عدوان لا بد من إيقافه»[٢٤٠]. وانتهز الفرصة نائب الرئيس الأسـبق المنشـق عبد الحليم خدام بخبث

(٢٣٨) ١٢ حزيران/ يونيو ٢٠٠٦.

(٢٣٩) وكالة قدس برس، شـخصيات سـورية قلقة من تنامي ظاهرة التشيّع.. مؤسسـات إيرانية تبني حسينيات وتقدم عروضاً مالية مغرية لكسب ولاء السوريين، ٣١ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٦. انظر الرابط:
http://www.qudspress.com/look/print.tpl?IdLanguage=17&IdPublication=1&NrArticle=4104&NrIssue=1&NrSection=3

(٢٤٠) المصدر نفسـه، وحسـب المصدر ذاته فقد قال الدكتور الزحيلي: «لم يصل أمر الدعاية الشـيعية في سورية إلى درجـة الظاهرة، ولكنه حركة دؤوبة تسـتخدم فيها المستشـارية الإيرانية في دمشـق الإغـراءات المادية من مال وبيـوت وسـيارات مـن أجل جلب الناس إلى اعتناق التشـيع». وأوضـح أن هذه الحركة التي تتم بسـرية كاملة والتي تقابل بصمت رسـمي، قد تزعج السـوريين في المستقبل، وقال: «لقد تحدثنا قبل أشهر مع السيد (علي)

سياسي لتعميق الفجوة بين النظام والشعب السوري، فأكد أن الرئيس حافظ الأسد «كان مسلماً، ولم يعلن تشيعه»، وأرجع السياسة الإيرانية في نشر التشيع إلى مبدأ «الدفاع عن مصالح إيران في المنطقة حتى ولو كان ذلك بالتحالف مع الشيطان الأكبر». وانتقد خدام السفير الإيراني في دمشق تحديداً، واتهمه بقيادة حركة التشييع في سورية، مشيراً إلى أن «حركة التشييع هي ظاهرة سياسية يقوم بها السفير الإيراني في دمشق بهدف إيجاد حالة سياسية مرتبطة بإيران، وهذا النشاط خطير لأنه يؤسس لفتنة مذهبية في سورية»!

حظيت هذه التصريحات باهتمام القادة الأردنيين(٢٤١) والسعوديين(٢٤٢)، وعلماء الدين السلفيين الأعداء التقليديين للشيعة، وكانت لتصريحات الداعية السعودي الدكتور سلمان العودة (المشرف العام على «مؤسسة الإسلام اليوم» السعودية) - التي

خامنئي في طهران واعتبرنا ما يجري في سورية عدواناً لا بد من إيقافه، إذ كيف يتم الحديث عن الوحدة والحوار وفي المقابل يتم دفع الأموال للناس كي يغيروا مذاهبهم»! كما أشار الزحيلي إلى أن عملية التشييع أمر واقع ولا يمكن أن يخفى على كل ذي بصيرة، وذكر أن مئات من السوريين في دير الزور والرقة ودرعا وغوطة دمشق قد استجابوا فعلاً لإغراءات المستشارية الإيرانية وتشيعوا.

(٢٤١) «السؤال الشيعي يطرح لأول مرة في الأردن، فثمة تقارير وتصريحات رسمية ومعلومات متعددة تؤكد وجود ظاهرة «محدودة» من «التشيع الديني» في السنوات الأخيرة في مناطق مختلفة، بالإضافة إلى التخوف الرسمي من حالة «التشيع السياسي» من خلال قنوات واسعة كعلاقة قيادة حماس الخارج بإخوان الأردن، ووجود عشرات الآلاف من الشيعة العراقيين المقيمين في الأردن، إلى مرحلة بات يتحدث فيها بعض المسؤولين عن «خلايا شيعية نائمة» في عمان، يتوازى ذلك مع إعجاب شرائح اجتماعية واسعة بأداء حزب الله في الحرب الأخيرة، وكفاءة حسن نصر الله أمينه العام، الذي أصبح بمثابة بطل شعبي في الشارع العربي، والأردني بالتحديد.

يأتي الجدل الأردني حول التشيع والنفوذ السياسي الإيراني في المنطقة في سياق حالة الاستقطاب السياسي الإقليمي الواضح اليوم بين المحور الإيراني- السوري المعزز بتأييد حركات إسلامية والمحور الذي يطلق على نفسه «معسكر الاعتدال العربي» وعماده الرئيس (مصر، السعودية، الأردن). فالتخوف العربي من النفوذ الإيراني يبرز بوضوح في تصريحات لكبار المسؤولين تحذر من نفوذ إيران، وتشكك في «ولاء الشيعة العرب»، وفي مقالات تتحدث عن إعادة تصدير الثورة من جديد على يد نجاد ومجموعته الحاكمة اليوم».

انظر: أبو رمان، محمد، التشييع السياسي ظاهرة تغذيها انتصارات حزب الله، صحيفة «الغد» الأردنية، العدد ٠٤/١٠/٢٠٠٦.

(٢٤٢) حذر الملك عبد الله بن عبد العزيز من سعي إيران للتبشير بالمذهب الشيعي في البلاد السنية (مجلة «التايم»، ٢٢/٠٢/٢٠٠٧).

تناقلتها الفضائيات عن «انتشــار كبير للمد الشـيعي في بلاد الشـام، وسـورية على وجه الخصوص»، وتحذيره من «ظاهرة انتشــار التوجهات الشـيعية داخل الإطار السـني في بلاد الشـام وسـورية» بوصفه «أمراً لا يمكن السـكوت عليه»، فـ «التمدد الشـيعي في الإطار السـني» من منظور سـلفي «هو لعـب بالنار»[٢٤٣] - دور هـام في تعميم القضية شـعبياً في العـالم العـربي، فظهـرت مقـالات وتقارير صحفية بشـكل كثيـف في المواقع الإلكترونية والصحافـة العربية والدولية، وبدأت التصريحات تتكاثر، من قبل منظمات حقوقيـة، حتى أصبح موضوع المد الشـيعي موضوع نقاش وتخطيط سـياسي وأمني في المنطقة[٢٤٤].

مـا من شـك بأن هـذه التصريحات لقادة سياسـيين ودينيين ألهبـت الاهتمام بظاهرة التبشـير الشـيعي، وحرضت وسـائل الإعـلام على تناولهـا، فيما أصبحت إحـدى أكثر القضايا الدينية إثارة في الداخل السـوري، إذ بـدأت تصدر عشرات التقارير والمقالات ونداءات الاسـتغاثة من التشـييع[٢٤٥]، وذلك بجوار حديث بـدأ يتصاعد عن عمليات

(٢٤٣) ٢٢ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٦.

(٢٤٤) نقلت الوكالة الإسلامية للأنباء (الشيعية) في ٨ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٦ عن تقارير أوروبية استخباراتية بأن زيارة رجب طيب أردوغان إلى السعودية في مطلع أيلول/ ديسمبر ٢٠٠٦ كانت لتوقيع «معاهدة سرية بين السعودية وتركيا لوقف المدّ الشيعي».
وحـذر الملـك الأردني عبد اللـه الثاني إيران من زعزعة الاسـتقرار في المنطقة لمد نفوذها وتوسـيع هيمنتها، انظر: صحيفة «الغد» الأردنية، الملك يحذر إيران من زعزعة الاستقرار في المنطقة، العدد ٢٥/ ٠١/ ٢٠٠٧.

(٢٤٥) صدر عدد من «الاستغاثات» مثل:
رسالة من مواطن سوري حول المد الصفوي في اللاذقية أيار/ مايو ٢٠٠٦ ، انظر الرابط:
http://www.d-sunnah.net/forum/showthread.php?t=62624
نداء من علماء سورية المسلمة (وا إسلاماه)، موقع من خارج سورية باسم «هيئة علماء المسلمين في سورية»، حمص حماة القصير ١٧ رمضان عام ١٤٢٧هجرية الموافق لـ ١٠ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٦.
وهناك أكثر من خمسـة نداءات اسـتغاثة كتبت على شـكل تقارير، وكما يبدو من طريقة بنائها فقد كتبت بأيدي بعـض الأهالـي وعلماء الديـن، وتم توزيعها بشـكل محدود بين علمـاء الدين ذوي النفـوذ والتأثير لتحذر من التمدد الشيعي في الجزيرة والبادية السورية وبين القبائل. (نحتفظ بنسخة منها).

تشييع منظمة في الأردن ومصر(٢٤٦) والسودان(٢٤٧) وأماكن أخرى في المغرب العربي.

تصاعد الضغط الإعلامي والتدفق اليومي للمعلومات التي تتعلق بالتشـييع المنظم والمحمي أمنياً وسياسـياً من قبل النظام السـوري، وبدأ ذلك يشـكل ضغطاً على النظام السوري وعلى عمل شبكة المبشرين التي تعمل في كنفه وحمايته، فسارع إلى أحد حلفائه من المؤسسات السنية للقيام بخطوة تخفف هذا الضغط، فأعلن في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٦ عن تأسـيس «جمعية التآخي بين المذاهب الإسـلامية في سورية» برئاسة الدكتور صلاح الدين كفتارو (نجل مفتي سـورية السابق أحمد كفتارو، ورئيس مجمع أبو النور) بحيث يشغل منصب نائب رئيس الجمعية رجل الدين الشيعي الدمشقي عبد الله نظام، (رئيس الجمعية المحسـنية في دمشـق) وذلك «استجابة للهواجس المثارة بشأن التشيع»، ومن أجل «تعزيز أواصر الإخاء الإسلامي والتقريب بين المذاهب الإسلامية» بحسب بيان الجمعية!

لاشك أن خطوة كهذه على أهميتها لا تستطيع مواجهة الشائعات التي بدأت تنتشر بشـكل واسـع وتتحـدث عن مؤامرة على سـنية الشـعب السـوري، وتجنيـس عشرات الآلاف مـن الشـيعة الإيرانيـين والعراقيـين واللبنانيـين لتغيـير التركيبـة الديمغرافيـة لسـورية(٢٤٨)، الأمر الذي أجَّج الإحسـاس بالنقمة من استغلال تعاطف السوريين مع القضية الإيرانية وحزب الله.

أحـس المـلالي المبـشرون أن هـذا لا يكفي ولا بـد من المواجهـة، وبالتالي فـإن الرد الإعلامـي في هـذا السـياق بات أمـراً حتميـاً لحماية أنفسـهم ومشروعهـم؛ فقد أصبح

---

(٢٤٦) حذر الدكتور يوسف القرضاوي من «اختراق شيعي لمصر عبر بوابة المتصوفة»، ٣ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٦. انظر الخبر على موقع «العربية نت» على الرابط: http://www.alarabiya.net/Articlep.aspx?S=27111

(٢٤٧) أحمـد النـور، النـور، جماعات إسـلامية سـودانية تحذر من مخطـط كبير وراءه إيـران: قرى بأكملها تشـيّعت والحسينيات والزوايا تنتشر في الخرطوم، صحيفة «الحياة»، ١٩ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٦.

(٢٤٨) انظر: الأحمد، خالد، بشار يبيع سورية للصفويين، موقع رابطة أدباء الشام، على الرابط: http://www.odabasham.net/show.php?sid=9230

و: درويش، إبراهيم، ما لم يقل مقال: أين مكمن الخطر؟، موقع مركز الشرق العربي، على الرابط: http://www.asharqalarabi.org.uk/mushrakat/b-mushacat-1160.htm

البقاء في الظل بمنزلة دليل إدانة عن نشاطهم، فخرج بعض الشيعة الدمشقيون (وتم تجنب أي شخصية شيعية غير سورية) ونفوا بشكل قاطع أي عملية تبشير في سورية، وحسب ما ورد في كلام كل من رجلي الدين الشيعيين الدمشقيين (عبد الله نظام ونبيل حلباوي) فإنه «لا وجود لحملة تبشيرية شيعية بين أهل السنة وأن هذا الكلام يفتقر إلى الدليل»[٢٤٩]، وبطبيعة الأمر النفي في هذه الحال أفضل وسيلة لنشاط يعمل في الظل.

اللافت للانتباه هو ظهور رجل الدين العلوي (النصيري) المنتمي للتيار الشيعي ذو الفقار غزال لينفي وجود ظاهرة تشيع بين العلويين بجوار نفي الشيعة السوريين لحملات تبشير شيعية! ومن الواضح أن المسألة كانت في إطار خطة دفاعية عاجلة وغير

---

(٢٤٩) من المهم التنويه إلى أنه لا يوجد ما يثبت هذه الشائعات أو ينفيها حول تجنيس الشيعة الإيرانيين وغيرهم.
نيوف، حيان، شيعة سورية يردون على اتهامهم بـ«التبشير» بين السنة والعلويين، الاثنين ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

وفي سياق الرد قال رجل الدين الشيعي عبد الله نظام: «الكلام عن ظاهرة تشيع في سورية بدعم إيراني وغض السلطات السورية النظر عنها هو كلام عار عن الصحة، وهدفه التفرقة. في سورية لا يوجد شيء اسمه الدعوة إلى مذهب معين، والقانون يخضع له الجميع بنفس الطريقة، والشيعة أصلاً تابعون في كل أمورهم الدينية إلى وزارة الأوقاف في سورية من مساجد وأئمة. نحن كشيعة عبارة عن مذهب فقهي، والمذهب الفقهي ليس ديناً أو شيئاً خاصاً حتى يدعو إليه الإنسان لا سيما أنه توجد ضمن المذهب الواحد في الإسلام فتاوى متعددة وأكثر من قول في مسألة واحدة. لا يوجد تشيع في سورية مرتبط بجهة خارجية أبداً. أي شخص لديه مثال واحد فليقل مثاله لنا».

إذن هناك تشيع مقابل أموال كما قالت جهات سورية معارضة؟ سألت «العربية نت». يجيب: «هذا كذب صراح من جماعات تريد حرباً طائفية في المنطقة. الإنسان الذي يتم شراؤه بالأموال لا خير فيه».

وسألت «العربية نت»: هناك تقارير تحدثت عن نشاطات إيرانية من خلال بناء مراكز ثقافية جديدة وحوزات شيعية. فأجاب نظام: «لديهم مركز ثقافي في دمشق فقط، والسفارة الأمريكية لها مركز ثقافي أيضاً. أما بالنسبة للحوزات، فنحن لدينا حوزات معروفة لتدريس الطلبة كما توجد عند أهل السنة معاهد لتدريس الطلبة أيضاً وهي معاهد شرعية. هذا عمل طبيعي والمسيحيون عندهم مدارس لاهوتية».

ونفى أن يكون المسجد الأموي يعطي دروساً في الفقه الشيعي قائلاً: «هذا المسجد لإخواننا السنة». وأضاف: «الدروس التي فيه هي لرجال دين وفقه من أهل السنة، ولكن في شهر رمضان حصل أن أذيع حديث رمضان الديني من المسجد الأموي بدلاً من أن يذاع في التلفزيون وشخصياً شاركت لمدة ٧ دقائق. ودعيت إليه في يوم من أصل ٢٩ يوماً تكلم فيها رجال دين من السنة فهل كثير على الشيعة أن يتكلموا ٧ دقائق في حديث ديني واحد»!

وأبدى عبد الله نظام استغرابه من موجة التهويل بمد شيعي في بلاده، وقال: «العقيدة ليست مصبغة نرسل إليها القماش لتغيير لونه والإنسان حر بما يختار ولا نستطيع أن نفرض عليه أي شيء». انظر الرابط:
http://www.alarabiya.net/Articles/2006/11/06/28855.htm

مدروسة بعناية؛ فالحديث عن تشييع العلويين لم يتناوله الإعلام بشكل مسهب، ولم يشكل جزءاً من حديث الشارع، لكنه على كل حال كان جزءاً من استهداف سياسي للنظام لتأكيد الدوافع الطائفية لحملة التبشير وحمايتها أمنياً وسياسياً من قبل نظام الأسد الابن.

في ظل عزلة دولية وتهديد النظام بنتائج التحقيق الدولي في مقتل رفيق الحريري، فإن على الأسد أن يتجنب أي ضغط آخر خصوصاً إذا كان داخلياً، وقد أحس بأن مسألة التشييع أصبحت مصدر قلق لا يمكن التكهن بنتائجه فيما إذا استمر بالتصاعد، وبالتالي فإن عليه التحرك بشكل فوري لمحاصرته، هكذا دُفع بالمفتي الجديد الشيخ أحمد حسون – المغرم بالحديث لوسائل الإعلام ورجل الدين غريب الأطوار بنظر علماء الدين السنة – إلى الواجهة، ليضمِّن سيل تصريحاته نفياً قاطعاً بأي تشييع أو تبشير شيعي في الأراضي السورية مدعوم من النظام أو من إيران[٢٥٠].

من حق النظام أن يدافع عن نفسه بمزيد من الشفافية، فالوثائق الحكومية والوقائع التي سقناها في الفصول السابقة ليس بالإمكان نفيها بسهولة، لكن بما أن النظام متورط فليس عليه إلا النفي لأعمال تتم في الظل غالباً، وضمن منظومة عقله الأمني فإن عليه أن يقمع أي حديث علني احتجاجي يتعلق بالتبشير الشيعي، وعلى هذا الأساس فإنه لجأ إلى سياسة اعتقال المتدينين من ذوي الاتجاه السلفي المناهض الطبيعي للتشييع واستصدار أحكام قاسية جداً بحقهم تبدأ من أربع سنوات وتصل إلى أكثر من ثماني سنوات بتهمة

(٢٥٠) على سبيل المثال صرح الشيخ حسون لـ«العربية نت» قائلاً: إن الذين يتحدثون عن تشيعه إنما يسوقون اتهامات مضحكة، في سورية يوجد مفت للجمهورية ومفت للشافعية والأحناف والجعفرية. أرجو من هؤلاء الذين ينقل عنهم هذا الحديث أن يعلنوا عن أسمائهم وأن يقولوا نحن الذين نتهم لا أن يقولوا والله أخبرنا بعض العلماء من حلب أنهم نصحوا المفتي ألا يتشيع، ... تابعت الأمر بشكل شخصي وتبين أنه غير صحيح، واتصلت بالشيخ سلمان العودة، وطلبت منه أن يدلني على موقع من المواقع التي يقال أن فيها انتشاراً للتشيع في سورية، وكان سعيداً بتوضيح الأمور له، وقال إن هذه الأنباء جاءته من بعض الإخوة ولذلك تكلمت بها، فدعوته لزيارة سورية ليرى حقيقة الأمور. انظر تصريحات حسون في موقع «العربية نت» على الرابط:
http://www.alarabiya.net/Articles/2006/11/27/29435.htm

الانتماء إلى «جمعية تهدف إلى تغيير كيان الدولة الاقتصادي والاجتماعي»![٢٥١]

في ٢٨ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٧ اعتقل جهاز الأمن السياسي في مدينة بانياس الساحلية الشاعر المسنّ محمد علي درباك (٧٢ عاماً) بسبب قصيدة نظمها ينتقد فيها الشيعة بعد أن هاجم جيش المهدي اللاجئين السوريين في العراق، ونتيجة سوء المعاملة والأوضاع غير الإنسانية التي وضع فيها، فقد نقل إلى المشفى وتناقلت المنظمات الحقوقية نبأ وفاته في سجنه إثر جلطة أصابته![٢٥٢] وفي السياق نفسه داهمت قوات الأمن في درعا

(٢٥١) انظر مثلاً: اللجنة السورية لحقوق الإنسان، لندن، خمس سنوات سجن بسبب الانتماء إلى تيار سلفي، ٢٠/ ٠٩/ ٢٠٠٧، على الرابط: http://www.shrc.org/data/aspx/d8/2798.aspx

وحتى تاريخ كتابة هذه السطور ما تزال الأحكام جارية فقد أصدرت محكمة أمن الدولة العليا بدمشق (محكمة استثنائية) يوم الأحد ١١/ ١١/ ٢٠٠٧ أحكاماً على ثلاثة معتقلين بتهمة الانتساب لجمعية سرية تهدف إلى تغيير كيان الدولة الاقتصادي والاجتماعي سنداً للمادة / ٣٠٦/ من قانون العقوبات السوري وذلك في إشارة لانتساب المتهمين إلى تيار سلفي متشدد، وتراوحت الأحكام بين السجن لمدة ثماني سنوات والسجن أربع سنوات فيما استجوبت عدداً آخر من المعتقلين وأجلت جلساتهم لاستكمال الدفاع أو لمطالبة النيابة، وكانت الأحكام على الشكل التالي:

السجن لمدة ثماني سنوات للمتهم محمود الشيخ بن محمد.

السجن لمدة ست سنوات للمتهم محمد الحمود.

السجن لمدة أربع سنوات للمتهم محمد بربور درويش.

انظر اللجنة السورية لحقوق الإنسان، لندن ١٢ تشرين الثاني/ نوفمبر على الرابط:

http://www.shrc.org/data/aspx/d7/3357.aspx

وفي ١٤ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٧، حكمت محكمة أمن الدولة على المواطن السوري خالد العبود الموقوف منذ تاريخ ٢٨/ ٠٣/ ٢٠٠٥ بالأشغال الشاقة لمدة سبع سنوات بتهمة الانتساب لجمعية تهدف لتغيير أوضاع المجتمع الاقتصادية والاجتماعية بإحدى الوسائل المذكورة بالمادة ٣٠٤ سنداً للمادة ٣٠٦ من قانون العقوبات، وحجره وتجريده مدنياً وتضمينه الرسوم والمصاريف قراراً مبرماً غير خاضع للطعن بالنقض وخاضع للتصديق من المراجع المختصة.

كما استجوبت المحكمة في نفس اليوم كلاً من: محمد عبيد الأحمد بن عيسى وناصر ناصر من أهالي الجولان، وكلاً من محمد ناصر وعبد المحسن محمد الحاج الشيخ من أهالي محافظة الرقة بنفس التهمة!

انظر: اللجنة السورية لحقوق الإنسان، ٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٧، على الرابط:

http://www.shrc.org/data/aspx/d4/3354.aspx

(٢٥٢) صحيفة «الخليج» الإماراتية الأحد ١٨/ ٠٣/ ٢٠٠٧. وحسب اللجنة السورية لحقوق الإنسان فإن «هذه العناصر الأمنية اعتقلت أيضاً صاحب المكتبة التجارية التي نسخ درباك قصيدته فيها واسمه رامي رخامية والعامل في المكتبة علاء محيي الدين الذي قام بعملية النسخ واللذين لا يُعرف وضعهما حالياً».

وقد أفرج عن درباك وكل من رخامية ومحيي الدين في ٢٠ و٢١ آذار/ مارس ٢٠٠٧، انظر الخبر على الرابط:

منزل الدكتور تيسـير العمر (أستاذ العقائد والأديان في كلية الشريعة بجامعة دمشق) في ٢٦/ ٠٦/ ٢٠٠٧، وفصلته مع طلابه من وظائفهم في الإمامة والخطابة بسـبب تحدثهم عن التشييع علناً والتحذير منه[٢٥٣].

الواقع أن تصرفات السـلطات والأجهزة الأمنية أثارت الريبة وأكدت القضية أكثر من أن تنفيها، وأججت المشـاعر أكثر من أن تطفئها، لقد كان لمثل هذا الوضع أن يدفع باتجاه مزيد من الاحتقان والرغبة بمعرفة حقيقة ما يجري على الأرض، وبما أن النظام لا يسـتطيع كشف علاقته بحماية التبشـير ولا ينوي الأسد تغيير علاقته مع الشيعة فقد بدا الأمر حرجاً للنظام، إذ اضطر مقربون من حزب البعث لمطالبة السلطات بالكشف عن الحقيقة؟[٢٥٤] فـ «المقالات التي تتحدث عن التشييع في سورية ازدادت مؤخراً وبشكل ملحـوظ، وبصـورة لم تكن مسـبوقة ولم تكن تطرح أبداً بهذا الشـكل» وأن «معظم هذه المقالات يركز على قضية التشـييع، أي تحول بعض المسـلمين السـنة ليصبحوا شيعة من أتبـاع ولاية الفقيه»، و«نظـراً لازدياد الاهتمام بالموضوع موَّلت جهات أوروبية دراسـة بحثية ميدانية أشرف عليها السـوري المقيم في فرنسـا نزار نيوف، ومنشـورة على موقعه تتناول هذه القضية وحجمها وانتشارها، وبعد ذلك يبدو أن المقالات بدأت تتجه لتكون أكثر تركيزاً بمعنى أنها تتناول منطقة محددة أو محافظة وتدرس تلك الظاهرة فيها».

ودعـا هـؤلاء المقربـون إلى «إجراء دراسـة علمية من قبل مركز دراسـات سـوري مستقل، يقوم بزيارات ميدانية ويقدم تقريراً شفافاً مدعماً بالمعلومات والصور عما يثار، بحيـث يمكن في النهاية معرفة حقيقة ما يجري ويتـم عرضه على قيادة حزب (البعث)، بحيث يتم اتخاذ الإجراءات المناسبة والتصدي لمن يثير الفتنة سواء أكانت هذه الظاهرة موجودة أو يتم تضخيمها لأهداف معروفة»، وتساءلت «ألم يكن من المناسب أن يناقش

---

http://www.shrc.org/data/aspx/d2/3102.aspx

(٢٥٣) انظر بيان حركة العدالة والبناء، في ٢٨ حزيران/ يونيو ٢٠٠٧ على الرابط:
http://forsyria.org/arab/statement_details.asp?id=24

(٢٥٤) مقربون من «البعث» يدعون الحكومة السورية إلى تفنيد شائعات «التشيّع السياسي»، جريدة «البيان» الإماراتية، ١٢/ ٠٢/ ٢٠٠٧. انظر الرابط:
http://www.arraee.com/modules.php?name=News&file=article&sid=18246

هـذا الموضوع الخطير في اجتماعـات اللجنة المركزية لحزب (البعث) الأسـبوع الماضي؟ أوليس هو أخطر من الكثير من القضايا التنظيمية والاقتصادية التي نوقشت؟».

كان رجل الدين السـني (ورجل بلاط الأسـد الأب) الدكتور محمد سعيد رمضان البوطـي في ٢٨/ ٠٤/ ٢٠٠٦ قـد انتقد في خطبة ملتهبة غير معهودة منه الفكر الشـيعي واعتقاداته في أهل بيت النبي (ص) التي وصفها بأنه مغالى فيها[٢٥٥]، لكن الأهم في هذه الخطبـة ليـس نقده لاعتقادات الشـيعة، وإنما هو احتجاجه الحـاد واللافت على احتلال المقامـات السـنية واخـتراع بعضها في مدن سـنية عريقة لم يدخلها التشـيع يومـاً لتثبيت مراكز تبشـير شـيعية. فالشـيعة - وفقـاً للبوطي - يطمعـون بغلوهم في أتبـاع المذاهب السـنية، و«يختلقون اختلاقاً أسـماء لأشخاص من آل بيت رسـول الله وهميين يبنون لهم في ظلام ليل دامس دون شعور قبوراً وهمية، وبعد حين يبنون لهم قباباً خضراء في سبيل أن يضعوا أيديهم على بقاع حول هذه المنطقة كلها، ويجعلوا منها منطلقاً لمقارعة مذهب لمذهـب، ويجعلـوا منها منطلقـاً من أجل كيـد، ومن أجل إثـارة فتنة (...) لمـاذا توضع الأيدي على بقاع معينة من أرضنا الإسلامية (...) من أجل أن تكون هذه البقعة منطلقاً بعد ذلك لفتنة؟»[٢٥٦].

حـذر البوطـي في خطبتـه بشـدة الملالي الشـيعة من التـمادي في تبشـيرهم واحتلال المقامـات واختلاقها في المناطق السـنية، قائلاً: «إياكم ومهايع الفتنـة، إياكم وأن تلعبوا بالنار، لَئن كان الساسـة في شـغل شـاغل، وفي ظروف لا تسـمح لهم بالتحذير، فنحن المسـلمين لنا ظروف أخرى نسـتطيع أن نشـير إلى مـكان الخطر (...) آمُـل أن يكون في وعـي هـذه الأمة - لاسـيما في هـذه البلدة [دمشـق] - ما ينبههـا إلى الخطـر الداهم، ما ينبهها إلى نشـاط يتحرك باسم الإسلام، ولكنه يبتغي شيئاً آخر، يبتغي إثارة فتنة، يبتغي مقارعة مذهب بمذهب تحت مظلة دين واحد، اجعلوا من وعيكم حارساً لهذه الحقيقة.

---

(٢٥٥) انظر الخطبة في الموقع الرسمي للدكتور البوطي، بعنوان: الوسطية، على الرابط:
http://www.bouti.com/article.php?PHPSESSID=c8cefb70281053937fe7e7654379d082&id=244

(٢٥٦) المصدر نفسه.

أما قادتنا، فلا أدري ماذا أقول، لعلهم في شغل شاغل بسبب الظروف المدلهمة التي جعلتهم في دوامة وحيرة»[٢٥٧].

وكما هو واضح فإن البوطي على الرغم من أنه يصرح بأن العملية التبشيرية تتم في «غفلة» السلطات، إلا أنه من طرف آخر كان قد غمز بوجود مصالح سياسية للنظام بهذه الحركة التبشيرية عندما ختم خطبته بالقول «قاتل اللهُ السياسةَ عندما تحجب عن المبدأ، وقاتل الله السياسة عندما تمتطي الدين لمصلحتها»[٢٥٨].

من الطبيعي أن يكون البوطي بعد ثلاثة أشهر أحد أبرز الموقعين على بيان علماء الشام، ولا نستبعد إطلاقاً أن يكون البوطي قد صاغ البيان بنفسه، لكن البوطي – رجل البلاط الذي انتهت صلاحيته منذ سبع سنوات – لم يتوقف، فالمسألة تبدو مقلقة له كعالم دين ورمز سني كبير مسؤول عن حماية معتقدات أتباعه، فتقدم رسمياً لجهات عليا (لم نستطع التعرف على هويتها) بين ٢٠–٢٥ شباط/ فبراير ٢٠٠٧ يطالب بالتدخل لوقف عملية التبشير[٢٥٩]، لكن يبدو أن طلبه «ضاع» في دهاليز السلطة فلم يظهر له أثر!

وعندما عقد المركز العربي للدراسات الاستراتيجية في جامعة دمشق جلسات حوارية للمثقفين السوريين مع وزير الخارجية الإيراني منوشهر متكي في ٢٣ و٢٤ شباط/ فبراير ٢٠٠٧ لم يتمالك المثقفون السوريون أنفسهم من سؤال الوزير الإيراني عن «هاجس التشييع»[٢٦٠] ووجود «اتهامات بأن إيران معنية بنشر المذهب الشيعي في سورية»، وأن إيران ضالعة في الفتنة المذهبية والحرب الطائفية الدائرة في العراق، غير أن متكي لم يزد أن قال: «لا نسعى لأن نجعل من السني شيعياً، ولا نعرف أن هناك حركة كهذه! في الحقيقة نحن لا ننظر الى الخلاف على أنه خلاف في العقيدة، بل [على] أنه اختلاف في وجهة النظر السياسية»[٢٦١]، والواقع أن متكي – الذي يعلم تماماً أنه

(٢٥٧) المصدر نفسه.

(٢٥٨) المصدر نفسه.

(٢٥٩) مصدر مقرب جداً من الدكتور البوطي، طلب عدم ذكر اسمه.

(٢٦٠) صحيفة الحياة، ٢٥ –٢–٢٠٠٧.

(٢٦١) المصدر نفسه.

لا يقول الحقيقة - لم يجانب الصواب في وصف أصل المسألة، فالمسألة هي وجهة نظر سياسية، وهي وجهة نظر إيرانية وسورية في الوقت نفسه.

الفصل الخامس

تطورات مشروع التشييع في سورية

بعد انتهاء البحث وبينما كان في مرحلة التنضيد والتحضير الطباعي وبسبب النشاط المستمر للتبشير الشيعي، كان لا بد من إضافة هذا الفصل الذي يتضمن أحدث المعلومات عن تطورات هذا المشروع.

تبني المؤسسة الأمنية والمخابرات لمشروع التشييع

لم يعد تعامل الشخصيات الداعمة لمشروع التشييع في سورية مع هذا الملف محترساً كما كان من قبل، فقد أصبح التعامل منحازاً جهاراً نهاراً. ولاسيما أنه قد تكشفت الوجوه التي تقف وراء المشروع، وعلى رأسها كبار الشخصيات الأمنية التي يمثل المشروع لبعضها رسالة بالإضافة إلى كونه مصدر إثراء وعطاء جزيل، كاللواء هشام اختيار رئيس مكتب الأمن القومي الحالي، الذي كان يشغل منصب رئيس فرع المنطقة للأمن العسكري فيما مضى ولمدة طويلة، وهو رجل متشيع بصورة معلنة، حاقد على أصحاب التوجهات الدينية، له تاريخ حافل في تعذيب معتقليهم قبل استلامه منصب مدير الأمن القومي، مشهور بحرصه على تشييع كبار ضباط الأمن من الطائفة العلوية خاصة، ويقمع بشدة من يقف في وجه التشييع في سورية، ويحرص على تنظيف الدوائر الحكومية من هؤلاء ويلفق لهم التهم الجاهزة (توجه سلفي.. وهابي.. إخواني.. معارضة..عميل للسفارة الأمريكية..إلخ).

وقد أفاد من عمله في الأمن العسكري ومن علاقاته مع كبار ضباط الأمن، فقد سخّر الكثيرين من ضباط الأمن في الفروع المتعددة لخدمة مشروعه، واستطاع أن يجعل

للأمـن القومـي دوراً أكبر، على الرغم من كونه جهازاً أمنيـاً ليس له امتداد من العناصر يذكر. وأصبح يتدخل في كل صغيرة وكبيرة.

وفوق هذا كله له علاقات مشـبوهة للغاية مع السـفارة الإيرانية، تتجاوز التنسـيق الأمني الذي يدعمه النظام، فقد زود السـفارة الإيرانية في دمشـق بكل التقارير الأمنية التي صدرت في فترته ولو لم تكن ذات صلة بالشأن الإيراني أو الشيعي.

ومن أهم الداعمين لمشروع التشـييع في سـورية المنتفعين منه اللواء آصف شـوكت رئيس شـعبة المخابرات العسكرية، واللواء محمد منصورة هو والعديد من ضباط شعبة الأمـن السـياسي التي يتولى إدارتها، والتـي غطت الحوزات الشـيعية بالموافقات الأمنية عـلى الرغم من كون هـذه الموافقات غير قانونية ولا كافيـة في افتتاح الحوزات ومباشرة أعمالها.

دور السفارة الإيرانية في دمشق

يقوم المشروع بدعم شـديد من السـفارة الإيرانية، ورعاية لممثل مرشد الثورة في السيدة زينب، ودعمه المالي، ويباشر المشروع الشـيخ عبد الله نظام أحد أهم مراجع الشـيعة في دمشق في حي الأمين، وهو رجل يرعى المتشيعة بدقة ويتابع شؤونهم في كل المحافظات السورية. هذا ويدعمه سياسياً حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله في لبنان، ويدعمه دينياً الشـيخ حسـين فضل الله، الذي يبارك المتشـيعة الجدد، ولا سـيما الناشطون منهم، خلافاً لتصريحاته المعلنة عن الحوار والتقريب وبقية المفردات التسويقية، وقد رُصِدت له أكثر من زيارة للشـخصيات المتشيعة الناشطة، فضلاً عن مداومتهم على زيارته الدورية عندما يحضر إلى السيدة زينب في سورية.

ولا يقتـصر دور عبـد الله نظام على متابعة تشـييع أبناء السـنة في سـورية، بل يرعى الكثير من الحوزات في مختلف المحافظات السـورية. وحتى الجامعات الشـيعية الأهلية في كل من حي السـيدة رقية في دمشـق، ومدينتي إدلب والرقة. والرجل له سـمعة مالية سيئة عند الجهات الأمنية، وأعيان الشيعة في سورية.

تشييع الوزارات والهيئات الحكومية

تمكن هشام اختيار ومن يسانده في مشروع تشييع السنة في سورية من زرع المتشيعين والمنتفعين من هذا المشروع في مواقع متقدمة في وزارات تسهم في خدمة المشروع، فمثلاً:

– في وزارة التعليم العالي تم تعيين د.هاني مرتضى رئيس جامعة دمشق الأسبق وزيراً للتعليم العالي بعدما نجح في زراعة مساعدين من الشيعة في مفاصل مهمة في جامعة دمشق في أثناء رئاسته لها، كالدكتور عبد الرزاق شيخ عيسى فعينه في منصب أمين جامعة دمشق، وعندما صار وزيراً رشحه لمنصب معاون الوزير فتم له ذلك، وعين بدلاً منه في منصب أمين جامعة دمشق د.عباس صندوق الشيعي المشهور بسلوكه الطائفي.

– في وزارة التربية نجح في تعيين د.علي سعد من الطائفة المرشدية الذي ضيق على المدارس الأهلية ورياض الأطفال ومنعها من تعليم الأطفال القرآن في أثناء نقلهم في الحافلات، وكان له الدور الأكبر في منع قبول الطلبة في المرحلة الإعدادية الشرعية صيف عام ٢٠٠٦، والذي قام بدوره باستبدال إحدى حصص التربية الدينية في المرحلة الابتدائية بحصة للموسيقا. واختار لنفسه معاوناً لايقل عنه عداوة للعلم الشرعي وهو د.علي الحصري من الطائفة المرشدية أيضاً، والذي طالب جهاراً بتأليف كتاب للتربية الإسلامية لكل طائفة على حدة، للدروز وللإسماعيلية وللعلوية وللشيعة وللسنة. علماً بأن كتاب التربية الإسلامية الحالي ليس له سمة طائفية.

– في وزارة الأوقاف حصل خرق كبير، فقد تم منذ أكثر من أربع سنوات تعيين أنور النابلسي مديراً لأوقاف درعا، وهو شخص مدعوم من السفارة الإيرانية منتفع من مشروع عبد الله نظام، وكان يأخذ تعليماته من السفارة الإيرانية، التي ما كانت تتحفظ في إظهار صلته بها ودعمها الكبير. وكان قد أصدر بدعم من الأمن تعميماً يمنع أن يأتي أي خطيب أو واعظ أو مدرس ديني إلى محافظة درعا من خارجها، بحجة تحصينها من الفكر المنحرف، وتحت هذه المظلة أطلق يد المتشيعة في المحافظة وعلى رأسهم زيدان الغزالي المدعوم من السفارة الإيرانية ومن ابن عمه اللواء رستم الغزالي رئيس فرع

المنطقة للأمن العسكري حالياً. وله علاقات متميزة ودعم مالي من كل من حسن نصر الله والشيخ حسين فضل الله، وعبد الله نظام الذي هندس له معظم علاقاته. ومن تدابير القدر أن يفتضح مدير الأوقاف النابلسي باختلاسات مالية كبيرة لا تحتمل أن يتم التستر عليها، فتم فصله من منصبه. ناهيك عن بعض المفتين كمفتي الرقة المعروف بتشيعه، ومفتي حلب الذي صار مفتياً عاماً لسورية، ومزاوداته الشيعية أكبر من أن تحصى.

إضعاف المؤسسة الدينية السنّية

في الآونة الأخيرة أخذ مشروع التشييع في سورية منحى أشد خطورة وأكثر تحدياً لمشاعر السنة، ولاسيما بعد تعيين محمد السيد وزيراً للأوقاف، وهو رجل لا يخفي تشيعه مطلقاً، وقد صرح بذلك في لقاء له تم بالتعاون بين موقع المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام ومجلة المنبر.(٢٦٢)

والرجل جاء به اللواء هشام اختيار خصيصا لينجز مشروع التشيع بأسرع وقت ممكن، وقد وضع له خطة عمل محكمة، ولم يتركه بل أخذ يتابعه فيها بصورة شبه يومية، وتقوم خطته على محورين:

المحور الأول: إضعاف التعليم الشرعي السني، وفي سبيل ذلك قام بالخطوات الآتية:

١– منع إحداث أي ثانوية شرعية جديدة لأهل السنة، والثانوية التي حصلت على ترخيص سابق ولم تباشر منعها من المباشرة على الرغم من حصولها على التراخيص النظامية.

٢– حل لجان الإشراف على الثانويات الشرعية.

٣– منع تمويل الثانويات الشرعية من غير طريق الوزارة، العاجزة عن حمل أصغر مشروع مثل إفطار الصائم في المسجد الأموي!!

(٢٦٢) http://www.14masom.com/leqaa/24/24.htm

٤- منع قبول الطلبة الأجانب والعرب في أي مؤسسة من مؤسسات التعليم الديني.
٥- لم يمنح الطلبة غير السوريين الموافقات اللازمة لاستصدار الإقامة.
٦- منع أي تمويل خارجي للتعليم الشرعي من الجاليات السورية أو الأشقاء العرب أو المسلمين.
٧- فك ارتباط المعاهد والثانويات الشرعية التي كانت تمول من الجمعيات الخيرية عن تلك الجمعيات. ومنعها من الاستمرار في تمويل تلك المعاهد الشرعية، وجعل تمويلها من الأوقاف حصراً، وهي عاجزة كما هو معلوم.
٨- أصدر تعميماً يمنع الدينيين ومنتسبي الأوقاف من خطباء ومدرسين وعلماء من أن يكونوا أعضاء في مجالس إدارة الجمعيات الخيرية. وقد سُبِق هذا التعميم ببلاغ شفوي من الجهات الأمنية لكل الجمعيات الخيرية بضرورة ألا يكون في مجالس إدارتها أحد من حاملي المؤهلات الشرعية. وقد أعفي كبار القائمين على التعليم الديني في المعاهد والثانويات الشرعية من عملهم في مجالس الإدارة، كالشيخ العلامة عبد الرزاق الحلبي والشيخ سارية الرفاعي والدكتور عبد الفتاح البزم والدكتور حسام فرفور والشيخ صلاح كفتارو والدكتور عبد السلام راجح.
٩- استصدر قراراً من مجلس الوزراء بتشكيل ملاك من العاملين في التعليم الشرعي – وهي خطوة إيجابية – ولكنه أفسدها بأن وجهه إلى وزارة التربية لترسل المدرسين من طواقمها. فيتم بذلك تفريغ التعليم النظامي من كوادره الشرعية، كما يمكن وزارة التربية من أن ترسل للمواد الكونية في الثانويات الشرعية كوادر غير مهتمة بالدين أو طائفية أو ليست مسلمة أصلاً. وقد استعان في هذه القضية باثنين من موظفيه وضعهما على رأس التعليم الشرعي معروفين بولائهما لوزير التربية د.علي سعد.

المحور الثاني: تقوية المؤسسات التعليمية الشيعية، وفي سبيل ذلك قام بالخطوات الآتية:

١- عين عبد الله نظام حامل مشروع التشيع في سورية مستشاراً للشؤون الدينية.
٢- منح الشيعة ١٠ ثانويات شرعية تتبع نظام الأوقاف وتعترف بها وزارة التربية، فأحدث اثنتين في دمشق، وحول ٨ حوزات في المحافظات التي ينشط فيها التشييع إلى ثانويات شرعية، اثنتين في حلب، واثنتين في اللاذقية، واثنتين في إدلب، واثنتين

في ديـر الـزور. وجعل عبد الله نظـام مشرفاً عليهـا. ومعلوم أن الحـوزات ليس لها وجود قانوني في سـورية. فشرع لها وجودها ومنحها أن تصدر شهادات معترف بها في الجامعات السورية.

٣- أوكل إلى عبـد الله نظـام مهمـة تنقية مناهـج الثانويات الشرعية مـن الأمور التي لا يـرضى عنها الشـيعة، فقدم تقريراً غـير معقول، ومع ذلك قـام الوزير بتعميمه على الثانويات وهدد بإغلاق المعاهد والثانويات التي لا تلتزم بذلك. وحتى يذر الرماد في العيـون طلـب من عبـد الله نظام أن ينقي مناهج الحوزات ممـا لا يرضى عنه أهل السنة، فجعل الخصم حكماً، ومعلوم أنه لا يوجد منهج موحد للحوزات الشيعية في سورية، فكل حوزة لها منهجها وخصوصيتها التي تشبه خصوصية فروع الأمن.

٤- لم يتعرض للطلبة الأجانب في الحوزات، بل منحهم الموافقات اللازمة لاسـتصدار الإقامة. ولم يمنع التمويل الخارجي من إيران وغيرها عن هذه الحوزات.

٥- ومقارنـة ما بـين التعليم الشرعي عند السـنة والشـيعة في الخطة التي أعدها هشـام اختيار نجد:

الوصف	السنّة	الشيعة
عدد الثانويات الشرعية	١١٥	١٠
عدد السكان للثانوية الشرعية الواحدة	١٤٣٤٧٨	٦٥٠٠
عدد المعاهد الشرعية أو الحوزات	٢٤	٤٠
عدد السكان للمعهد الشرعي أو الحوزة	٦٨٧٥٠٠	١٧٢٥
عدد السكان	١٦٥٠٠٠٠٠	٦٥٠٠٠

هـذه الملامح العامـة للخطة التي وضعها مدير مكتب الأمن القومي في سـورية هشـام اختيار لخدمة مشروع التشييع، ونفذها بدقة وإخلاص الوزير محمد السيد الذي ليس له من الوزارة إلا الاسم واللقب.. وأما التخطيط وإدارة الوزارة الفعلية فهي لرجل إيران هشام اختيار.

وأخطر ما في الأمر تلك التطورات التي حصلت في المناطق التي يحظى فيها مشروع

التشـييع باهتـمام من أصحابـه. فقد حدث منذ أسـابيع قليلـة أن قام بعض أبناء السـنة المحتقنين بإحراق أحد مساجد الشيعة في محافظة الرقة على خلفية قيام مؤسسة الكهرباء بقطـع التيار عن المسـاجد بعـد أن رفعـت وزارة الأوقاف قـرار مجانية الكهربـاء عنها، وألزمـت لجان المسـاجد بدفـع الكهرباء. فلما قُطعت عن كل المسـاجد بما فيها الشـيعية تدخلـت السـفارة الإيرانية فأعادت التيار للمسـجد الشـيعي، وبقيت مسـاجد السـنة مظلمـة. فعمد هؤلاء الغاضبـون إلى هذا التصرف احتجاجاً عـلى التمييز الطائفي. وما كان من فروع الأمن إلا أن تكتمت على الأمر.

ومن الأمور الخطيرة وقوع سـت عشرة إصابة منذ أسـابيع أيضاً في شـجار في ريف حلب على خلفية نزاع سـني شـيعي ضمن أبناء عشيرة واحدة قسمها المشروع الشيعي، وبدايته استفزاز من القلة الشيعية في القرية.

الخاتمة

أولاً: نتائج البحث

لقد أفضت مجموعة المعلومات المتحصلة من المصادر الثمانية التي ذكرت في مقدمة الدراسة إلى جملة من المعطيات الرقمية، وبعد عدد من عمليات المقارنة أمكن التوصل إلى وضع جدول[٢٦٣] يوضح الانتشار جغرافياً وديمغرافياً في إطار تحديدات زمنية تسهل فهم الانتشار وتفسيره.

يذكر هنا جملة النتائج التي يقدمها الجدول المشار إليه، مع ملاحظة أن المعلومات مهما كانت دقيقة فهي في النهاية تقريبية، وسيتم اعتماد النسب المئوية في عرض النتائج والابتعاد عن الأساليب الإحصائية المتبعة في البحوث الاجتماعية، وذلك لسهولة فهم النسب المئوية، وقدرتها على تأدية الغرض العلمي في الوقت ذاته.

كما ستتم مقارنة النتائج مع النتائج التي توصلت إليها دراسة مجلس الحقيقة والعدالة والمصالحة، خصوصاً فيما يتعلق بالأرقام الخاصة بالتشيع في الوسط الاجتماعي السني، ذلك أن هذه الدراسة هي الدراسة الوحيدة التي أعلنت أرقاماً تقريبية فيما يخص التشيع في سورية، كما سيتم الاعتماد على الأرقام التي انتهت إليها تلك الدراسة بسبب صعوبة الحصول على أرقام تقريبية واقعية فيما يخص التشييع في الوسط الاجتماعي العلوي

(٢٦٣) انظر الجدول في الملحق ص١٣٣.

(النصيري) والإسماعيلي، وذلك رغم العلم بأنها لا تتمتع بمصداقية علمية كبيرة، والأرقام الواردة فيها مبالغ بها كبراً وصغراً، لكن فيما يتعلق بالعلويين والإسماعيليين لا توجد إمكانية للحصول على أرقام يطمأن لها.

وسيعمد في النهاية إلى شرح النتائج ومحاولة تفسيرها على ضوء المعرفة السياسية والواقعية بالمناطق الجغرافية السورية وشرائح المجتمع وتركيبتها الثقافية والاجتماعية.

عدد المتشيعين ونسبتهم

حسب الجدول فإن عدد المتشيعين الإجمالي في سورية في الوسط الاجتماعي السني وحده ضمن المجال الزمني من ١٩١٩م إلى ٢٠٠٧م هو ١٦٠٠٠ (١٥٩٣٠) شخصاً كحد أقصى، منهم ٨٠٤٠ تشيعوا في الفترة بين ١٩٩٩م–٢٠٠٧م، أي بنسبة ٥٠٪ من مجموع المتشيعين السنة السوريين.

هذه النتيجة تشكل أكثر من عشرة أضعاف الرقم الذي توصلت إليه دراسة «مجلس الحقيقة والمصالحة» عام ٢٠٠٦ عن التشييع في سورية، التي زعمت أن إجمالي عدد المتشيعين السُنَّة في سورية لا يتجاوز ١٥٠٠ شخص!

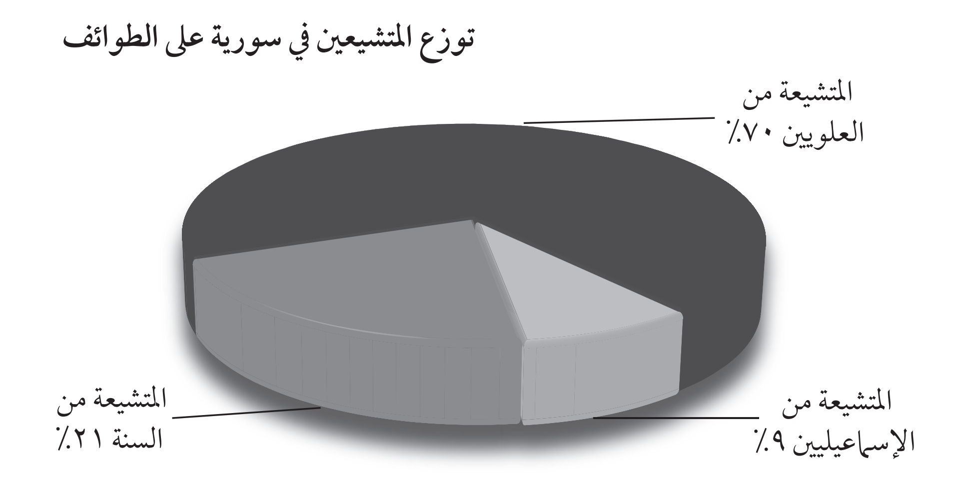
إذا أخذ بالاعتبار الرقم الذي وصلت إليه دراسة المجلس فيما يتعلق بالمتشيعين العلويين وهو ٥٢٧٠٠ شخص، والرقم الخاص بالمتشيعة الإسماعيليين وهو ٧٤٠٠ شخص فإن إجمالي المتشيعين في سورية – فيما إذا صحَّت أرقام دراسة المجلس – يقارب في حد أقصى ٧٥٨٧٨ شخصاً. مع ملاحظة أن الرقم الخاص بمجلس الحقيقة والمصالحة هو فقط في المجال الزمني ١٩٨٥م–٢٠٠٦م، لكن هذه الملاحظة على أهميتها بالنسبة للمتشيعة العلويين والمتشيعة الاسماعيليين لا تشكل فارقاً كبيراً؛ ذلك أن معظم حركة التشيُّع في الوسط الاجتماعي العلوي بدأت بالانتشار والنمو منذ عام ١٩٧٠، أي منذ انقلاب الأسد، في حين أن معظم حركة التشييع في الوسط الاجتماعي الإسماعيلي بدأت بعد الثمانينيات.

ومن الجدير بالتنويه هنا فيما يخص النِّسَب التي ذكرتها دراسة مجلس الحقيقة والمصالحة، ما ذكرته بأن ٣٪ من التشيع الإسماعيلي كان في محافظة حلب، أي أن ٢٢٢ شخصاً إسماعيلياً متشيعاً من هذه المحافظة التي لا يوجد فيها إسماعيليون البتة كما

هو معلوم! وعلى الرغم من أن هذا الرقم لا يغير كثيراً من الرقم الأصلي، فيما لو تم إسقاطه من الأرقام لجملة المتشيعة الإسماعيليين باعتباره غير صحيح، فعدد المتشيعين الإسماعيليين سيكون ٧١٧٨ شخصاً، إلا أن مغزى هذا التنويه هو الأثر الذي يتركه في مصداقية الأرقام التي تقدمها الدراسة، خصوصاً إذا أخذ بعين الاعتبار عدم ثبوت صحة الأرقام المعلنة والخاصة بالمتشيعين السنّة.

وعلى هذا الأساس فإن مجموع المتشيعين في سورية هو ٧٥٨٧٨، يتوزع كالتالي: نسبة المتشيعة السنَّة هي ٢١٪، ونسبة المتشيعة الإسماعيلية هي ٩٪ ونسبة المتشيعة العلويين هي ٧٠٪، أي أن نسبة المتشيعة السُّنة تحتل الدرجة الثانية، وتمثل قرابة ثلث عدد المتشيعة العلويين، وأكثر من ضعف المتشيعين الإسماعيليين.

توزع المتشيعين في سورية على الطوائف



التوزع الجغرافي

تشير المعلومات المتوفرة - كما هي مثبتة في الجدول أدناه - إلى أن الجزيرة السورية بمحافظاتها الثلاث (الرقة، دير الزور، الحسكة) كانت فيها أكبر نسبة تشيع في الوسط الاجتماعي السني على الإطلاق في المجال الزمني ١٩٩٩-٢٠٠٧. فعدد المتشيعين في

هذه المنطقة وضمن هذا المجال الزمني يصل إلى ٦٠٨٠ شخصاً[٢٦٤]، مما يعني أن نسبة المتشيعين من هذه المنطقة وحدها هو ٧٦٪ من نسبة المتشيعين السُّنة الإجمالية في عهد بشار الأسد، و ٣٨٪ من إجمالي عدد المتشيعين في المجال الزمني ١٩١٩ - ٢٠٠٧.

ومن الطبيعي أن هذه النتيجة التي توصلت إليها هذه الدراسة تناقض تماماً ما وصلت إليه دراسة مجلس الحقيقة والمصالحة سنة ٢٠٠٦، والتي وصفت العدد الإجمالي الذي وصلت إليه بأنه لا يشكل «إلا أجزاء عشرية متناهية الصغر (بضع عائلات تعد على أصابع يد واحدة)»!

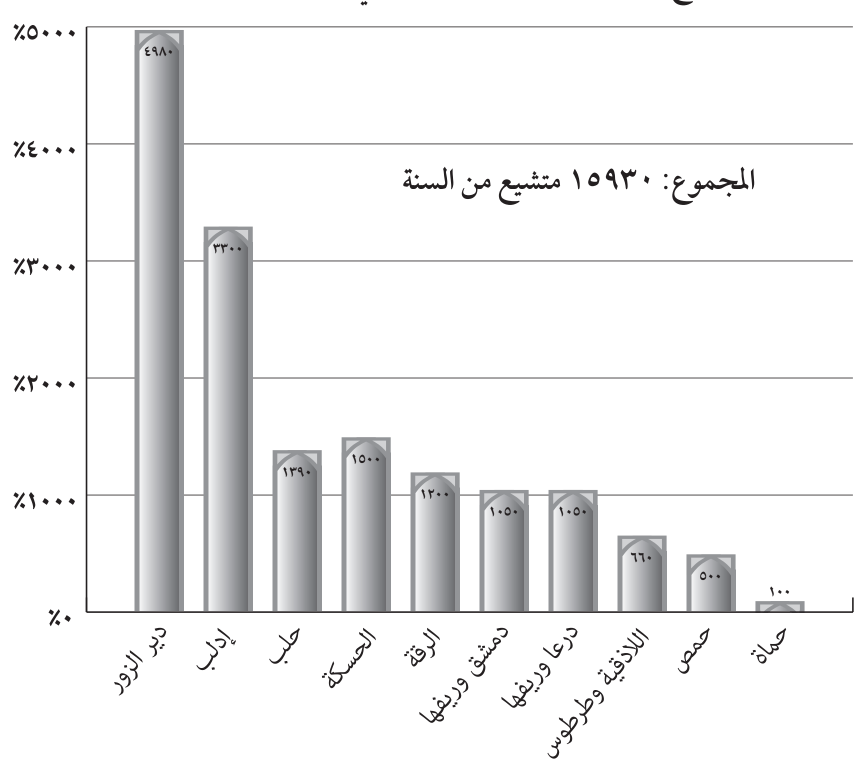
كما أن عدد المتشيعين من السُّنة في باقي المحافظات خلال الفترة نفسها ١٩٩٩-٢٠٠٧ يصل إلى ١٩٦٠ شخصاً فحسب، أي ما نسبته ٢٤٪ من نسبة المتشيعين الإجمالية في هذه الفترة، ومقارنة بما ورد في دراسة مجلس الحقيقة والمصالحة التي قاربت عدد المتشيعين السنة في هذه المناطق في المجال الزمني ١٩٨٥-٢٠٠٦ بـ ١٥٠٠ مواطن، في مختلف المناطق السورية باستثناء الجزيرة والقنيطرة، فإن العدد ١٩٦٠ شخصاً، الذي وصلت إليه هذه الدراسة عن فترة ١٩٩٩-٢٠٠٧ يبدو متقارباً جداً، لكن مع ملاحظة أن الرقم الذي أثبتته هذه الدراسة متعلق فقط بالسنوات الثماني الأخيرة، في حين أن رقم دراسة المجلس يشمل ٢١ سنة.

وقد جاءت النسب إجمالاً في المجال الزمني ١٩١٩-٢٠٠٧، وهي تشمل كل المتشيعين السنّة ضمن فترات مختلفة من ١٩١٩م إلى ٢٠٠٧م كالتالي:

(٢٦٤) يزعم بعض المتشيعين الجدد أن تعداد المتشيعين السنة في منطقة الجزيرة قارب العشرة آلاف خلال عقد من الزمن، ونحن نعتقد أنه رقم مبالغ فيه على عادة الأقليات الدينية في تقدير حجمها. انظر:
آل قطيط، المتحولون، م.س، مقابلة مع الدكتور عبد المجيد العلي (متشيع من دير الزور عام ١٩٩٩) على الرابط: http://www.14masom.com/maktabat/maktaba-akaed/book58/index.htm

المحافظة	عدد المتشيعين	النسبة	المحافظة	عدد المتشيعين	النسبة
إدلب	٣٣٠٠	٢١٪	درعا وريفها	١٠٥٠	٧٪
الحسكة	١٥٠٠	٩٪	دمشق وريفها	١٠٥٠	٧٪
حلب	١٥٩٠	١٠٪	دير الزور	٤٩٨٠	٣١٪
حماة	١٠٠	١٪	الرقة	١٢٠٠	٧٪
حمص	٥٠٠	٣٪	اللاذقية وطرطوس	٦٦٠	٤٪

توزع أعداد المتشيعين السنة بين عامي ١٩١٩ و ٢٠٠٧



وحسب ما توصلت إليه هذه الدراسة فإن أكبر نسبة تشيُّع في الوسط السني هي في محافظة دير الزور، تليها محافظة إدلب، وتحتل الدرجة الثالثة مدينة حلب، في حين أصغر نسب التشيع في الوسط السني كانت في محافظة حماة أقل من ١ ٪.

وهي نتيجة تختلف جذرياً عما ورد في دراسة الحقيقة والمصالحة[٢٦٥]، بل هي معاكسة لها، فقد زعمت تلك الدراسة بأن أعلى نسبة التشيع في الوسط السني كانت في محافظة حلب (٤٦٪) وأن محافظة إدلب كانت أدنى النسب (٤٪) في المحافظات، في حين أن دير الزور ومحافظات الجزيرة – وفقا لدراسة المجلس – شكلت جميعها أجزاء عشرية متناهية في الصغر، أي أقل من ١٪!

وحسب النسب التي ذكرتها دراسة مجلس الحقيقة والمصالحة فيما يخص المتشيعة العلويين، فإن الأرقام تبدو كالآتي:

المحافظة	النسبة	المحافظة	النسبة	المحافظة	النسبة
طرطوس	٤٤٪	حمص	١٤٪	دير الزور	٠٪
اللاذقية	٢٦٪	إدلب	٠٪	درعا وريفها	٠٪
دمشق وريفها	١٦٪	الحسكة	٠٪	الرقة	٠٪
حماة	١٦٪	حلب	٠٪		

وحسب النسب أيضاً التي أوردتها دراسة مجلس الحقيقة والمصالحة فيما يخص المتشيعة الإسماعيليين، فإن الأرقام تبدو كالتالي:

المحافظة	النسبة	المحافظة	النسبة	المحافظة	النسبة
حماة	٥١٪	دمشق وريفها	٢٪	درعا وريفها	٠٪
طرطوس	٤٣٪	إدلب	١٪	الرقة	٠٪
اللاذقية	٢٦٪	حمص	٠٪	دير الزور	٠٪
حلب*	٣٪	الحسكة	٠٪		

* سبق وأشرنا إلى أنه لا يوجد إسماعيليون في مدينة حلب.

(٢٦٥) حسب هذه الدراسة فإن النسب كما يلي: محافظة حلب وريفها ٤٦٪؛ محافظة دمشق وريفها ٢٣٪؛ محافظة حمص ٢٢٪؛ محافظة حماه ٥٪؛ محافظة إدلب ٤٪.

الانتشار الجغرافي للتشيع

أولاً: قبل عام ١٩٧٠

انتشر التشيع في ٩ قرى على الأقل في ست محافظات والتفصيل التالي يفصل المناطق الإدارية:

حلب (٢): الزهراء، بزاعة.

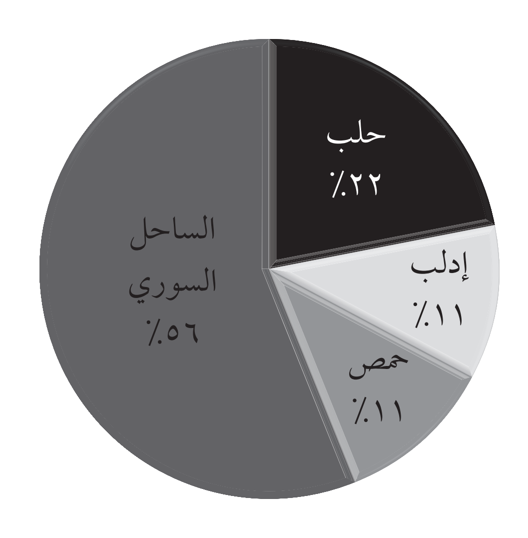
إدلب (١): زرزور.

حمص (١): الرستن.

الساحل السوري (اللاذقية وطرطوس) (٥): صافيتا، الطليعي، بشير ضهر، بيت الشيخ يونس، القرداحة.

المحافظة	النسبة	المحافظة	النسبة
الساحل السوري	٥٦٪	الجزيرة	٠٪
حلب	٢٢٪	دمشق	٠٪
حمص	١١٪	درعا	٠٪
إدلب	١١٪		

نسب الانتشار الجغرافي للتشيع في سورية قبل عام ١٩٧٠



ثانياً: بين عامي ١٩٧٠-١٩٩٨

انتشر التشـيع في ٧١ موقعـاً جغرافياً جديداً (٦٧ قرية، و٤ أحياء)، في تسـع محافظات، ويجدر هنا التنويه إلى أن هنالك شـكاً في أن قسـماً من القرى التي دخلها التشيع في ريف محافظة إدلب كان بعد هذا المجال الزمني، لكن أدرجت هنا، فاقتضى التنويه:

دمشق وريفها (٦): دوما، التل، الضمير، ببيلا، بيت سوا، سيدي مقداد.

حلب (٧): حي الخالدية/ مدينة حلب، البليرمون، دير جمال، كفر داعل، المنصورة، خان العسل، منبج.

درعا (٣): حي المطار/ مدينة درعا، قرفة، المليحة.

إدلب (١١): بنِّش، معرة مصرين، حارم، كورين، عامود، خريبة، دركوش، الملند، الجانودية، الدريَّة، كفريا.

الدير (٢): حطلة، زغير الجزيرة.

الرقة (٢): مدينة الرقة، مزرعة حطين.

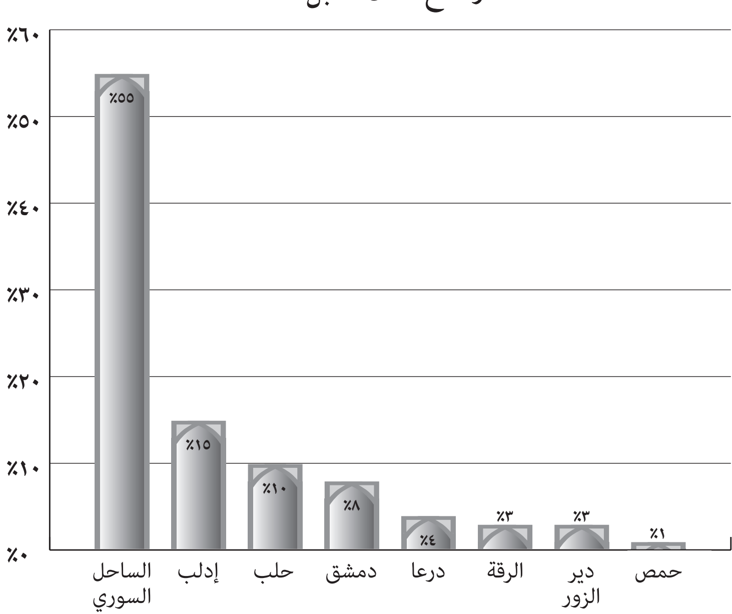
حمص (١): حي البياضة/ مدينة حمص.

السـاحل السـوري (اللاذقية وطرطوس) (٣٩): حـي الزقزقانية/ مدينة اللاذقية، مدينـة طرطـوس، جبلة، القرداحة، تـلا، الحفة، بانياس، حلبكـو، المشرَّفة، كرم غيزل، الدالية، حمين، حرصون، عين التينة، الدبدابة، المقرمدة، كفرفو، أبو قبيس، الدريكيش، الشبطلية، بكسا، تلة، مشقيتا، جيبول، بيت الشيخ ديب، الطليعي، ضهر بشير، بحنين، الجبيليـة، بشرائيـل، الشـامية، بيت الشـيخ يونس، بيـت نافلة، حكر، البلاطـة، أوبين، بعمرة، سمت قبلة، دم سرخوب.

نسب تزايد الانتشار الجغرافي (١٩٧٠-١٩٩٨):

المحافظة	النسبة	المحافظة	النسبة
الساحل السوري	٪٥٥	درعا	٪٤
إدلب	٪١٥	دير الزور	٪٣
حلب	٪١٠	الرقة	٪٣
دمشق	٪٨	حمص	٪١

معدل زيادة الانتشار الجغرافي للتشيع بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٩٨
مقارنة مع معدل ما قبل ١٩٧٠



ثالثاً: بين عامي ١٩٩٩-٢٠٠٧

لا تتوفر معلومات يمكن الاعتماد عليها فيما يتعلق بالانتشار الجغرافي في الساحل السوري في هذا المجال الزمني باستثناء مدينة اللاذقية، ومع هذه الملاحظة، فإن ما يتوفر من المعلومات يشير إلى أن التشيع قد انتشر في هذا المجال الزمني في ٦٥ منطقة جغرافية جديدة (٥٦ قرية و٧ أحياء):

دمشق (٦): عدرا، الحجيرة، الحجر الأسود، داريا، حي الشاغور، عربين.

حلب (١٠): حي الشهباء الجديدة/ مدينة حلب، حي الجزماتي/ مدينة حلب، الخفسة، المالكية، النيرب، مسكنة، الباب، جارز، صوران/ العذية، عين العرب.

درعا (٣): الحراك، طفس، الصورة الصغيرة.

إدلب (١): منطقة جامع الروضة/ مدينة إدلب.

دير الزور (٢٠): مدينة دير الزور، خشام، البصيرة، الكسرة، الكبر، الصعوة، الصغير، جديد عكيدات، جديد بكارة، البوحميد، حلبية، موح حسن، الشميطية، جزرة، حويجة صقر، أبو خشب، الصور، البوكمال، غرانيج، محقان.

الرقـة (٦): شـارع المنصور/ مدينة الرقـة، تل أبيض، حويجة صقر، شـلبية، جزرا، مدينة الطبقة (الثورة).

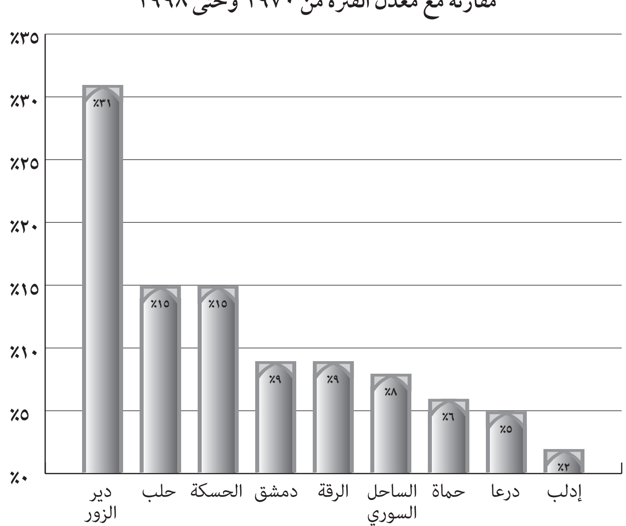
الحسـكة (١٠): تل الشـدادي، تـل تمر، تـل ورد، القصر، الداوودية، زين المبرك، عامودا، الجبسـة، حي النشوة/ مدينة الحسـكة، مدينة القامشلي/ طريق الحسكة إلى حي الهلالية.

حماة (٤): السلمية، مصياف، عقارب، جبل زين العابدين.

السـاحل السـوري (اللاذقيـة وطرطـوس) (٥): حـي الرمـل الفلسـطيني/ مدينة اللاذقيـة، حـي الزراعة/ مدينة اللاذقيـة، حي قنينص/ مدينة اللاذقيـة، القدموس، نهر الخوابي.

نسب تزايد الانتشار الجغرافي (١٩٩٩-٢٠٠٧) :

المحافظة	النسبة	المحافظة	النسبة
دير الزور	٣١٪	الساحل السوري	٨٪
الحسكة	١٥٪	حماة	٦٪
حلب	١٥٪	درعا	٥٪
دمشق	٩٪	إدلب	٢٪
الرقة	٩٪	حمص	١٪



معدلات الانتشار

أولاً: الانتشار الديموغرافي

تعتبر الفترة الذهبية للتشيع هي الفترة الممتدة بين ١٩٧٠-٢٠٠٧، فما قبلها لا يعتبر التشيع ظاهرة، ولم يتعد عدد الذين تشيعوا بضع مئات، فإذا قدر عددهم بما دون الألف، فإن عدد الذين تشيعوا في الفترة ١٩٧٠-١٩٩٩ يقدر بـ ٦٩٦٠ كحد أقصى، بما نسبته ٤٣٪، وعدد الذين تشيعوا في الفترة ١٩٩٩- ٢٠٠٧ يقدر بـ٨٠٤٠ كحد أقصى بما نسبته ٥٠٪ .

وعلى هذ الأساس فإن المعدل السنوي للتشيع حتى عام ١٩٧٠ كان ١٩,٦ شخصاً من السنة في الوسط الاجتماعي الموسوم بالسنّي، وفي عهد حافظ الأسد ١٩٧٠-١٩٩٩ كان المعدل ٢٣٢ سنياً في السنة، أي أنه تضاعف قرابة ١٢ مرة عن الفترة التي سبقته، وفي عهد بشار الأسد ضمن الفترة ١٩٩٩-٢٠٠٧ فإن معدل الانتشار كان ١٠٠٥ أشخاص من السنّة سنوياً، أي أن المعدل السنوي تضاعف عن عهد الأب في ١٩٧٠-١٩٩٩ بما يعادل ٤ مرات، وتضاعف بـ٥١ مرة عن معدل ما قبل ١٩٧٠.

لكن إذا أخذت بعين الاعتبار الأرقام التي زعمتها دراسة مجلس الحقيقة والمصالحة

وتمت محاولة مقاربة العدد الذي تشيع في عهد حافظ الأسد من العلويين والإسماعيليين عن طريقة المعدل السنوي، فإن عدد المتشيعين هو: من العلويين ٤٠٥٠٩ والإسماعيليين ٥١٢٧[٢٦٦]، وإجمالي عدد المتشيعين في عهد حافظ الأسد هو: ٥٢٥٩٦ شخصاً سورياً من مختلف الطوائف، وبالتالي فإن معدل الانتشار السنوي في عهد الأسد كان ١٧٥٣ شخصاً في السنة.

وبالمثل فإذا ما أخذ بعين الاعتبار الرقم المزعوم في دراسة مجلس الحقيقة والمصالحة من خلال المعدل الوسطي فإن عدد المتشيعين ٨٠٤٠ (سني) + ١٢١٩١ (علوي) + ٢٠٥١ (إسماعيلي) = ٢٢٢٨٢ شخصاً سورياً، بالتالي يكون المعدل السنوي لانتشار التشيع في مختلف الطوائف السورية هو: ٢٧٨٥ شخصاً في السنة.

ووفقاً لهذا الحساب تكون نسبة التشيع زادت في عهد حافظ الأسد عما قبله بـ ٨٩ مرة! وفي عهد بشار الأسد تضاعف الرقم ١,٦ مرة عن عهد أبيه، و١٤٢ مرة عما كان في الفترة التي سبقت عهد أبيه!

ثانياً: الانتشار الجغرافي

في الفترة ١٩١٩-١٩٧٠ انتشر التشيع في ١١ منطقة جغرافية جديدة داخل الأراضي السورية، أي بمعدل ٠,٢ منطقة في السنة، وفي الفترة الممتدة ١٩٧٠-١٩٩٩ انتشر التشيع في ٧١ منطقة جغرافية جديدة، أي بمعدل ٢,٤ منطقة في السنة، وفي الفترة ١٩٩٩-٢٠٠٧ انتشر التشيع في ٦٥ منطقة جديدة أي بمعدل ٨ مناطق في السنة، وذلك يعني أن تمدد التشيع جغرافياً قد تضاعف ١١ مرة في عهد الأسد الأب عما سبقه، وتضاعف التمدد الجغرافي للتشيع في عهد بشار الأسد ٣,٤ مرة عن عهد الأسد الأب، و٣٩ مرة عن ما قبل ١٩٧٠.

---

(٢٦٦) حُسبَ هذا الرقم على أساس الرقم المزعوم في دراسة مجلس الحقيقة والمصالحة، ولتجنب المبالغة تم اعتبار أن الرقم المتحصل في السنوات ١٩٨٥-١٩٩٩ يتضمن السنوات التي قبله من عهد الأسد الأب، وعلى هذا فقد تم الوصول إلى الرقم أعلاه من خلال المعدل السنوي مضروباً بالرقم ١٥ الذي يساوي سنوات المجال الزمني التي غطتها تلك الدراسة من عهد حافظ الأسد.

تفسير النتائج

لم يتجاوز عدد المتشيعين في المجال الزمني ١٩١٩-١٩٧٠ ألف شخص كحد أقصى، أي أنه طول نصف قرن لم يكن بالإمكان الحديث عن ظاهرة تشيُّع، بقدر ما يمكن فيه الحديث عن تشيُّع فردي متباعد الزمان والمكان، ولعل هذا يرجع إلى سببين: أولهما أن الأقلية الشيعية السورية أقلية صغيرة جداً، تميل للانطواء والحفاظ على النفس في ظروف عرفت بقوة التيار الديني السني وتأثيره الكبير في الحياة العامة. وثانيهما أن فكرة عودة الفرع العلوي النصيري إلى أصله الشيعي لم تكن قد جذبت اهتمام المراجع الدينية، فبقيت نخبويةً، وبقي هذا التيار على اتصال محدود بالمراجع الشيعية الإيرانية والعراقية، وصلته ضعيفة بالشيعة السوريين، فضلاً عن ضعف الأقلية الشيعية السورية وهذا جعله تياراً ضعيفاً، يضم بعض الأفراد «الإصلاحيين» الذين يرغبون بإخراج الطائفة من عزلتها عبر تشييعها.

غير أن التشيُّع في المجال الزمني ١٩٧٠-١٩٩٩ - كما تشير الأرقام - يدل على انتشار بالغ للتشيع، فقد بلغ المعدل السنوي لانتشار التشيع ١٧٠٤ شخصاً في السنة، ينقسمون كالتالي: ٢٣٢ سنياً في السنة، ١٣٥٠ علوياً في السنة، ٦٨ إسماعيلياً في السنة. ويرتفع معدل هذا الانتشار بشكل بالغ في الطائفة العلوية النصيرية.

إن تحول التشيع إلى ظاهرة يرجع إلى تشكُّل تيار شيعي في الطائفة العلوية النصيرية بدعم من حافظ الأسد الذي كان قريباً من أنصار هذا التيار، وإلى تدخل الملالي الإيرانيين العراقيين واللبنانيين في عملية التشييع في سورية، وإلى تزايد اهتمامهم بالطائفة العلوية ودفعها إلى اعتناق التشيع والخروج من الأفكار النصيرية المنشقة.

في حين يبدو أن ابتداء التشيع في الوسط الإسماعيلي بشكل قوي يوازي معدله في الوسط السني يعني أن تغييرات طرأت على الطائفة الاسماعيلية، بعضها يرجع إلى العمالة في لبنان، والبعض الآخر يرجع إلى نجاحات حزب الله في معاركه ضد الإسرائيليين في منتصف التسعينيات. أما التشيع داخل الوسط السني فيرجع أساساً إلى العمالة في لبنان ونشاط شبكة مبشرين مؤلفة من المتشيعة الجدد والشيعة السوريين، والملالي الإيرانيين ومؤسساتهم الثقافية، والمبشرين الموفدين من المراجع الشيعية (وخصوصاً الشيرازية) ومؤسساتهم، والتسهيلات الحكومية التي بدأت تظهر شيئاً فشيئاً مع تزايد دور بشار

الأسد وتقوية نفوذه في منتصف التسعينيات.

في عهد بشار الأسد تحول التشيع إلى «تشييع» الأمر الذي يعكس تزايد انتشار التشيع وتضاعف معدله عن عهد أبيه، فقد منح بشار الأسد المؤسسات الشيعية ونشاطاتها تسهيلات غير معهودة من قبل، وهي تسهيلات تبدأ من المستوى الأمني وتنتهي بالمستوى السياسي والإداري، الأمر الذي أعطى التبشير دفعة لم تكن قط في السنوات السابقة.

غير أن الملاحظ هو أن تزايداً غير اعتيادي طرأ على نسب التشيع ضمن الوسط السُّني، فخلال ثماني سنوات فقط تشيع ما يزيد عن ضعف وثلث الضعف عن عدد الذين تشيعوا في ثلاثين سنة هي جملة عهد الأسد الأب! فقد بلغت معدلات التشيع في الوسط السني في عهد حافظ الأسد ١٩٧٠-١٩٩٩ حوالي ٢٣٢ سنياً في السنة، وفي عهد بشار الأسد ضمن الفترة ١٩٩٩-٢٠٠٧ كان معدل الانتشار ١٠٠٥ سنّيّين سنوياً، أي أن المعدل السنوي تضاعف عن عهد الأسد الأب في ١٩٧٠-١٩٩٩ بما يعادل ٤ مرات، وتضاعف بـ٥١ مرة عن معدل ما قبل ١٩٧٠.

كما أن انتشار التشيع جغرافياً تركز في عهد الأسد الأب في الساحل السوري بالدرجة الأولى ٥٥٪، وفي إدلب بالدرجة الثانية ١٥٪، وحلب بالدرجة الثالثة ١٠٪، لكنه انتقل بشكل دراماتيكي إلى الجزيرة السورية، التي قفزت فيها نسبة انتشار التشيّع في عهد بشار الأسد إلى ٥٥٪ بعد أن كان في عهد الأسد الأب لا يتجاوز ٦٪! يعود هذا التحول إلى عدد من المعطيات تتعلق بالعمالة في لبنان، وانتشار الأمية، والعامل السياسي المتمثل في الرغبة الإيرانية في توسيع ولائها الاجتماعي وتجذير هلالها الشيعي في سورية السنية، فالمنطقة تعتبر بادية سورية تنتشر فيها القبائل، ولهذه القبائل امتدادها في العراق والسعودية والأردن، وبعض هذه القبائل تشيع قسمها العراقي، وبالإجمال فإن البادية المحاذية لشيعة العراق تمثل امتداداً جغرافياً لها، وهذا ما يجعلها مغرية جداً للراغبين في بسط الهلال الشيعي عبر سورية.

كما أن الروابط القَبَلية تساعد على الانتشار بشكل واسع خصوصاً مع شيوع الأمية بشكل واسع في المجتمع البدوي، وهو أمر يجعل للقبيلة سلطاناً يفوق سلطان العقل وأحياناً الدين. لقد اتُّبِعَت استراتيجية واضحة في تشييع القبائل من خلال ربطها

بأصولها من آل البيت، خصوصاً وأن كثيراً من القبائل تدعي نسبتها لآل البيت، وقد تعدّى الأمر في بعض القبائل مثلاً (كقبيلة البكارة)(٢٦٧) إلى تأويل نسبها وربطه بالأئمة الاثني عشرية (الإمام الباقر مثلاً)(٢٦٨)، ومحاولة تجذير المسألة تاريخياً بزعم أنّ الجزيرة شيعية تاريخياً!(٢٦٩)

إن تصاعد المد الشيعي في عهد بشار الأسد يرجع أيضاً إلى معطيات جديدة في الاستراتيجية المتبعة للتّشيّع، فبالإضافة إلى استغلال الروابط القبلية والظروف الثقافية لمجتمع الجزيرة السورية فإن تدفق الدعم اللوجستي الإيراني (المالي والمعنوي) والحماية الأمنية لنظام الأسد كانا سنداً قوياً لهذا المد لِيُعتمد المال والسياسة كأساسين لانتشاره بسرعة أكبر بكثير من تلك التي كانت في العهد السابق.

---

(٢٦٧) تنقسم عشيرة البكارة إلى: العبيدات، المناصرة، هلامية، البومصعى، والحمد العابد، والبوعرب، والبوصالح، والبوحمدان ورفيع، والبومعيش، والبورحمة، والعبد الكريم، والبوشمس، وبكارة الجبل، وعشيرة البكارة في حلب، وتمتد هذه العشيرة على ضفاف نهر الفرات، من الجانب الأيسر (جزيرة) إلى نهر الخابور شرقاً إلى البصرة شرق محافظة دير الزور وغرباً إلى محافظة الرقة.

(٢٦٨) آل قطيط، المتحولون، م.س، مقابلة مع الشيخ حمد الوكاع. انظر المقابلة على الرابط:
http://www.14masom.com/maktabat/maktaba-akaed/book58/index.htm

(٢٦٩) يلخص نص المقابلة مع الشيخ حمد الوكاع (متشيع ديري منذ ١٩٩٦) قناعات المتشيعة الجدد ومزاعمهم في مسألة القبائل كما يلي:
إن الرقعة الجغرافية الممتدة من الخابور إلى نهر الفرات كلها شيعية وممتدة حسباً ونسباً لأهل البيت، والدليل على ذلك الجميع يرددون عند أي حديث كلمة (الله وعلي)، وقبل «الاحتلال» العثماني كانت هذه المنطقة منطقة الجزيرة على مذهب أهل البيت، ولكن بعد الاحتلال العثماني عملت الدولة العثمانية على إخراج الشيوخ والعلماء الموجودين في المنطقة إلى عاصمتهم استنبول وأتوا بالملالي من قبل الدولة العثمانية، ووضعوا كل ملا، في قرية وأجبروا الناس على الاقتداء بهذا (الملا).
تاريخياً إن هذه المنطقة كانوا أهلها شيعة والتسمية لازالت موجودة في بعض القرى مثل قرية (زغير) نسبة للإمام علي الأصغر وقرية الحسينية وهذه كانت فيها حسينية باسم الإمام الحسين منذ مائة ونيف، وعين علي نسبة للإمام علي (عليه السلام) وقرية الكبر نسبة لعلي الأكبر ابن الإمام الحسين.
وقد أدخلت الدولة العثمانية على هذه القرى الطرق الصوفية، بدلاً من مذهب آل البيت (الشيعي)، واستخدم أهالي هذه المنطقة أناشيد تتعلق بأهل البيت والأئمة الإثني عشر، وهذه القصائد الشعبية تدل على أن الناس كانوا قديماً في دير الزور كلهم شيعة، وهذه القصائد دليل قاطع على ما ورثه الناس من تراث أهل البيت والمنطقة كلها شيعية تاريخياً. انظر: المصدر السابق نفسه.

ثانياً: حتى لا تخرج ثورة المحرومين من دمشق!

إذا كان معدل التشيع الآن هو ٢٧٨٥ في السنة منهم ١٠٠٥ أشخاص سنيين، فعلى فرض استمرار هذا المعدل (والواقع أن انتشار الأديان كظواهر اجتماعية ينتقل عبر متواليات حسابية وليس عبر تزايد عددي تقليدي خصوصاً في ظل مجتمعات متماسكة اجتماعياً ما تزال الأسرة الممتدة تمثل أساس العلاقات الاجتماعية فيها، وغالباً تتعداها إلى القبيلة) فإنه خلال عشرين سنة سيكون عدد المتشيعين السوريين حوالي ٥٥٠٠٠٠ ألفاً ولكن المجتمع السوري يكون وقتها قد تجاوز الثلاثين مليوناً، وحتى لو ضاعفنا هذا المعدل ثلاث مرات فإن عدد المتشيعة في سورية سيصل إلى مليونين خلال عشرين سنة!، وخمسمائة ألف خلال خمس سنوات، وهذا يعني أن خطر التغيير الديمغرافي في سورية غير وارد بعد في المدى المنظور من الولاية الثانية لبشار الأسد على الأقل.

لكن من المهم ملاحظة أن تركيز التبشير الشيعي في رقعتين جغرافيتين أساسيتين: الساحل السوري ومنطقة الجزيرة. وهاتان المنطقتان تَضُمّان الشريحتين الرئيستين من المجتمع السوري اللّتين اختير منهما عناصر المجندين والضباط في الجيش السوري والمخابرات الذين قاموا بالمجازر في مدينة حماة على وجه الخصوص وعموم المدن السورية في أحداث الثمانينيات بشكل عام، وهو أمر له دلالته السياسية، إذ أنّ هذا يرشح أن تكون هاتان الشريحتان مؤهلتين للعب الدور الرئيس في حماية النظام والدفاع عنه: الشريحة الأولى في الساحل السوري لأسباب طائفية وامتيازات اجتماعية وخوف وجودي، والشريحة الثانية لانتشار الأمية والفقر فيها وسهولة إخضاع أفرادها للقوة وإجبارهم على ممارسات غير شرعية ضد الشعب. والآن يُضاف إلى ذلك عنصر جديد هو التغلغل الشيعي في القبائل، وحيث يعتبر عهد الأسد هو العهد الذهبي للتشيع في الجزيرة فإن مصالح المبشرين مرتبطة آلياً بوجود النظام.

وبالتالي فإن المتشيعين الجدد يمكن أن يكونوا عناصر محتملين لحماية النظام والدفاع عنه مع المتشيعة الجدد المنتشرين في كل أنحاء سورية.

هذا مع افتراض بقاء معدلات التشيع في حدود ما ذكر آنفاً، لكن ماذا لو تشيع زعماء القبائل؟ وهو أمر يجري العمل عليه بكثرة في الجزيرة، خصوصاً مع توارد

إشاعات عن زيارات لبعض هؤلاء الزعماء للمرجعيات الدينية في إيران والعراق! ومن الواجب التذكر بأنه في المجتمع القبلي وحيث يعم الجهل والأمية فإن اعتناق زعيم القبيلة للمذهب الشيعي يعني انتشار التشيع في معظم القبيلة، فالناس هنالك تنقاد لقرارات زعمائها القبليين أكثر من علماء الدين.

الأقلية الصغيرة جداً لا تملك بطبيعة الحال طموحات سياسية بقدر ما تملك طموحات اجتماعية، لكن عندما تكبر فإنها بالتأكيد سيكون لها طموحاتها السياسية، فإذا حصل ما سبق – وهو أمر وارد – فإن معدلات التشيع ستكون مخيفة؛ إذ من الممكن أن تنتقل إلى معدلات كبيرة جداً قد تصل إلى عشرة أضعاف وهذا يجعل السيناريو مختلفاً، إذ ستصل أعداد المتشيعين خلال خمس سنوات إلى ما يزيد عن مليون متشيع! وهذا سيجعل الأقلية الشيعية بحجم الأقلية الكردية. وبما أن امتداد الشيعة الديمغرافي يتركز أساساً في العراق ولبنان، البلدين اللذين يمثلان الجزء الأهم من الهلال الشيعي، فإن المتشيعة السوريين قد يقومون بتشكيل أحزاب مناضلة تأثراً بأشقائهم في العقيدة (حزب الله، وفيلق بدر، وجيش المهدي)؛ فإن حصل هذا فإنها ستكون بالتأكيد متأثرة بالميلشيات الشيعية المذكورة وكلها تعتبر أحزاباً متشابهة من وجهة نظرها وولاؤها السياسي لإيران دون أوطانها.

وربما لا يكمن الخطر هنا فحسب، فماذا لو أنه تم تشكيل حزب مناضل بمعونة رسمية من النظام السوري وبالاستعانة بخبرات حزب الله، ثم مُوِّه شكلياً بأشخاص من المجتمع السني وتم إطلاق يده على حدود الجولان، هل من الممكن أن يتكرر سيناريو حزب الله فيصبح حزب الله السوري متحكماً في القرار السوري الداخلي على سورية، كما يستولي نظيره حزب الله اللبناني على قرار لبنان ويعيق إرادة الأكثرية اللبنانية؟ سيصبح النفوذ الإيراني في سورية حينها حقيقة أبدية بلا شك.

حتى لو تم الافتراض بأن هذا السيناريو غير محتمل، فمن الممكن التوقع أن يتحول المتشيعون الجدد إلى عناصر أمنية عند تعرض النظام لاحتجاج داخلي كما تحول عناصر حزب البعث في الثمانينيات إلى عناصر أمنية. خصوصاً أن كثيراً من النخب السياسية وضباط الأمن العلويين منحازون بشكل كبير أو ينتمون للتيار الشيعي في الطائفة العلوية، أو قد يتحول هؤلاء إلى عناصر شغب تبث الفوضى في المجتمع السوري

لصالح النظام.

لـو بقيت معدلات التشـيع على حالها، ولم تتضاعف أبـداً - وهو أمر غير محتمل في ظل الظروف الراهنة - فإن دخول عنصر التشـيع الإيراني والعراقي فضلاً عن الوجود الشـيعي العراقـي الراهن في سـورية والذي يصـل إلى قرابة ٥٠٠ ألف شـيعي وفي ظل دعم لوجستي إيراني وأمني سوري، يمكن أن يحوّل المتشيعين الجدد إلى اللعبة السياسية ليصبحوا إحدى الأدوات الجديدة للنظام في صراعه مع المعارضة الوطنية الديمقراطية، خصوصاً إذا أقر قانون الأحزاب.

قضية التبشـير الشـيعي في سورية ليسـت قضية عددية فحسـب، وإنما يظهر العمق السـياسي لهذا النشاط وأهدافه عند تحليل التوزع الجغرافي لهذا التبشير. فبتحليل عددي بسيط نجد أن معدل التبشير الحالي (٢٨٧٥ شيعي جديد منهم ١٠٠٥ من أصل سني في العام) لن يغير الطبيعة الديمغرافية للمجتمع السوري. إذ أن هذا المعدل إذا استمر لفترة عشريـن عاماً فإن عدد الشـيعة الجدد لن يتجـاوز ٥٥٠٠٠٠ في الوقت الذي يصبح فيه التعداد السـكاني لسـورية ٣٠ مليوناً. وحتى لو تصاعد المعدل إلى ثلاثة أضعاف العدد الحالي، فإن عدد الشـيعة الجدد بعد عشرين عاماً لن يتجاوز ١٦٥٠٠٠٠ ولـن يصل إلى ٥٠٠٠٠٠ بعد خمس سـنوات، أي أن حجم التغيير - خلال فترة الولاية الثانية لبشـار الأسد على الأقل - غير مهم بحد ذاته.

المهم هو التوزع الجغرافي لنشاط التبشير الشيعي في سورية، حيث يتركز هذا النشاط في منطقتين هما: الساحل السوري ومنطقة الجزيرة.

هاتـان المنطقتان الجغرافيتان في سـورية لهما أهمية خاصة، فهـما مؤهلتان للعب دور رئيـسي في حمايـة النظـام والدفـاع عنه. فأولاهما (السـاحل السـوري) سـتحمي النظام لأسباب طائفية واجتماعية وخوف وجودي، وثانيتهما (منطقة الجزيرة) ينتشر فيها الفقر والأمية فيسـهل ترغيبهـا وترهيبها واسـتمالتها للتعاون مع النظـام أو القيام بأعمال غير شرعية كتلك المجازر التي تمت في حماة وباقي المدن السورية في الثمانينيات. كما أن معظم عناصر الجيش والمخابرات ينحدرون أصلاً من هاتين المنطقتين الجغرافيتين وهذا سبب آخر يعلل تركيز وتوجيه نشـاط التبشـير الشـيعي فيهـما. فطبيعة منطقة الجزيـرة القبلية تجعل منها أرضاً خصبة للعمل التبشيري الشيعي، ففي حال تشيع أي من زعماء القبائل

فذلك سيشجع كامل القبيلة لتحذو حذوه، فالناس هنالك وبسبب الجهل والأمية تنقاد لقرارات زعمائها القبليين أكثر من علماء الدين. وتشير التقارير الأخيرة عن توجه بعض زعماء القبائل لزيارة مرجعيات دينية شيعية في إيران والعراق.

عند هذه النقطة من التحليل يصبح للعامل العددي أهمية أخرى. فبالرغم من أننا بدأنا هذا الاستنتاج بجعل أهمية العامل العددي للتبشير الشيعي أمراً ثانوياً، إلا أن دخول عامل التركيب القبلي قد يرفع معدل التشيع إلى عشرة أضعاف المعدل الحالي. وفي هذه الحال ستصل أعداد المتشيعين إلى ما يزيد عن مليون متشيع خلال خمس سنوات، أي بحجم الأقلية الكردية في سورية. وبما أن امتداد الشيعة العرب يتركز بشكل أساسي في العراق ولبنان، البلدين الذين يمثلان الجزء العربي الأهم من الهلال الشيعي، فإن ازدياد عدد المتشيعين السوريين من طبقات اجتماعية فقيرة بشكل مطرد سيزيد من طموحاتهم السياسية مما قد يدفعهم إلى تشكيل أحزاب طائفية تأثراً بأشقائهم في العقيدة (حزب الله، منظمة بدر، وجيش المهدي)، وكل هذه تعتبر أحزاباً متشابهة من حيث وجهة نظرها وولائها السياسي لإيران دون أوطانها.

ومع أن الخطورة الديمغرافية للتبشير الشيعي ليست آنية، إلا أن خطورتها الأمنية والسياسية تقرع جرس الإنذار بشكل فوري. فالخطر الذي تفرضه عملية تشييع هذه المناطق الجغرافية (الساحل والجزيرة) هو أن هؤلاء المتشيعين الجدد سيتحولون إلى عناصر دعم وحماية للنظام، تماماً كما تحولت معظم العناصر البعثية خلال أحداث الثمانينيات إلى مخبرين لصالح النظام، ويتكرر هذا في حال تعرض النظام لأي ضغوط أو احتجاجات سلمية من الأغلبية السنية التي تسعى إلى رفع مستويات حريتها واستعادة العدالة الاجتماعية.

ويتضخم حجم المخاطر الأمنية والسياسية التي تتأتى من النشاط التبشيري الشيعي في سورية عندما نأخذ بعين الاعتبار النجاح الذي تم تحقيقه في مناطق الساحل واعتناق كثير من العلويين المذهب الشيعي الاثني عشري ضمن مخطط «عودة الفرع إلى الأصل».

تشير الإحصائيات إلى أن ٧٠ بالمائة من المتشيعين بين عامي ١٩٧٠ و ٢٠٠٧ هم من أصول علوية – وهي نسبة ضخمة جداً تثير الانتباه خصوصاً عندما نعلم أن العلويين

لا يشكلون سوى ١٠ بالمائة من المجتمع السوري. هذا التركيز للتبشير الشيعي الاثني عشري (المذهب الرسمي لإيران) في الطائفة العلوية ربما يمثل أخطر تهديد لأمن سورية ومستقبلها السياسي حيث يتمتع العلويون بسلطة لا مثيل لها في البلاد من خلال نسبتهم الكبيرة - والتي لا تتناسب مع نسبتهم في المجتمع السوري - في الجيش والمخابرات ومن خلال تدخلهم بحكم البلاد بشكل مباشر حيث أن رئيس الجمهورية منذ عام ١٩٧٠ هو علوي الانتماء.

نظرة العلويين إلى طائفتهم وإلى دور سورية السياسي في المنطقة مبنية على حاجتهم للبقاء في موقع السلطة والحفاظ على قبضتهم على منافذ القوة في بلد أغلبية شعبه متململ ورافض للتسلط العلوي. ووجود قوة إقليمية داعمة للحكم العلوي في سورية يشكل ضرورة سياسية لبشار الأسد خصوصاً عندما أصبحت الدول العربية «المعتدلة» المجاورة مثل السعودية ومصر غير قادرة على تحمل السلوك السيئ للنظام وما تدل عليه من ابتزاز سياسي، فهذا الدعم الإقليمي من إيران يخرج النظام السوري من عزلته السياسية. ومع سيطرة حزب الله على القرار السياسي في لبنان (غرب سورية)، وقيام الشيعة بفرض سيطرتهم على العراق (شرق سورية) أصبح الحفاظ على تحالف مع إيران بالنسبة للعلويين في سورية ذا أهمية خاصة. «العودة إلى الجذور» لها أهميتها السياسية أيضاً وليست الدينية فقط.

أكثر من وقت مضى خلال التسعين سنة ماضية (أي منذ قيام الدولة الحديثة على أنقاض العهد العثماني) تشهد سورية التقاء مصالح غير مسبوق بين الأهداف السياسية والدينية بدعم دور سورية في الهلال الشيعي. فإذا أخذنا بعين الاعتبار علاقة بشار الأسد المتينة بحسن نصر الله والسماح غير المشروط للنشاط الشيعي في سورية، فمن غير المؤكد قدرته على مواجهة الأصوات الشيعية ضمن طائفته العلوية. ولكن ما تؤكده الوقائع هو أن صفة سورية «العلمانية» التي تحكم من حزب البعث «القومي» لم تعد حقيقة مسلّمة ولم تعد تعكس بدقة ما يدور على أرض الواقع.

أما الاستثمار الإيراني في التعليم الديني الشيعي وبناء الحسينيات عبر سورية، فإنه يستمر في التزايد. فمثلما قام الاتحاد السوفييتي بزراعة الشيوعيين في أوروبا الشرقية خلال فوضى سِنِي الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) فإن إيران تستغل ظروف

الاضطراب في لبنان والعراق، والضعف المتأصل في النظام السوري، لتأسيس إمبراطورية بالوكالة. فإيران تستخدم اسم الشيعة والإسلام كأداة سياسية لنشر الانتماء الشيعي وافتعال مجتمعات حاضنة تعمل لصالحها في الدول المجاورة.

والنظام السوري، بتركيبته العلوية، هو نظام قابل أكثر من غيره للوقوع تحت التأثير الإيراني. إن سورية ستتحول حتماً إلى كوكب يدور في فلك إيران. فالنظام يعتمد بشكل كامل على إيران في الدعم السياسي والاقتصادي – واكتساب الشرعية التي طالما سعى إليها – ولن تستطيع سورية الانفكاك عن حقل الجاذبية الإيراني ما لم يحدث تغيير جذري في دمشق.

ملحق

جدول الانتشار الشيعي

المحافظة	المدينة أو البلدة	اسم الناحية أو القرية	الحي	تاريخ ظهور أول حالة تشيع	أسباب ظهور التشيُّع
محافظتا دمشق وريف دمشق	*	السيدة زينب	*	١٩٧٥	الوافدون إلى جوار مقام السيدة زينب، وتأسيس الحوزة الشيرازية، واحتلال مقام السيدة زينب والجامع السني الذي يحضنه
	*	بيت سوا	*	الربع الأخير من عقد التسعينيات	الامتداد السكني للوافدين وطلبة الحوزات الأجانب
	دمشق	*	السويقة		تشيع بعض الأهالي والنزوح العراقي
	دمشق	*	الشاغور	بعد ٢٠٠٣	تشيع بعض الأهالي والنزوح العراقي
	داريا	*	البلدية	٢٠٠٠	اختراع مقام للسيدة سكينة بنت الحسين
	دوما	*	*	مطلع الثمانينيات	جمعية المرتضى
	*	عربين	*	بعد ٢٠٠٠	غير متوفر
	دمشق	*	الأمين	قديم	
	دمشق	*	الجورة	قديم	
	دمشق	*	زين العابدين	قديم	
	*	الضمير	*	١٩٨٦	تشيع أحد أبنائها – محمد يوسف قجمي
	*	عدرا	*	نهاية التسعينيات	احتلال مقام الحجر بن عدي
	دمشق	*	عمارة جوانية	منتصف الثمانينيات	احتلال مقام السيدة رقية
	*	ببيلا	*	النصف الثاني من التسعينيات	امتداد الوجود الشيعي في السيدة زينب، لاجئون عراقيون
	*	الحُجِّيرة	*	نهاية التسعينيات	امتداد الوجود الشيعي في السيدة زينب، لاجئون عراقيون
	*	سيدي مقداد	*	نهاية التسعينيات	امتداد الوجود الشيعي في السيدة زينب، لاجئون عراقيون
	*	*	الحجر الأسود	بعد ٢٠٠٣	امتداد الوجود الشيعي في السيدة زينب، لاجئون عراقيون
	*	*	الدويلعة	بعد ٢٠٠٣	لاجئون عراقيون بعد الاحتلال
	*	*	الزاهرة	بعد ٢٠٠٣	لاجئون عراقيون بعد الاحتلال
	*	*	جرمانا	بعد ٢٠٠٣	لاجئون عراقيون بعد الاحتلال
	*	*	مساكن برزة	بعد ٢٠٠٣	لاجئون عراقيون بعد الاحتلال
	*	التل	*	نهاية التسعينيات	العمالة في لبنان
	دوما	راوية	*	قديم	

	ملاحظـــــــات	عدد الشيعة وجنسيتهم	عدد المتشيعين السوريين
	السكان الأصليون سنة متمسكون بسنيتهم ، ولايزالون كذلك إلى اليوم. ازداد الوجود الشيعي العراقي بكثرة لافتة للنظر بعد حرب الخليج الثانية وحصار العراق	قرابة ١٠٠ ألف معظمهم لاجئون عراقيون وتوجد أقليات لبنانية وخليجية	لا يوجد
	سكان البلدة سنة، وربما ظهرت فيهم بعض حالات التشيع لكنها قليلة	بضعة آلاف	أقل من ٣٠٠
			أقل من ١٠٠
	سكان الحي سنة متمسكون بسنيتهم، الحي متصل بحي الأمين الشيعي	أقل من ١٠٠	أقل من مائة
	وفود شيعة أجانب (عراقيون وإيرانيون ولبنانيون) لرعاية المقام	أقل من ٢٥ معظمهم من العراقيين	لا يوجد
	دوما المدينة السورية الوحيدة التي تتبع المذهب الحنبلي الذي يركز على العقائد السنية، وتنتشر فيها السلفية بشكل واضح	أقل من ٥٠	أقل من ٥٠
	أقلية شيعية	غير متوفر	أقل من ١٠٠
		أقل من ١٠ آلاف	لا يوجد
		أقل من ١٥ ألفاً	لا يوجد
		أقل من ١٠ آلاف	لا يوجد
	تأثراً بعبد الحميد المهاجر	أقل من ١٠	أقل من ٥
	السكان الأصليون مازلوا مسلمين سنة، ولم يذكر حالات تشيع بينهم		غير متوفر
	احتله حسن الشيرازي، وأصبح مزاراً وأقيم فيه جمعية وفرع لـ«جامعة العلوم الإسلامية» بلندن لكن لا يوجد في سكان الحي أي حالة تشيع، ولكن يجاوره بعض التجار من الشيعة الدمشقيين الأصليين	١٠٠ شخص إيراني وعراقي وبعض شيعة الشوام	لا يوجد
	غير متوفر	بضعة آلاف	أقل من ٣٠٠
	غير متوفر	بضعة آلاف	
	غير متوفر	بضعة آلاف	
	غير متوفر	بضعة آلاف	
	لايوجد تشيع بين السكان	بضعة آلاف	لا يوجد
	لايوجد تشيع بين السكان	بضعة آلاف	لا يوجد
	لايوجد تشيع بين السكان	بضعة آلاف	لا يوجد
	لا يوجد تشيع بين السكان	بضعة آلاف	لا يوجد
		أقل من ٥٠	أقل من ٥٠

المحـــافظة	المـدينة أو البلدة	اسم الناحية أو القرية	الحي	تاريخ ظهور أول حالة تشيع	أسـبـاب ظهور التشـيُّع
محافظة حلب					
	حلب	*	حي الشهباء	بعد ٢٠٠١	مركز ثقافي إيراني قريب جداً من السكن الجامعي
	حلب	*	جب الجلبي أو جبل «شيخ محسِّن»	قديم	وجود «مشهد النقطة» التاريخي و«جمعية الإعمار والإحسان الإسلامية الجعفرية»
	حلب	*	الخالدية	مطلع التسعينيات	تشيع بعض الأفراد بسبب العمالة في لبنان
	حلب	*	الجزماتي	منتصف العقد الأول من الألفية الثانية	تشيع بعض الأفراد بسبب العمالة في لبنان وانتساب البعض لعشيرة البكارة التي بدأ يتم فيها التبشير بشكل مكثف في العقد الأخير
		البلليرمون	*	منتصف الثمانينيات	تشيع بعض الأفراد تأثراً بالثورة الإيرانية
		بزاعة	*	١٩٦٨	العمل في لبنان
	منبج	*	*		قناعات دينية
	*	ديرجمال	*	الثمانينيات	تشيع بعض الأفراد بتأثير التبشير من أهالي نبل والزهراء
	*	الخفسة	*	نهاية التسعينيات	تشيع بعض الأفراد لقناعات دينية
	*	الزهراء	*	قبل ١٩٧٠	تشيَّعَ معظم أهالي القرية بتأثير تبشير قريـة نُبُّل والقرابات الناشئة بين أهالي القريتين
	*	نُبُّل	*	قبل ١٩٧٠	غير متوفر
	*	المنصورة	*	التسعينيات	تشيع بعض الأفراد تأثراً بتبشير شيعة نبُّل
	*	المالكية	*	بعد ٢٠٠٠	غير متوفر
	*	النيرب	*	بعد ٢٠٠٤	غير متوفر
	*	خان العسل	*	التسعينيات	تشيع بعض الأفراد تأثراً بتبشير شيعة نبُّل
	*	جارز	*	بعد منتصف التسعينيات (غير محدد)	غير معروف
	*	صوران	العذيَّة	نهاية التسعينيات	تشيع بعض الأفراد بسبب العمالة في لبنان
	*	كفر داعل	*	السبعينيات	تشيع بعض الأفراد
	*	مسكنة	*	نهاية التسعينيات	
	الباب	*	*	٢٠٠٧	التبشير الشيعي والإغراء المالي
	عين العرب	*	*	بعد ٢٠٠٣	غير معروف

	ملاحظـــــات	عدد الشيعة وجنسيتهم	عد المتشيعين السوريين
	يعتمد التأثير في طلبة الجامعة عبر تقديم خدمات مجانية وإغراءات مادية	أقل من ١٠٠	أقل من ٥٠
	وجود بعض القائمين عليه من الشيعة من ريف حلب مثل (نبل والزهراء)	أقل من ٥٠	أقل ٥٠
	سكان الخالدية هم فقراء وافدون من الريف الشمالي الغربي لمدينة حلب	أقل من ١٠٠	أقل من ١٠٠
	سكان الجزماتي هم فقراء وافدون من الريف الشمالي الشرقي لمدينة حلب	أقل من ٥٠	أقل من ٥٠
	بعض الأفراد	أقل من ٥٠	أقل من ٥٠
	تشيع الشاعر سمعو عبد الكريم الدرويش	أقل من ٢٠	أقل من ٢٠
	تشيع بعض الأفراد	أقل من ٥٠	أقل من ٥٠
	أقلية صغيرة	أقل من ١٠٠	أقل من ١٠٠
	أقلية صغيرة جداً	أقل من ٥٠	أقل من ٥٠
	لا يوجد معلومات كافية، غير تغيير اسم القرية في نهاية السبعينيات بناء على نصيحة حسن الشيرازي	٥–٧ آلاف	غير متوفر
	أهالي القرية شيعة أصليون	١٠ آلاف – ١٢ ألفاً	لا يوجد
	أقلية صغيرة	أقل من ١٥٠	أقل من ١٥٠
	أقلية صغيرة جداً	أقل من ٢٥	أقل من ٢٥
	أقلية صغيرة جداً	أقل من ٢٠	أقل من ٢٠
	أقلية صغيرة	أقل من ٥٠٠	أقل من ٥٠٠
	أقلية صغيرة	أقل من ٢٠٠	أقل من ٢٠٠
	يتزعم حركة التبشير الشيعي معتقل إسلامي سابق	أقل من ١٥	أقل من ١٥
	أقلية صغيرة جداً	أقل من ١٠٠	أقل من ١٠٠
	بعض الأفراد	أقل من ٢٠	أقل من ٢٠
	الباب تعتبر من المدن السنية المحافظة جداً	أقل من ١٥	أقل من ١٥
	أول حالة تشيع لأحد طلبة الدراسات الإسلامية	أقل من ٢٠	أقل من ٢٠

المحـــافظة	المـدينة أو البلدة	اسم الناحية أو القرية	الحي	تاريخ ظهور أول حالة تشيع	أســباب ظهور التشيُّع
محافظة درعا	درعا	*	حي المطار	مطلع الثمانينيات	أقلية مهاجرة من لبنان بسب الحرب الأهلية والاحتلال الإسرائيلي للجنوب
	*	قرفة	*	مطلع الثمانينيات	جمعية المرتضى
	*	الصنمين	*		أقلية مهاجرة من لبنان بسب الحرب الأهلية والاحتلال الإسرائيلي للجنوب
	*	بصرى الشام	*	مطلع الثمانينيات	أقلية مهاجرة من لبنان بسب الحرب الأهلية والاحتلال الإسرائيلي للجنوب
	*	الحراك	*	نهاية التسعينيات	العمالة في لبنان
	*	المزيريب	*	مطلع الثمانينيات	أقلية مهاجرة من لبنان بسب الحرب الأهلية والاحتلال الإسرائيلي للجنوب
	*	المليحة	*	مطلع الثمانينيات	أقلية مهاجرة من لبنان بسب الحرب الأهلية والاحتلال الإسرائيلي للجنوب
	*	الشيخ مسكين	*	مطلع الثمانينيات	أقلية مهاجرة من لبنان بسب الحرب الأهلية والاحتلال الإسرائيلي للجنوب
	*	نوى	*	مطلع الثمانينيات	أقلية مهاجرة من لبنان بسب الحرب الأهلية والاحتلال الإسرائيلي للجنوب
	*	الكسوة	*	مطلع الثمانينيات	أقلية مهاجرة من لبنان بسب الحرب الأهلية والاحتلال الإسرائيلي للجنوب
	*	طفس	*		
	*	الصورة الصغيرة	*	بعد ٢٠٠٣	مصطفى الحريري متشيع متأثر بزيدان الغزالي
محافظة إدلب	إدلب		جامع الروضة	٢٠٠٥	كلية الدرسات الإسلامية (غير مرخصة)، فرع افتتحه بعض المتشيعين السوريين من مدينة حلب وبعض شيعة قرى إدلب بدعم خارجي
	*	حارم	*	نهاية التسعينيات	غير متوفر
	*	معرة مصرين	حي واحد في البلدة	التمانينات	
	*	زرزور	*	١٩٤٥	تشيع أحد أبنائها - محمد الغفري
	*	كورين	*	التسعينيات	تأثراً بتبشير متشيعي قريتي زرزور والفوعة
	*	عامود	*	التسعينيات	تأثراً بتبشير متشيعي قرية زرزور

ملاحظـــــــات	عدد الشيعة وجنسيتهم	عد المتشيعين السوريين
وفود العراقيين منذ نهاية التسعينيات وبناء مؤسسات دينية	أقل من ٥٠٠٠	أقل من ٢٠٠
نشاط عضو الجمعية المنحلة زيدان غزالي في بداية التسعينيات بالتبشير والتحقت به عائلته وأقرباؤه. تشيع بعض الأهالي	غير متوفر	أقل من ١٥٠
لا يوجد حالات تشيُّع واضحة بين الأهالي	أقل من ١٠٠	
لا يوجد حالات تشيُّع واضحة بين الأهالي	أقل من ١٠٠٠	
	أقل من ٢٥	أقل من ٢٥
لا يوجد حالات تشيُّع واضحة بين الأهالي	أقل من ٥٠٠	أقل من ٢٥
تشيع بعض الأهالي بسبب إغراءات مالية	أقل من ١٠٠٠	أقل من ٥٠٠
غير متوفر	غير متوفر	أقل من ٥٠
لا يوجد حالات تشيُّع بين الأهالي	أقل من ٢٠٠	لا يوجد متشيعون
لا يوجد حالات تشيُّع بين الأهالي	غير متوفر	لا يوجد متشيعون
	أقل من ٥٠	أقل من ٥٠
	أقل من ٥٠	أقل من ٥٠
يوجد حالات تشيُّع بين الطلاب من سنة إدلب وريفها	أقل من ١٠٠	أقل من ٥٠
غير متوفر	غير متوفر	أقل من ٥٠
بتأثير تبشير شيعة الفوعة	أقل من ٥٠٠	أقل من ٥٠٠
تبشير الشيخ محمد الأنطاكي	أقل من ٢٠٠٠	أقل من ٢٠٠٠
أقلية متشيعة	أقل من ٥٠	أقل من ٥٠
أقلية متشيعة	أقل من ٥٠	أقل من ٥٠

المحـــافظة	المـدينة أو البلدة	اسم الناحية أو القرية	الحي	تاريخ ظهور أول حالة تشيع	أســباب ظهور التشيُّع
محافظة إدلب					
	❊	خربية	❊	غير متوفر	تأثراً بتبشير متشيعي قرية زرزور
	❊	دركوش	❊	التسعينيات	تأثراً بتبشير متشيعي قرية زرزور
	❊	الملند	❊	غير متوفر	تأثراً بتبشير متشيعي قرية زرزور
	❊	الجانودية	❊	التسعينيات	تأثراً بتبشير متشيعي قرية زرزور
	❊	الدريَّة	❊	غير متوفر	تأثراً بتبشير متشيعي قرية زرزور
	❊	بِنِّش	❊	بعد ١٩٨٠	تأثراً بتبشير شيعة الفوعة
	❊	الفوعة	❊	قبل ١٩٧٠	غير معروف
	❊	كفريا	❊	التسعينيات	غير معروف
محافظة دير الزور					
	دير الزور	❊	❊	التسعينات	تبشير متشيعة حطلة
	❊	حطلة	❊	١٩٧٧	تشيع أحد أبناء القرية تأثراً بأفراد من شيعةقرية الفوعة في محافظة إدلب، ثم جمعية المرتضى
	❊	خشام	❊	نهاية التسعينيات ومطلع الألفية الثانية	امتدادلتبشير متشيعة حطلة
	❊	البصيرة	❊		
	❊	الكسرة	❊		
	❊	الكبر	❊		
	❊	الصعوة	❊		
	❊	الصغير	❊		
	❊	جديد عكيدات	❊		
	❊	جديد بكارة	❊		
	❊	البوحميد	❊		
	❊	حلبية	❊		
	❊	موح حسن	❊		
	❊	الشميطية	❊		
	❊	جزرة	❊		
	❊	زغير جزيرة	❊	بعد ١٩٨٧	تشيع أحد أفرادها تأثراً بحسين الرجا من قرية حطلة

	ملاحظــــــات	عدد الشيعة وجنسيتهم	عد المتشيعين السوريين
	أقلية متشيعة	أقل من ٥٠	أقل من ٥٠
	أقلية متشيعة	أقل من ١٠٠	أقل من ١٠٠
	أقلية متشيعة	أقل من ٥٠	أقل من ٥٠
	أقلية متشيعة	أقل من ٥٠	أقل من ٥٠
	أقلية متشيعة	أقل من ٥٠	أقل من ٥٠
	أقلية متشيعة	أقل من ٢٠٠	أقل من ٢٠٠
	كل سكانها شيعة الآن	أقل من ١٠ آلاف	لا يوجد
	أقلية متشيعة	أقل من ١٠٠	أقل من ١٠٠
	أقلية صغيرة متشيعة	أقل من ١٠٠	أقل من ١٠٠
	بدأ ينتشر التشيع فيها منذ ١٩٩٥	أقلية شيعية كبيرة تعددادها أقل من ١٥٠٠ . عشرة مساجد وسبع حسينيات ومغتسل مرتبطة بالحوزة الزينبية، إذ يمثل محمد الشيرازي المرجع الديني لهم	أقل من ١٥٠٠
	أقليات صغيرة متشيعة	امتداد لتبشير متشيعة حطلة	أقل من ٣٠٠٠
	التشييع عبر نسب القبيلة	أقل من ١٠٠	أقل من ١٠٠

المحافظة	المدينة أو البلدة	اسم الناحية أو القرية	الحي	تاريخ ظهور أول حالة تشيع	أسباب ظهور التشيُّع
محافظة دير الزور					
	*	حويجة صقر	*	بعد ٢٠٠٣	بناء بعض أهالي حطلة مسجد «علي الهادي» الشيعي بغرض التبشير
	*	أبو خشب	*	بعد ٢٠٠٠	تأثير تبشير متشيعة حطلة
	الصور	*	*	بعد ٢٠٠٠	تأثير تبشير متشيعة حطلة
	*	غرانيج	*	بعد ٢٠٠٠	تأثير تبشير متشيعة حطلة
	*	محقان	*	بعد ٢٠٠٠	تأثير تبشير متشيعة حطلة
	البوكمال	*	*	بعد ٢٠٠٢	أسباب غير معروفة
محافظة الرقة					
	الرقة	*	شارع المنصور	٢٠٠١-٢٠٠٧	تشييد حسينية
	الرقة	*	باب بغداد	١٩٨٨	تشييد مقام عمار بن ياسر بالاشتراك مع الحكومة الإيرانية وهجرة عائلة متشيعة من قرى إدلب
	*	مزرعة حطّين	*	١٩٩٢	عبد المجيد الأحمد السراوي تأثراً بتبشير متشيعي حطلة
	*	تل أبيض	*	بعد ٢٠٠٠	تأثراً بتبشير بعض متشيعي قرية حويجة صقر
	*	حويجة صقر	*	التسعينيات	تأثراً بتبشير بعض متشيعي قرية حطلة
	*	شلبية	*	غير معروف	تأثراً بتبشير بعض متشيعي قرية حطلة
	*	جزرا	*	غير معروف	تأثراً بتبشير بعض متشيعي قرية حطلة
	الثورة (الطبقة)	*	*	بعد ٢٠٠٣	بعض المتشيعة بتأثير كلية «الدعوة والاجتهاد» في مدينة الثورة

	ملاحظـــــــات	عدد الشيعة وجنسيتهم	عد المتشيعين السوريين
	أقفل المسجد بسبب عدم وجود مصلين ولا مؤمنين	أقل من خمسة	أقل من خمسة
	أقلية متشيعة	أقل من ٢٠	أقل من ٢٠
	أقلية متشيعة	أقل من ١٠٠	أقل من ١٠٠
	أقلية متشيعة	أقل من ١٠٠	أقل من ١٠٠
	أقلية متشيعة	أقل من ٥٠	أقل من ٥٠
	أول حالة تشييع كانت لطالب دراسات إسلامية في الدراسات ولم يذكر حالات تشيع أخرى	أقل من خمسة	أقل من خمسة
	أقلية متشيعة معظمها وافد من ريف المدينة	أقل من ١٠٠	أقل من ١٠٠
	بدأت حركة تبشير شيعية في النصف الثاني من التسعينيات. افتتح المقام رسمياً عام ٢٠٠٤	أقل من ٢٠٠	أقل من ٢٠٠
		أقل من ٢٠٠	أقل من ٢٠٠
		أقل من ٥٠	أقل من ٥٠
	أقلية متشيعة	أقل من ١٠٠	أقل من ١٠٠
	عائلة القفاف	أقل من ٢٠٠	أقل من ٢٠٠
	أقلية متشيعة	أقل من ٥٠	أقل من ٥٠
		أقل من ٣٠٠	أقل من ٣٠٠

المحـــافظة	المـدينة أو البلدة	اسم الناحية أو القرية	الحي	تاريخ ظهور أول حالة تشيع	أسـبـاب ظهور التشـيُّع
محافظة الحسكة	الحسكة	*	النشوة		
	*	تل الشدادي	*		
	*	تل تمر	*		
	*	تل ورد	*		
	*	القصر	*		
	*	الداوودية	*		
	*	زين المبرك	*		
	*	عامودا	*		
	*	الجبسة	*		
	القامشلي	*	طريق الحسكة إلى حي الهلالية		
محافظة حمص	حمص	*	البيَّاضة	غير متوفر	مهاجرون شيعة من ريف حمص
	*	أم العمد	*	قديم	
	*	الحميدية	*	قديم	
	*	شنشار	*	غير متوفر	
	*	الجابرية	*	غير متوفر	
	*	رسم العبد	*	غير متوفر	
	*	فيروزة	*	غير متوفر	
	*	معروف	*	منتصف السبعينيات	
	*	العزيزية	*	غير متوفر	
	الرستن	*	*	بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٢	

	ملاحظـــــات	عدد الشيعة وجنسيتهم	عد المتشيعين السوريين
			أقل من ١٥٠٠
	بينهم لاجئون عراقيون بعد الاحتلال	أقل من ٣٠٠	أقل من ٣٠٠
	نسبتهم لسكان القرية غير متوفرة	غير معروف	غير متوفر
	نسبتهم لسكان القرية غير متوفرة	غير معروف	غير متوفر
	أقلية نسبتها إلى عدد سكان القرية غير متوفرة	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية نسبتها إلى عدد سكان القرية غير متوفرة	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية نسبتها إلى عدد سكان القرية غير متوفرة	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية نسبتها إلى عدد سكان القرية غير متوفرة	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية نسبتها إلى عدد سكان القرية غير متوفرة	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	أقل من ٢٠٠	أقل من ٢٠٠

المحـــافظة	المـدينة أو البلدة	اسم الناحية أو القرية	الحي	تاريخ ظهور أول حالة تشيع	أســباب ظهور التشيُّع
محافظة حماة	*	السلمية	*		غير متوفر
	*	مصياف	*	٢٠٠٠	غير متوفر
	*	عقارب	*	بعد عام ٢٠٠٠	غير متوفر
	*	جبل زين العابدين	*	بعد عام ٢٠٠٣	مزاعم تاريخية حول «طريق السبايا» من صفين إلى دمشق
الساحل السوري (محافظتا اللاذقية وطرطوس)	اللاذقية	*	حي الزراعة	بعد عام ٢٠٠٠	إنشاء مركز ثقافي كبير
	اللاذقية	*	الزقزقانية	١٩٧٨	
	اللاذقية	*	حي قنينص	بعد ٢٠٠٠	التبشير الشيعي الإيراني العراقي في مدينة اللاذقية
	اللاذقية	*	الرمل الفلسطيني	بعد ٢٠٠٠	غير متوفر
	طرطوس	*		بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	جبلة	*	*	بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	صافيتا	*	*	بعد ١٩٢٠	الإحياء الديني
	القرداحة	*	*	بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	*	تلا	*	بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٢	
	الحفة	*	*	بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	بانياس	*	*	بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	*	حلبكو	*	بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	*	المشرَّفة	*	بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	*	كرم غيزل	*	بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي

	ملاحظـــــات	عدد الشيعة وجنسيتهم	عد المتشيعين السوريين
	إسماعيلية متشيعة	غير متوفر	غير متوفر
	تقطن فيها أقلية وافدة من ريف مصياف من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي، والطائفة الاسماعيلية، والمسلمين السنة	أقل من ٢٥٠٠	أقل من ٢٥٠٠
	متشيعة إسماعيليون	غير متوفر	غير متوفر
	لايوجد سكان، بنيت فيه بعض المباني للإقامة المؤقتة والزيارة	أقل من ٥٠	أقل من ٥٠
		٥٠ موظفاً شيعياً سورياً وعراقياً ولبنانياً وإيرانياً	أقل من ٤٠٠
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع) بمعونة حسن الشيرازي	غير متوفر	أقل من ٥٠٠٠
	أقلية سنية متشيعة ، حي فقير غالب أهله من التركمان السنة	أقل من ٢٠٠	أقل من ٢٠٠
	أقلية سنية متشيعة، حي فقير	أقل من ١٠٠	أقل من ١٠٠
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر

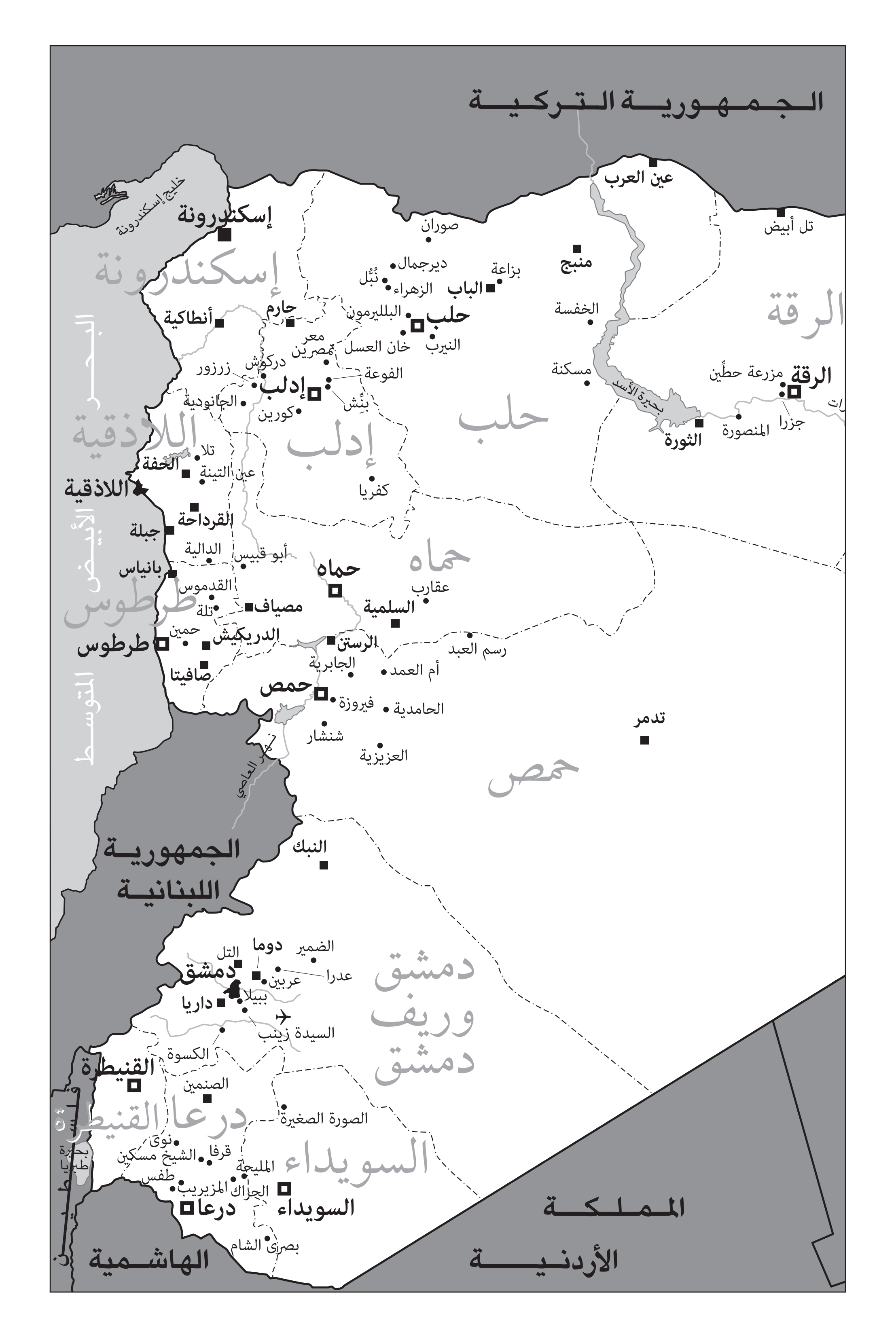
المحـــافظة	المـدينة أو البلدة	اسم الناحية أو القرية	الحي	تاريخ ظهور أول حالة تشيع	أســباب ظهور التشيُّع
الساحل السوري (محافظتا اللاذقية وطرطوس)					
	*	الدالية	*	بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	*	حمين	*	بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	*	حرصون	*	بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	*	عين التينة	*	بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	*	الدبدابة	*	بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	*	المقرمدة	*	بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	*	كفرفو	*	بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	*	أبو قبيس	*	بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	الدريكيش	*	*	بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	*	الشبطلية	*	بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	*	بكسا	*	بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	*	تلة	*	بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	*	مشقيتا	*	بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	*	جيبول	*	بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	*	بيت الشيخ ديب	*	بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	*	الطليعي	*	مطلع القرن العشرين	الإحياء الديني
	*	ضهر بشير	*	مطلع القرن العشرين	الإحياء الديني
	*	بحنين	*	بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي

	ملاحظـــــــات	عدد الشيعة وجنسيتهم	عد المتشيعين السوريين
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر

المحــــافظة	المـدينة أو البلدة	اسم الناحية أو القرية	الحي	تاريخ ظهور أول حالة تشيع	أسـبـاب ظهور التشـيُّع
الساحل السوري (محافظتا اللاذقية وطرطوس)					
	❋	الجبيلية	❋	بين عامي ١٩٥٠–١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	❋	بشرائيل	❋	بين عامي ١٩٥٠–١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	❋	الشامية	❋	بين عامي ١٩٥٠–١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	❋	بيت الشيخ يونس	❋	ستينيات القرن التاسع عشر ١٨٦٠م	الإحياء الديني، وبني أول مسجد لتيار عودة الفرع إلى أصله الشيعي في جبال العلويين
	❋	بيت نافلة	❋	بين عامي ١٩٥٠–١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	❋	حكر	❋	بين عامي ١٩٥٠–١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	❋	البلاطة	❋	بين عامي ١٩٥٠–١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	❋	أوبين	❋	بين عامي ١٩٥٠–١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	❋	بعمرة	❋	بين عامي ١٩٥٠–١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	❋	سمت قبلة	❋	بين عامي ١٩٥٠–١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي
	❋	القدموس	❋		
	❋	نهر الخوابي	❋		
	❋	دم سرخوب	❋	بين عامي ١٩٥٠–١٩٧٢	الإحياء الديني، وإسهام حسن الشيرازي وجمعية المرتضى

	ملاحظـــــــات	عدد الشيعة وجنسيتهم	عد المتشيعين السوريين
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية إسماعيلية متشيعة	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية إسماعيلية متشيعة	غير متوفر	غير متوفر
	أقلية شيعية من تيار عودة الفرع العلوي إلى أصله الشيعي (التيار المتشيع)	غير متوفر	غير متوفر


المالكية
عامودا
القامشلي
الحسكة
تل تمر
الحسكة
القصر
الداوودية
الجزيرة
تل الشدادي
أبو خشب
جزرة البوحميد
الكبر
حلبية
الكسرة
الصعوة
زغير جزيرة
الشميطية
خشام
نهر الخابور
الصور
دير الزور
جديد عكيدات
جديد بكارة
موح حسن
البصيرة
محقان
غرانيج
دير الزور
البوكمال
جمهورية العراق
الجمهورية العربية السورية
المحافظات ومعظم المدن والقرى المذكورة في دراسة «البعث الشيعي في سورية ١٩١٩ - ٢٠٠٧»
حدود دولية
حدود المحافظات
مركز المحافظة
مدينة
قرية
نهر
٣٠كم ٢٠ ١٠ ٠
شمال
شرق
غرب
جنوب


الجمهورية التركية
عين العرب
تل أبيض
صوران
إسكندرونة
خليج إسكندرونة
إسكندرونة
ديرجمال
نُبُّل
الزهراء
الباب
بزاعة
منبج
الرقة
أنطاكية
حارم
البلليرمون
حلب
الخفسة
معر
مصرين
خان العسل
النيرب
زرزور
دركوش
الفوعة
مسكنة
مزرعة حطِّين
الرقة
إدلب
الجانودية
بنِّش
كورين
بحيرة الأسد
حلب
الثورة
المنصورة
جزرا
اللاذقية
إدلب
تلا
الحفة
عين التينة
اللاذقية
كفريا
القرداحة
جبلة
الدالية
أبو قبيس
حماه
حماه
بانياس
القدموس
عقارب
مصياف
تلة
السلمية
طرطوس
حمين
الدريكيش
الرستن
رسم العبد
طرطوس
صافيتا
الجابرية
أم العمد
حمص
فيروزة
الحامدية
شنشار
تدمر
العزيزية
نهر العاصي
حمص
البحر الأبيض المتوسط
الجمهورية اللبنانية
النبك
دوما
التل
الضمير
دمشق
عربين
عدرا
دمشق وريف دمشق
داريا
ببيلا
السيدة زينب
الكسوة
القنيطرة
الصنمين
درعا
القنيطرة
الصورة الصغيرة
نوى
قرفا
الشيخ مسكين
المليحة
السويداء
بحيرة طبريا
طفس
المزيريب
الجراك
درعا
السويداء
المملكة الأردنية الهاشمية
بصرى الشام

ملحق

صور بعض الحوزات والمقامات الشيعية في سورية



مقام السيدة زينب في دمشق: أصبح من أشهر مقامات الشيعة وربما أهمها بعد النجف وكربلاء. ولم يكن هذا المقام معروفاً بشكل واسع قبل السبعينيات. راجع ص ٣٤.



حوزة إمام الزمان التعليمية للدراسات الإسلامية: إحدى الحوزات الاثنتي عشرة التي أنشئت في قرية السيدة زينب جنوب دمشق بين عامي ٢٠٠١ و٢٠٠٦، أي بعد تولي بشار الأسد السلطة.



مقام السيدة سكينة في داريا غرب دمشق والذي بدأ التخطيط لإيجاده في عام ١٩٩٩. ولم يعرف لهذا المقام أي سند تاريخي. راجع ص ٨٥.



مكتب الشيخ محمد الفاضل اللنكراني في منطقة السيدة زينب يتبع له «مركز الأئمة الأطهار» الشيعي التبشيري. ويلاحظ أن ظاهرة انتشار مكاتب خاصة لعلماء الدين في سورية تقتصر على علماء الشيعة.



مقام السيدة رقية في قلب المدينة القديمة في دمشق. وقد كان هذا المقام مندثراً إلى حين إعادة بنائه على يد الإيرانيين. وقد أكمل بناؤه في ١٩٩٠. راجع ص ٧٤.



داخل مقام السيدة رقية.



مسجد سيدنا عمر الفاروق في منطقة السيدة زينب جنوب دمشق: بناه أهل السنة في المنطقة وعمدوا إلى اختيار هذه التسمية وإبرازها في لافتة مضاءة كرد فعل على النشاط الإيراني الشيعي في منطقتهم.



مدخل مسجد سيدنا عمر الفاروق.



الحوزة العلمية الزينبية: أول حوزة شيعية في سورية وأكثرها نشاطاً وتأثيراً. أقامها رجل الدين الشيعي الإيراني حسن الشيرازي في عام ١٩٧٦.

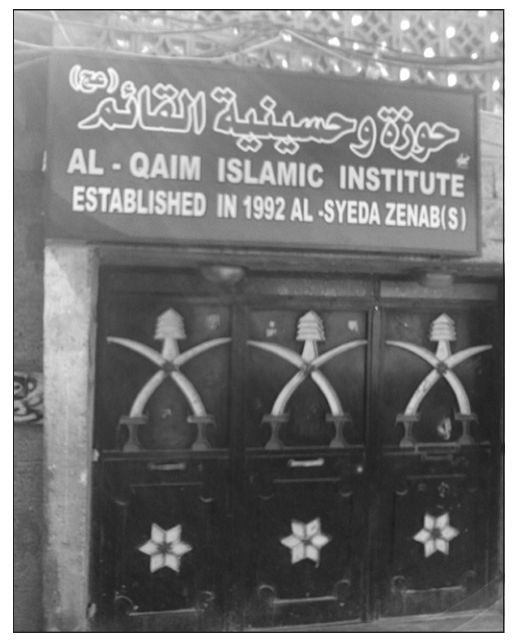


إشـارة إلى مشروع بناء مسـجد الرضا: أحد مشـاريع بناء الحسـينيات التي كانت ما زالت قيد الإنشاء أثناء القيام بهذا البحث عام ٢٠٠٧.

تكتظ شوارع جنوب دمشق بلافتات المراكز الشيعية مزاحمة أسماء الشوارع والمحال التجارية.



إشارة إلى حوزة السيدة الزهراء.



حوزة وحسينية القائم.



حوزة الإمام الخميني النسائية.



إشارة إلى حوزة الإمام الخميني.